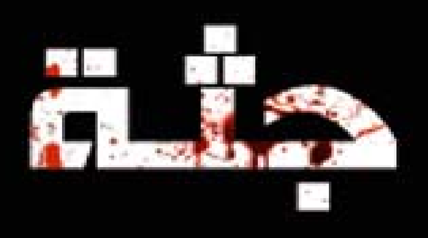




آرنالدور إندريادسون
Arnaldur Indriđason

حائز على جائزة الخنجر الذهبي التي تمنحها جمعية الأدب البوليسي









RÖDDIN (VOICES)

رواية

وفي اليوم الأوّل عثروا على الجثّة...

جثة في الفندق

RÖDDIN (VOICES)

رواية

في اليوم الأوّل عثروا على الجثّة...

تأليف

إندريادسون آرنالدور

Arnaldur Indriđason

البوليسي الأدب جمعية تمنحها التي الذهبي الخنجر جائزة على حائز

ترجمة

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة





يتضمن هذا الكتاب ترجمة رواية
Röddin
تأليف Arnaldur Indriđason
عن طبعة اللغة الإنجليزية
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً
بمقتضى الاتفاق الخطي مع الموقّع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Title of the original Icelandic edition: Röddin Published by agreement with Forlagid Publishing, www.forlagid.is

This books has been published with a financial support of Bokmenntasjóður/Icelandic Literature Fund



الطبعة الأولى: 1432 هـ - 2011 م

ISBN: 978-614-421-513-5



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (+961-1) 785107 - 785108 - 786233
ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان
فاكس: (+961-1) 786230 - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (9611+) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (9611+) 786233

اليوم الأوّل

1

وقفت إلينبورغ منتظرةً في الفندق.

طغت الشجرة الكبيرة على الردهة التي كانت مزيّنة بأغصان التنّوب، وبحلى رخيصة لامعة موزّعة في كلّ الأنحاء. كانت أغاني الميلاد تنبعث من جهاز غير مرئيّ. توقّفت عربة كبيرة أمام الفندق، واقتربت مجموعة من الناس من مكتب الاستقبال. كانوا سيّاحاً خطّطوا لتمضية الميلاد وليلة رأس السنة في أيسلندا لأنّها بدت لهم بلداً غامضاً ومثيراً. ومع أنّهم وصلوا للتوّ، إلاّ أنّ كثيراً منهم سبق واشتروا على ما يبدو القمصان الأيسلندية التقليديّة فور وصولهم إلى أرض الشتاء الغريبة. نفض إرليندور المطر المتجمّد على معطفه، فيما أجال سيغوردور أولي نظره في أنحاء القاعة ورأى إلينبورغ قرب المصعد، فشدّ ذراع إرليندور ومشيَا نحوها. كانت قد تفحّصت المشهد، فأوّل من وصل من ضبّاط الشرطة حرَص على إبقاء كلّ شيء على حاله.

كان مدير الفندق قد طلب منهم عدم إحداث جلبة. استعمل هذه الجملة عندما اتّصل بهم. هذا فندق، والفنادق تعيش على سمعتها، وطلب منهم أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار. هكذا، وصلوا من دون تشغيل أضواء سيّارات الشرطة وأبواقها، ولم يكن ثمّة عناصر من أفراد الشرطة الذين يرتدون الزيّ الرسمي في الردهة. فقد أكّد المدير على تجنّب إثارة الرعب بين النزلاء مهما كلّف الثمن.

لا يجب أن تكون أيسلندا مثيرة جداً ولا غامضة جداً.

كان المدير يقف الآن قرب إلينبورغ، وصافح إرليندور وسيغوردور أولي. كان سميناً جداً إلى حدّ أنّ ملابسه بالكاد تتّسع لجسده. وكانت سترته مُغلقة عند البطن بزرّ واحد بدا على شفير الاستسلام. أمّا أعلى سرواله فاختفى تحت كرشه الضخمة التي برزت من سترته. كان الرجل يتصبّب عرقاً، حتّى إنّه لم يترك قطّ المنديل الأبيض الذي راح يُجفّف به جبينه ومؤخّر عنقه بانتظام. وكانت ياقة قميصه البيضاء مبلّلة بالعرق. صافحه إرليندور فشعر بيده الرطبة.

قال المدير وهو يلهث مثل حيوان غرامبوس: "شكراً". خلال الأعوام العشرين التي قام فيها بإدارة هذا الفندق، لم يسبق له أن واجه شيئاً كهذا.

تأوّه قائلاً: "وسط زحمة الأعياد، لا أفهم كيف حدث هذا! كيف حدث هذا؟". كرّر جملته، وذهب من دون أن يترك لديهم أدنى شكّ في

مدى حيرته.

سأل إرليندور: "أهو في الأعلى أم في الأسفل؟".

لهث المدير السمين قائلاً: "في الأعلى أم في الأسفل؟ هل تسأل إن كان قد صعد إلى السماء؟".

أجاب إرليندور: "أجل، هذا بالضبط ما نحتاج إلى معرفته...".

سأله سيغوردور أولي: "هل نستعمل المصعد للذهاب إلى الأعلى؟".

أجاب المدير، وهو يُلقي نظرة انزعاج على إرليندور: "كلاّ، إنّه تحت في القبو. لديه غرفة صغيرة هناك. لم نشأ طرده، وهذا ما حصلنا عليه".

سأله إرليندور: "ولماذا أردتم طرده؟".

نظر إليه مدير الفندق من دون أن يجيب.

نزلوا السلّم المجاور للمصعد ببطء، يتقدّمهم المدير. كان نزول السلّم يتطلّب منه مجهوداً، فتساءل إرليندور كيف سيتمكّن من الصعود مجدّداً.

اتفق عناصر الشرطة، باستثناء إرليندور، على إظهار شيء من المراعاة، ومحاولة دخول الفندق بأكبر سريّة ممكنة. كان ثمّة ثلاث سيّارات شرطة متوقّفة في الخلف، مع سيّارة إسعاف. دخل ضبّاط الشرطة والفريق الطبّي من الباب الخلفيّ. وكان الطبيب الشرعي في المقاطعة في طريقه إلى المكان. سيؤكّد الوفاة ويتّصل بسيّارة لنقل الجثّة. مشَوا في الرواق الطويل، يتقدّمهم المدير وهو يلهث. حيّاهم عناصر الشرطة الذين أتوا بملابس عاديّة. كان الظلام يشتد كلّما تقدّموا في الممرّ، لأنّ المصابيح المثبّتة في السقف احترقت، ولم يتكبّد أحد عناء تبديلها. أخيراً، وصلوا وسط الظلام إلى الباب الذي انفتح على غرفة صغيرة. كانت أقرب إلى مخزن منها إلى مسكن، وتحتوي على سرير ضيّق، ومكتب صغير، وممسحة بالية على الأرض المبلّطة القذرة. وكانت ثمّة نافذة صغيرة في أعلى الجدار قرب السقف.

كان الرجل جالساً على السرير ومتّكئاً على الجدار، وهو يرتدي زيّ سانتا أحمر فاقعاً. ما زالت القبّعة على رأسه، ولكنّها انزلقت إلى الأسفل فوق عينيه بينما اختفى وجهه تحت لحية اصطناعيّة. كان الحزام السميك الذي يحيط بخصره محلولاً وأزرار سترته مفتوحة. تحتها، لم يكن يرتدي سوى قميص أبيض. كانت ثمّة طعنة قاتلة عند قلبه. ومع أنّ جسده لم يكن مصاباً بجروح أخرى، إلاّ أنّ طعنة القلب قضت عليه. بدت آثار شقوق على يديه، وكأنّه حاول مقاومة القاتل. كان سرواله منخفضاً حتّى كاحلَيه، فيما تدلّى منه واقٍ.

راح سيغوردور أولي يُغنّي وهو ينظر إلى الجثّة: "رودلف الغزال ذو

الأنف الأحمر".

أسكتته إلينبورغ.

كان يوجد في الغرفة خزانة صغيرة مفتوحة، تحتوي على سراويل وقمصان قطنيّة مَطوية، وقمصان مكويّة، وملابس داخليّة، وجوارب. تدلّت من حامل المعاطف بذلة رسميّة، زرقاء اللون، ذات كتفين ذهبيتي اللون وأزرار نحاسيّة لماعة. ووُضع قرب الخزانة حذاء جلديّ أسود ملمّع جيّداً.

كانت الجرائد والمجلاّت منتشرة على الأرض. وقرب السرير، وُضعت طاولة صغيرة عليها مصباح وكتاب واحد: تاريخ جوقة غلمان فيينا .

سأل إرليندور وهو يتأمّل المشهد: "هل عاش هذا الرجل هنا؟". كان قد دخل الغرفة هو وإلينبورغ، بينما وقف سيغوردور أولي ومدير الفندق خارجها. فقد كانت صغيرة جداً بحيث لا يمكن أن تتّسع لهم جميعاً.

قال المدير بارتباك، وهو يمسح العرق عن حاجبه: "سمحنا له بالمكوث هنا. فقد عمِل لدينا لسنوات طويلة كحارس، حتّى قبل مجيئي".

سأل سيغوردور أولي، وحاول أن يكون جادًّا، وكأنّه يعوّض عن أغنيته القصيرة: "هل كان الباب مفتوحاً عندما عُثر عليه؟".

أجاب المدير: "طلبتُ منها انتظاركم، أعني الفتاة التي وجدته. إنّها في مقهى الموظّفين. فقد أُصيبت المسكينة بصدمة كبيرة، كما تعلم". كان المدير يتجنّب النظر إلى داخل الغرفة.

اقترب إرليندور من الجثّة وحدّق إلى الشقّ عند القلب. لم تكن لديه فكرة عن نوع السكين التي قتلت الرجل. نظر إلى الأعلى. كان يعلو السرير ملصق باهت لفيلم شيرلي تمبل، تمّ إلصاقه عند الزاوية. لم يكن إرليندور قد شاهد الفيلم الذي يحمل عنوان الأميرة الصغيرة . كان الملصق هو عنصر الزينة الوحيد في الغرفة.

سأل سيغوردور أولي من حيث يقف عند الباب وهو ينظر إلى الملصق: "من هذه؟".

أجاب إرليندور: "مكتوب عليه شيرلي تمبل".

"من هي إذاً؟ أهي ميتة؟".

"من هي شيرلي تمبل؟". ذُهلت إلينبورغ من سؤال سيغوردور أولي. "ألا تعرف من تكون؟ ألم تدرس في أميركا؟".

سألها سيغوردور أولي، وهو ينظر إلى الملصق: "هل كانت نجمة من نجوم هوليود؟".

أجاب إرليندور باقتضاب: "كانت نجمة صغيرة، وقد ماتت بشكل من

الأشكال على أيّ حال".

قال سيغوردور أولي، من دون أن يفهم الملاحظة: "حقاً؟".

قالت إلينبورغ: "نجمة صغيرة. أظنّ أنّها ما زالت حيّة، لا أذكر. أعتقد أنّها تحتلّ منصباً ما في الأمم المتّحدة".

لاحظ إرليندور أنّ الغرفة لا تحتوي على مقتنيات شخصيّة أخرى. نظر حوله، ولكنّه لم يرَ مكتبة، أو أقراصاً مدمجة، أو حاسوباً، ولا حتّى مذياعاً أو تلفازاً. بل اقتصرت محتويات الغرفة على مكتب، وكرسيّ، وخزانة، وسرير مع وسادة بالية وغطاء متّسخ. ذكّرته الغرفة الصغيرة بزنزانة سجن.

خرج إلى الممرّ وحدّق إلى الظلام المخيّم في آخره، وأمكنه اشتمام رائحة حريق خفيفة، وكأنّ أحدهم كان يلعب بأعواد الكبريت هناك أو ربّما ينير طريقه.

سأل إرليندور المديرَ: "ماذا يوجد هناك؟".

فأجاب وهو ينظر إلى السقف: "لا شيء، هناك ينتهي الرواق. ثمّة مصباحان محترقان ومعطّلان، سأطلب إصلاحهما".

سأله إرليندور وهو يدخل عائداً إلى الغرفة: "منذ متى يعيش هذا الرجل هنا؟".

"لا أدري، كان هنا قبل مجيئي".

"إذاً، كان يعيش هنا عندما أصبحتَ مديراً؟".

"أجل".

"هل تعني أنّه عاش في هذا الجحر لمدّة عشرين عاماً؟".

"أجل".

نظرت إلينبورغ إلى الواقي، وقالت: "على الأقلّ أقام علاقة آمنة".

قال سيغوردور أولي: "لم تكن آمنة تماماً".

في تلك اللحظة وصل الطبيب الشرعي، يرافقه أحد موظّفي الفندق. وما إن وصلا، حتى رجع هذا الأخير عبر الرواق. كان الطبيب الشرعي بديناً جداً هو أيضاً، مع أنّه لا يُقارَن أبداً بمدير الفندق. عندما حشَر نفسه في الغرفة، تراجعت إلينبورغ طلباً للهواء.

قال: "مرحباً إرليندور".

سأله إرليندور: "كيف يبدو الوضع؟".

أجاب الطبيب المعروف بروحه المرحة: "ذبحة قلبيّة، ولكنّني أحتاج إلى إلقاء نظرة عن كثب".

نظر إرليندور إلى سيغوردور أولي وإلينبورغ، اللذَين كانا يتهامسان.

سأل إرليندور: "هل تعرف متى حدث ذلك؟".

"لا يمكن أن يكون قد حدث منذ وقت طويل. يُفترض أن يكون الحادث قد وقع خلال الساعتَين الفائتتَين، فهو بالكاد بدأ يبرد. هل عثرتم على غزاله؟".

تأوّه إرليندور.

رفع الطبيب الشرعي يدَه عن الجثّة قائلاً: "سأوقّع على الإفادة. أرسله إلى المشرحة وهناك سيُشرّحونه. يُقال إنّ النشوة تُشبه لحظة الموت". ثم أضاف، وهو ينظر إلى الجثّة: "وقد حصل عليها مزدوجة".

لم يفهمه إرليندور: "مزدوجة؟".

أجاب الطبيب: "أعني النشوة. ألن تلتقط صوراً؟".

أجاب إرليندور: "بلى".

"ستبدو جميلة في ألبوم الأسرة".

قال إرليندور: "لا يبدو أنّ لديه أسرة". ثم نظر إلى الغرفة، وسأله متشوّقاً إلى وضع حدّ لملاحظاته الساخرة: "إذاً، هل أنهيت في الوقت الحاضر؟".

هزّ الطبيب رأسه، ثمّ حشر نفسه عبر الباب للخروج، وعاد عبر الممرّ.

سألت إلينبورغ، ولاحظت الشهقة التي صدرت عن المدير لدى طرحها سؤالها: "ألا يتعيّن علينا إغلاق الفندق، ومنع الدخول والخروج، واستجواب جميع المقيمين هنا وجميع الموظّفين؟ فضلاً عن إغلاق المطارات، ومنع السفن من مغادرة المرفأ...".

تأوّه المدير، وهو يشدّ على منديله، وقال لإرليندور بنظرة توسّل: "بالله عليكم، إنّه الحارس وحسب!".

ثم همهم المدير ساخطاً: "هذا... هذا... الفحش لا علاقة له بضيوفي. إنّهم سيّاح، بمعظمهم تقريباً، ومن أهل البلد، هم رجال أعمال وما إلى ذلك. لا علاقة لأحد منهم بالحارس، لا أحد. هذا واحد من أكبر الفنادق في ريكيافيك، وهو مزدحم في أثناء العطلة. لا يمكنكم إغلاقه ببساطة! لا يمكنكم ذلك!".

قال إرليندور، محاولاً تهدئة المدير: "يمكننا، ولكنّنا لن نفعل. غير أنّنا سنحتاج إلى استجواب بعض النزلاء ومعظم الموظّفين، على ما أظنّ".

تنهّد المدير، واستعاد رباطة جأشه: "الحمد لله".

"ما كان اسم الرجل؟".

أجاب المدير: "غودلاوغور، أظنّ أنّه في الخمسين من عمره تقريباً. وأنت محقّ بخصوص أسرته، لا أظنّ أنّه يملك أسرة".

"من كان يزوره؟".

نفخ المدير قائلاً: "ليست لديّ أدنى فكرة".

"هل وقع أمر غير اعتياديّ في الفندق مرتبط بهذا الرجل؟".

"كلاّ".

"سرقة؟".

"كلاّ، لم يحدث شيء".

"شكاوى؟".

"كلاّ".

"ألم يتورّط بأيّ شيء يُفسّر سبب هذه الجريمة؟".

"ليس على حدّ علمي".

"هل كان متورّطاً بنزاعات من أيّ نوع مع أيّ شخص في هذا الفندق؟".

"ليس على حدّ علمي".

"خارج الفندق؟".

"ليس على حدّ علمي. ولكنّني لا أعرفه جيّداً". ثمّ صحّح لنفسه قائلاً: "لم أعرفه".

"حتّى بعد عشرين عاماً؟".

"لا، ليس حقاً. لم يكن اجتماعيًّا جداً، لا أظنّ ذلك. بل بقيَ مهتماً بشؤونه فقط قدر الإمكان".

"هل تظنّ أنّ الفندق مكان ملائم لرجل مثله؟".

"أنا؟ لا أعرف... كان دائماً بالغ التهذيب، وأنا فعلاً لم أسمع قطّ أيّ شكاوى عنه".

"أبداً؟".

"كلاّ، لم أسمع شكاوى عنه مطلقاً. لم يكن عاملاً سيّئاً حقاً".

سأله إرليندور: "أين يقع مقهى الموظّفين؟".

مسح مدير الفندق حاجبه وقد شعر بالراحة لأنّهم لن يغلقوا الفندق، ثم أجاب: "سأقودك إليه".

سأله إرليندور: "هل كان لديه ضيوف؟".

قال المدير: "ماذا؟".

كرّر إرليندور: "ضيوف. يبدو وكأنّ شخصاً يعرفه كان هنا، ألا تظنّ

ذلك؟".

نظر المدير إلى الجثّة ووقعت عيناه على الواقي.

قال: "لا أعرف شيئاً عن صديقاته، لا شيء على الإطلاق".

قال إرليندور: "أنت لا تعرف الكثير عن هذا الرجل".

قال المدير: "إنّه حارس هنا". وشعر بأنّه أعطى بذلك شرحاً وافياً لإرليندور.

غادرا الغرفة، ودخل فريق الطبيب الشرعي مع معدّاتهم، وتبعهم مزيد من العناصر. كان من الصعب عليهم جميعاً تجاوز المدير. طلب منهم إرليندور تفحّص الرواق جيّداً، إضافة إلى الكوّة المظلمة في آخره. بقيَ سيغوردور أولي وإلينبورغ في الغرفة الصغيرة وهما يتأمّلان الجثّة.

قال سيغوردور أولي: "لا أحبّ أن يتمّ العثور عليّ ميتاً وأنا بهذا الشكل".

قالت إلينبورغ: "لن يقلقه هذا الأمر بعد الآن".

قال سيغوردور أولي: "لا، على الأرجح لا".

سألته إلينبورغ وهي تُخرج كيساً صغيراً من الفستق المملّح: "هل يوجد فيه شيء؟". كانت تشغل نفسها دائماً بأكل شيء ما، وفكّر سيغوردور أولي في أنّها تسعى بذلك إلى تهدئة أعصابها.

سألها: "فيه؟".

فهزّت رأسها باتّجاه الجثّة. وبعدما حدّق إليها سيغوردور أولي للحظة، أدرك ما تعنيه. تردّد، ثمّ انحنى قرب الجثّة وحدّق إلى الواقي.

قال: "كلاّ، إنّه فارغ".

قالت إلينبورغ: "إذاً، قتلته أوّلاً. اعتقد الطبيب -".

سألها سيغوردور أولي: "قتلته، هي؟".

قالت إلينبورغ، وهي تُفرغ قبضة من الفستق في فمها: "أجل، أليس هذا بديهيًّا؟". قدّمت بعضاً منها إلى سيغوردور أولي، الذي رفضها. "كانت لديه امرأة هنا، أليس كذلك؟".

قال سيغوردور أولي، وهو يقف: "هذه أبسط نظريّة".

سألته إلينبورغ: "ألاّ تظنّ ذلك؟".

"لا أعلم، ليست لديّ أدنى فكرة".

2

لم يكن مقهى الموظّفين يُشبه ردهة الفندق الرائعة وغرفها المرتّبة. لم يكن يحتوي على زينة الميلاد، ولم تكن أغاني الميلاد تتردد في أرجائه. بل كان يحتوي على بضع طاولات، وكراسٍ رثّة، بينما غُطّيت الأرض بالمشمّع الممزّق في أحد الأماكن، واحتلّ زاوية منه مطبخ صغير مع خزائن، وآلة قهوة، وثلاّجة. بدا المكان وكأنّه لم يُنظّف قطّ، إذ انتشرت بقع القهوة على الطاولات، وتوزّعت الأكواب المستعملة في كلّ مكان. كانت آلة القهوة القديمة تعمل والماء يغلي بداخلها.

جلس عدد من موظّفي الفندق في نصف دائرة حول شابّة ما زالت آثار الصدمة تبدو عليها بعد رؤيتها الجثّة. كانت تبكي، بينما سالت الماسكرا على خدَّيها. نظرت إلى الأعلى عندما دخل إرليندور مع مدير الفندق.

قال المدير: "ها هي". وأشار إليها وكأنّها مذنبة بالتطّفل على هالة المناسبة، ثمّ طلب من الموظّفين الخروج بإشارة منه. قاده إرليندور خلفهم قائلاً إنّه يودّ التحدّث مع الفتاة على انفراد. نظر إليه المدير مستغرباً، ولكنّه لم يعترض، وتمتم أنّ لديه الكثير من الأعمال. ثم أغلق إرليندور الباب خلفه.

مسحت الفتاة الماسكرا عن خدَّيها ونظرت إلى إرليندور، غير واثقة ممّا تتوقّعه منه. ابتسم إرليندور، ثمّ سحب كرسيًّا وجلس أمامها. كانت تقريباً في مثل سنّ ابنته، في أوائل العشرينات، قلقة وما زالت مصدومة ممّا رأته. كانت سوداء الشعر، ونحيلة، ترتدي زيّ خادمات الغرف، وهو عبارة عن رداء أزرق فاتح اللون. رأى بطاقة معلّقة على جيب سترتها تحمل اسمها: أوسب.

سألها إرليندور: "هل تعملين هنا منذ وقت طويل؟".

أجابت أوسب بصوت منخفض: "منذ عام تقريباً". ثم نظرت إليه. لم يُعطها انطباعاً بأنّه سيُصعّب عليها الأمور. استقامت في جلستها. من الواضح أنّ رؤية الجثّة تركت عليها أثراً قويًّا، فقد كانت ترتجف بعض الشيء. كان اسم أوسب، أي شجر الحور، يلائمها، كما فكّر إرليندور. فقد كانت مثل غصن صغير في مهبّ الريح.

سألها إرليندور: "وهل تحبّين العمل هنا؟".

أجابت: "كلاّ".

"لماذا تبقين إذاً؟".

"يجب على المرء أن يعمل".
"ما السيّئ في هذا المكان؟".
نظرت إليه وكأنّه لا حاجة إلى مثل هذا السؤال.
قالت: "أنا أُبدّل أغطية الأسرّة، وأنظّف الحمّامات، وأكنُس الأرض، ولكنّه يبقى أفضل من العمل في سوبر ماركت".
"وماذا عن الناس؟".
"المدير مروّع".
"إنّه أشبه بخرطوم سيّارة إطفاء مثقوب".
ابتسمت أوسب.
"وبعض النزلاء يظنّون أنّنا موجودون هنا من أجل متعتهم".
سألها إرليندور: "لماذا نزلتِ إلى القبو؟".
"لإحضار سانتا، فقد كان الأولاد بانتظاره".
"أيّ أولاد؟".
"في احتفال الميلاد. لدينا احتفال للموظّفين، يشارك فيه أولادهم وأولاد النزلاء المقيمين في الفندق، وكان يُمثّل دور سانتا. عندما تأخّر، أُرسلتُ لإحضاره".
"لم يكن المشهد سارًّا".
"لم يسبق لي أن رأيت جثّة من قبل. وذاك الواقي". حاولت أوسب إبعاد الصورة عن ذهنها.
"هل لديه صديقات في الفندق؟".
"كلاّ، ليس على حدّ علمي".
"هل تعرفين شيئاً عن معارفه خارج الفندق؟".
"لا أعرف شيئاً عن هذا الرجل، مع أنّني رأيت منه أكثر ممّا ينبغي له".
صحّح لها إرليندور: "ينبغي لي".
"ماذا؟".
"يُفترض بكِ القول ينبغي لي ، وليس ينبغي له ".
ألقت عليه نظرة شفقة.
"وهل لذلك أهمية؟".
أجابها: "برأيي، أجل".
هزّ رأسه، وعلا وجهه تعبير ما.
"هل كان الباب مفتوحاً عندما عثرتِ عليه؟".

فكّرت أوسب.

"كلاّ، أنا فتحته. طرقت الباب ولم يُجبني، فانتظرت وكنت على وشك المغادرة عندما خطر لي أن أفتح الباب. ظننت أنّه مقفل، ولكنّه انفتح فجأة، ورأيته جالساً هناك وهو عارٍ، مع مطّاط على...".

بادرها إرليندور بالسؤال: "لماذا ظننتِ أنّه مقفل؟ أقصد الباب".

"خطر لي ذلك وحسب، فأنا أعرف أنّها غرفته".

"هل رأيتِ أحداً عندما ذهبت لإحضاره؟".

"كلاّ، لم أرَ أحداً".

"إذاً، استعدّ لاحتفال الميلاد، ولكنّ أحدهم نزل إليه وأفسد فرحته. كان يرتدي بذلة سانتا".

رفعت أوسب كتفَيها.

"من كان يُرتّب سريره؟".

"ماذا تعني؟".

"من كان يُغيّر الأغطية؟ فهي لم تُبدّل منذ زمن طويل".

"لا أدري، لا بدّ من أنّه كان يبدّلها بنفسه".

"لا شكّ في أنّكِ أُصبت بصدمة".

قالت أوسب: "كان مشهداً مروّعاً".

قال إرليندور: "أعرف. يجدر بكِ نسيانه بأسرع وقت، إن أمكن. هل كان سانتا طيّباً؟".

نظرت إليه الفتاة.

سألها إرليندور: "ماذا؟".

"أنا لا أعتقد بوجود سانتا".

كانت السيّدة التي نظّمت احتفال الميلاد أنيقة الملبس، قصيرة القامة، وفكّر إرليندور في أنّها في الثلاثين من عمرها تقريباً. قالت إنّها مديرة التسويق والعلاقات العامّة في الفندق، ولكنّ إرليندور لم يكترث إطلاقاً. فمعظم الناس الذين يتعرّف عليهم هذه الأيّام يُسوّقون شيئاً ما. يقع مكتبها في الطابق الثاني، ووجدها إرليندور هناك تتكلّم عبر الهاتف. فقد اشتمّ الإعلام رائحة وقوع حادث في الفندق، وتخيّل إرليندور أنّها تختلق الأكاذيب للمراسل. انتهت المكالمة فجأة، إذ أقفلت المرأة الخطّ قائلة إنّها لا تملك أيّ تعليق على الإطلاق.

عرّفها إرليندور على نفسه، ثمّ صافح يدها الجافّة، وسألها متى

تكلّمت للمرة الأخيرة مع... الرجل في القبو. لم يعرف إن كان يتعيّن عليه أن يقول الحارس أم سانتا، فقد نسيَ اسمه. وشعَر أنّه لا يستطيع تسميته سانتا.

حلّت المشكلة قائلة: "غولي؟ تحدثتُ إليه هذا الصباح، لأذكّره بالحفلة. التقيته عند الباب الدوّار، كان يعمل. فقد كان حارساً هنا، كما علمتَ على الأرجح. لا بل وأكثر من حارس، كان وكيلاً لهذا المكان، ويهتمّ بأمور كثيرة".

"هل كان سهل المعشر؟".

"عفواً؟".

"هل كان يُقدّم المساعدة، سهل الانقياد، لا يشتكي منه أحد؟".

"لا أعرف. وهل لذلك أهميّة؟ لم يسبق أن فعل لي شيئاً، أو بالأحرى، لم أحتج إلى مساعدته قطّ".

"لماذا كان يؤدّي دور سانتا؟ هل كان مولعاً بالأطفال؟ أم أنّه كان مضحكاً ومسلّياً؟".

"كان يفعل ذلك قبل مجيئي للعمل هنا. فأنا أعمل هنا منذ ثلاث سنوات، وهذه هي الحفلة الثالثة التي أنظّمها، وقد قام بتأدية دور سانتا في المرّتين السابقتين، وفي الأعوام التي سبقت ذلك. كان لا بأس به في هذا الدور، وقد أحبّه الأولاد".

لم يبدُ أنّ موت غودلاوغور قد ترك أيّ أثر على المرأة. لم تكن الحادثة من شأنها. فكلّ ما تسبّبت به الجريمة هو إزعاج التسويق والعلاقات العامّة لبعض الوقت. تساءل إرليندور: كيف يمكن للناس أن يكونوا بلا إحساس ومملّين إلى هذا الحدّ.

"ولكن، أيّ نوع من الأشخاص هو؟".

"لا أدري، فأنا لم أعرفه إطلاقاً. كان حارساً هنا، وكان سانتا. كانت تلك حقاً هي المرّة الوحيدة التي تحدّثت فيها معه، عندما كان سانتا".

"وماذا حلّ بحفلة الميلاد؟ أقصد عندما عرفتم أنّ سانتا قد مات؟".

"ألغيناها، فهي لم تعد ذات جدوى، وكذلك احتراماً له". أضافت جملتها الأخيرة، وكأنّها تسعى إلى إظهار شيء من الإحساس أخيراً. ولكن عبثاً. كان واضحاً لإرليندور أنّها لا تكترث أبداً بالجثّة الممدّدة في القبو.

سألها: "من هو أكثر من يعرف هذا الرجل؟ أعني هنا في الفندق".

"لا أدري. حاول أن تتكلّم مع مدير مكتب الاستقبال، فالحارس كان موظّفاً لديه".

رنّ هاتف مكتبها، فأجابت. ألقت على إرليندور نظرة تعني أنه

يعترض طريقها، فوقف وغادر الغرفة، وهو يفكّر في أنّها لا تستطيع الاستمرار باختلاق الأكاذيب إلى الأبد.

لم يكن لدى مدير الاستقبال الوقت للتحدّث مع إرليندور. فقد تجمّع السيّاح حول المكتب، وعلى الرغم من وجود ثلاثة موظّفين يساعدون على حجز الغرف، إلاّ أنّهم تمكّنوا بالكاد من التعامل مع هذا الحشد. راقبهم إرليندور وهم يتحقّقون من الجوازات، ويُسلّمونهم بطاقات المفاتيح، ويبتسمون قبل الانتقال إلى الضيف التالي. كان الحشد ممتدًّا حتّى الباب الدوّار. رأى إرليندور من خلالهم سائحاً آخر يتوقّف خارج الفندق.

كان رجال الشرطة، ومعظمهم يرتدون ملابس مدنيّة، موزّعين في المبنى، وهم يستجوِبون الموظّفين. أُقيم لهم مركز عرَضيّ في مقهى الموظّفين، وكانت عمليّة الاستجواب تُدار من هناك.

تأمّل إرليندور زينة الميلاد في الردهة. كانت أنغام أغنية ميلاد مؤثّرة تتصاعد من آلة تسجيل. مشى نحو مطعم كبير في إحدى جهات البهو. كانت الأعداد الأولى من النزلاء تصطفّ حول "بوفيه" الميلاد الشهيّ. تجاوز المائدة وتأمّل السمك، واللحم المدخّن، واللحوم الباردة، ولسان الثور، وجميع المقبّلات، فضلاً عن الحلويات الشهيّة، والمثلّجات، وقوالب الحلوى، وكريم الشوكولاته، أو أيًّا يكن.

سال لعاب إرليندور. لم يكن قد أكل شيئاً تقريباً طيلة النهار.

نظر حوله، ثمّ ألقى في فمه بسرعة كبيرة قطعة من لسان الثور المطهوّ بالتوابل. لم يعتقد أنّ أحداً رآه، لذا أجفل عندما علا صوت حادّ خلفه.

"كلاّ، اسمع، ليس هكذا. لا يجدر بك فعل ذلك!".

التفت إرليندور ورأى رجلاً يعتمر قبّعة طاهٍ كبيرة يتقدّم نحوه وهو يُحدّق إليه.

"ماذا يعني ذلك، كيف تمدّ يدك إلى الطعام؟ هذا غير لائق".

قال إرليندور وهو يتناول طبقاً: "هوّن عليك". وبدأ بوضع مجموعة من أشهى المأكولات في الطبق، وكأنّه كان ينوي منذ البداية تناول الطعام.

سأله محاولاً تغيير الحديث عن لسان الثور: "هل كنتَ تعرف سانتا؟".

أجاب الطاهي: "سانتا؟ أيّ سانتا؟ ورجاءً لا تضع أصابعك على الطعام. هذا ليس -".

قاطعه إرليندور: "غودلاوغور، هل كنتَ تعرفه؟ كان حارساً ويهتمّ بأمور كثيرة هنا، كما قيل لي".

"هل تعني غولي؟".

"أجل، غولي". كرّر إرليندور اللقب وهو يضع شريحة كبيرة من اللحم البارد في طبقه، ثم يسكب فوقها ملعقة من اللبن. تساءل ما إذا كان يجدر به طلب إلينبورغ لكي تقيِّم "البوفيه". فهي ذوّاقة وتقوم بجمع وصفات الطعام منذ سنوات عديدة.

سأله الطاهي: "كلاّ، أنا... ماذا تعني بقولك هل كنت أعرفه ؟".

"ألم تسمع بما حدث؟".

"ماذا؟ هل ثمّة خطب ما؟".

"لقد مات، قُتل. ألم ينتشر الخبر بعد؟".

تأوّه الطاهي وسأله: "قُتل؟ قُتل! ماذا، هنا؟ من أنت؟".

"في غرفته الصغيرة في القبو. أنا من الشرطة".

تابع إرليندور اختيار الأطعمة، ووضعها في طبقه. أمّا الطاهي فنسيَ أمر لسان الثور.

"كيف قُتل؟".

"كلّما تحدّثنا في التفاصيل أقلّ كان ذلك أفضل".

"في الفندق؟".

"أجل".

نظر الطاهي حوله.

قال: "لا أصدّق ذلك. ألن يُسبّب خبر كهذا فضيحة كبيرة؟".

قال إرليندور: "بلى، سيُسبّب فضيحة كبيرة".

عرف أنّ الفندق لن يتمكّن أبداً من نسيان الجريمة، لن ينجح أبداً بمسح تلك الوصمة. منذ الآن فصاعداً، سيُعرف دائماً بالفندق الذي وُجد فيه سانتا مقتولاً.

سأله إرليندور: "هل كنتَ تعرفه؟ أقصد غولي؟".

"كلاّ، على الإطلاق. كان حارساً هنا ويُصلح كلّ الأشياء".

"يُصلح؟".

"أجل، يعتني بأمور كثيرة. لم أكن أعرفه إطلاقاً".

"هل تعرف من كان أكثر المقرّبين منه هنا؟".

أجاب الطاهي: "كلاّ، لا أعرف شيئاً عن الرجل. من الذي يُمكن أن يقتله؟ هنا؟ في الفندق؟ ربّاه!".

شعر إرليندور أنّه أكثر قلقاً على الفندق منه على الضحيّة. فكّر بإخباره أنّ الجريمة قد ترفع من معدّل الحجوزات، فهكذا يفكّر الناس هذه

الأيّام. من الممكن أن يسوّقوا للفندق كمسرح جريمة، ويطوّروا سياحة تعتمد على الجريمة. ولكنّ هذا الموضوع لم يكن يشغله، بل أراد الجلوس لتناول الطعام والحصول على شيء من الهدوء.

ظهر سيغوردور أولي فجأة.

سأله إرليندور: "هل وجدتَ شيئاً؟".

أجاب سيغوردور أولي وهو ينظر إلى الطاهي الذي أسرع إلى المطبخ حاملاً الأنباء: "كلاّ". ثمّ أضاف مستنكراً: "هل تأكل الآن؟".

"آه، لا تبدأ، مررنا بظرف صعب".

قال سيغوردور أولي: "لم يكن هذا الرجل يملك شيئاً، وإن كان يملك شيئاً ما فهو لا يحتفظ به في غرفته. عثرت إلينبورغ على أسطوانتَين قديمتَين في خزانته، هذا كلّ شيء. ألا يجدر بنا إغلاق الفندق؟".

قال إرليندور: "إغلاق الفندق، أيّ هراء هذا؟ كيف ستقوم بإقفال هذا الفندق؟ وإلى متى؟ هل ستُرسِل فريق تفتيش إلى كلّ غرفة فيه؟".

"كلاّ. ولكن، قد يكون القاتل واحداً من النزلاء. لا يمكننا تجاهل هذا الاحتمال".

"هذا غير مؤكّد على الإطلاق. فثمّة احتمالان. إمّا أن يكون القاتل في الفندق واحداً من النزلاء أو الموظّفين، أو ألاّ تكون له علاقة بالفندق إطلاقاً. ما علينا فعله هو التحدّث مع جميع الموظّفين وكلّ من يُسدّد حسابه لمغادرة الفندق في اليومَين التاليَين، لا سيّما أولئك الذين يغادرون في وقت أبكر ممّا كان مخطّطاً، مع أنّني أشكّ في أن يحاول القاتل لفت الانتباه إليه بهذه الطريقة".

قال سيغوردور أولي: "كلاّ، هذا صحيح. كنت أفكّر بالواقي".

بحث إرليندور عن طاولة خالية، ثمّ وجد واحدة وجلس. جلس سيغوردور أولي إلى جانبه، ونظر إلى الطبق الممتلئ، فسال لعابه.

"حسناً، إن كانت امرأة فهي ما زالت في سنّ الإنجاب، أليس كذلك؟ بسبب الواقي".

أجاب إرليندور، مستمتعاً بطعم اللحم المدخّن: "أجل، كان هذا صحيحاً قبل عشرين عاماً. أمّا اليوم، فقد أصبح الواقي أكثر من مجرّد مانع للحمل. إنّه حماية من كلّ شيء، الكلاميديا، الإيدز...".

"قد يعني الواقي أيضاً أنّه لم يكن على معرفة جيّدة بالـ... بالشخص الذي كان في غرفته. ربّما كانت علاقة عابرة. فلو كان يعرف الشخص، ما كان ليستعمل واقياً".

قال إرليندور: "علماً أنّ الواقي لا ينفي احتمال كونه مع رجل".
"أيّ نوع من الأدوات قد يكون؟ أقصد سلاح القاتل".
"سنرى ما سيُسفر عنه التشريح. بالطبع، لا مشكلة في إيجاد سكّين في هذا الفندق، إن كان القاتل من هنا".
سأله سيغوردور أولي: "أهو لذيذ؟". كان يراقب إرليندور وهو يلتهم الطعام، وتاقَت نفسه إلى إحضار القليل منه، ولكنّه خشيَ أن يتسبّب بفضيحة أكبر: شرطيّان يحقّقان في جريمة قتل في فندق، يتناولان الطعام عند "البوفيه" وكأنّ الأمور على ما يرام.
قال إرليندور فيما كان يبتلع لقمة ويهمّ بتناول أخرى: "نسيت التحقّق ممّا إذا كان يحتوي على شيء".
"هل تظنّ أنّه يجدر بك تناول الطعام في مسرح الجريمة؟".
"هذا فندق".
"أجل، ولكن...".
"قلتُ لك، مررت بظرف صعب، وهذه هي الطريقة الوحيدة للخروج منه. هل كان فيه شيء؟ أقصد الواقي؟".
أجاب سيغوردور أولي: "كان خالياً".
"ظنّ الطبيب الشرعي أنّه بلغ النشوة. مرّتين، في الواقع، ولكنّني لا أدري حقاً كيف توصّل إلى هذه النتيجة".
"لا أعرف أحداً قادراً على فهم ما كان يتحدّث عنه".
"إذاً، تمّ ارتكاب الجريمة في أوج الإثارة".
"أجل. حدث أمر ما عندما كان كلّ شيء رائعاً".
"إن كان كلّ شيء رائعاً، لمَ أُخذت السكّين؟".
"ربّما كانت جزءاً من اللعبة".
"أيّ لعبة؟".
أجاب سيغوردور أولي: "إذاً، يُمكن أن يكون القاتل أيًّا كان؟".
تنهّد سيغوردور أولي. في بعض الأحيان، يطرح إرليندور أسئلة تُثير أعصابه لأنّها بسيطة جداً، ولكنّها بالغة التعقيد والغباء في الوقت نفسه.
قال إرليندور: "وجود الواقي لا يستثني أيًّا من الجنسَين. فلنتّفق على هذا الأمر. وجود الواقي لا يستثني أحداً. هل سألتَ المدير لماذا أراد التخلّص من سانتا؟".
"كلاّ، هل أراد التخلّص من سانتا؟".
"ذكر الأمر من دون أيّ تفسير. علينا أن نعرف ماذا كان يعني".

قال سيغوردور أولي: "سأُدوّن هذه الملاحظة". وكان يحمل دائماً دفتر ملاحظات صغيراً وقلم رصاص.

"ثمّة أيضاً مجموعة من الناس تستخدم الواقيات أكثر من غيرها".

سأله سيغوردور أولي: "حقاً؟". وبدت على وجهه علامة تساؤل كبيرة.

"المومسات".

كرّر سيغوردور أولي: "المومسات؟ هل تظنّ أنّه ثمّة مومسات هنا؟".

هزّ إرليندور رأسه بالإيجاب.

"إنهن يقمن بكثير من الأعمال في الفنادق".

وقف سيغوردور أولي ساكناً أمام إرليندور الذي أتى على كل محتويات طبقه، وراح يرمق "البوفيه" مجدّداً.

سأله سيغوردور أولي بارتباك: "أين ستُمضي عطلة الميلاد؟".

أجاب إرليندور: "عطلة الميلاد؟ سأكون... ماذا تعني بسؤالك أين سأُمضي عطلة الميلاد؟ أين ينبغي أن أُمضيها؟ وما شأنك بذلك؟".

تردّد سيغوردور أولي، ثمّ اندفع يتكلّم.

"تتساءل بيرغثورا إذا كنت ستمضيها بمفردك".

"كان لدى إيفا ليند بعض المخطّطات. ماذا تعني بيرغثورا؟ أنّه يجدر بي زيارتكما؟".

قال سيغوردور أولي: "لا أدري. النساء! من يفهم ما يدور في خلدهنّ؟". ثمّ ابتعد عن الطاولة ونزل إلى القبو.

كانت إلينبورغ واقفة أمام غرفة الضحيّة، تراقب فريق الطبّ الشرعي وهو يعمل عندما أتى سيغوردور أولي عبر الرواق المعتم. سألته وهي تعصر كيس الفستق الصغير: "أين إرليندور؟".

قال سيغوردور أولي بنبرة غاضبة: "عند "البوفيه"".

كشف اختبار أوّلي أجري في ذلك المساء أنّ الواقي كان مغطّى باللعاب.

3

اتّصل فريق الطبّ الشرعي بإرليندور فور ظهور نتائج التشريح، وكان لا يزال في الفندق. للحظة، بدا مسرح الجريمة وكأنّه استديو تصوير. فقد راحت الكاميرات تُومض مُضيئة الرواق المعتم على فترات منتظمة. تمّ تصوير الجثّة من جميع الزوايا، بالإضافة إلى كلّ ما عُثر عليه في غرفة غودلاوغور. بعد ذلك، نُقلت الجثّة إلى المشرحة في بارونستيغور ليتمّ تشريحها. أجرى فريق الطبّ الشرعي مسحاً على باب غرفة الرجل بحثاً عن بصمات، ووجدوا عدداً كبيراً منها، ستتمّ مقارنتها ببصمات موجودة في سجلاّت الشرطة. ستؤخذ نماذج عن بصمات جميع العمّال، كما أنّ اكتشاف الفريق الطبّي وجود اللعاب على الواقي يعني أنّه سيتمّ أخذ عيّنات لعاب.

سألت إلينبورغ: "وماذا عن النزلاء؟ ألا يتعيّن تطبيق هذه التدابير عليهم أيضاً؟".

كانت تتوق إلى العودة إلى المنزل، وندمت على طرح السؤال، فقد أرادت إنهاء مناوبتها. تتمسّك إلينبورغ بطقوس الميلاد، وهي مشتاقة إلى أسرتها. فقد علّقت أغصان شجر التنّوب والزينة في جميع أنحاء منزلها. وأعدّت الكعك اللذيذ الذي وضعته في علب بلاستيكيّة، ودوّنت على كلّ علبة اسم النوع الذي تحتوي عليه. والشواء الذي تعدّه في هذه المناسبة رائع؛ هكذا يقول لها الجميع، حتّى أولئك الذين ليسوا من أفراد عائلتها. كان الطبق الرئيس في كلّ ميلاد هو فخذ مُعدّ على الطريقة السويديّة، تضعه في الخارج على الشرفة لينتقع لمدّة اثني عشر يوماً، وتلفّه بعناية وكأنّه طفل مقمّط.

قال إرليندور: "أظنّ أنّه علينا الافتراض، بشكل أوّلي، أنّ القاتل أيسلندي. فلنبقِ النزلاء في خانة الاحتياط. الفندق مزدحم الآن في فترة الأعياد، والناس الذين يغادرونه قليلون. سنتحدّث مع الأشخاص الذين يعتزمون الرحيل، وسنأخذ عيّنات من لعابهم، ونماذج عن بصماتهم. لا يمكننا منعهم من مغادرة البلاد. يجب أن يكونوا المشتبه بهم الرئيسين لنفعل ذلك. كما أنّنا بحاجة إلى لائحة بأسماء الأجانب المقيمين في الفندق قبل الجريمة، وسنتجاهل الأشخاص الذي أتَوا إلى الفندق بعدها. لنحاول تبسيط الأمور".

سألته إلينبورغ: "ولكن، ماذا لو لم تكن الجريمة بهذه البساطة؟".

قال سيغوردور أولي، الذي أراد العودة إلى بيته هو أيضاً: "لا أظنّ

أنّ أيًّا من النزلاء قد سمع بوقوع جريمة". كانت زوجته بيرغثورا قد اتّصلت به مساءً، وسألته ما إذا كان في طريقه إلى البيت. فالوقت مناسب الآن وهي بانتظاره، هذا ما قالته. أدرك سيغوردور أولي على الفور ما قصدته بقولها الوقت مناسب . كانا يرغبان في إنجاب طفل، ولكنّ الأمر لم ينجح بعد. وقد أخبر إرليندور أنّهما بدأا يفكّران بالتلقيح الاصطناعي.

ارتشف إرليندور قهوته سيئة المذاق. كان الثلاثة جالسين بمفردهم في مقهى الموظّفين في القبو. انتهت الجلبة، وغادر عناصر الشرطة والفريق الطبّي، وتمّ إقفال الغرفة. لم يكن إرليندور مستعجلاً. فهو لا يملك مكاناً ليذهب إليه، باستثناء شقّته الكئيبة في أحد المباني السكنيّة. لم يكن الميلاد يعني شيئاً بالنسبة إليه. كانت لديه بضعة أيّام عطلة، ولكن، لا شيء لديه ليفعله خلالها. ربّما تزوره ابنته ويُعدّان بعض اللحم المدخّن. في بعض الأحيان، يرافقها شقيقها، ويجلس إرليندور ليقرأ، وهذا ما يفعله دائماً على أيّ حال.

قال: "يجدر بكما الذهاب إلى منزليكما. أمّا أنا، فسأبقى هنا لبعض الوقت. سأرى ما إذا كنت أستطيع التحدّث مع مدير الاستقبال دائم الانشغال".

وقفت إلينبورغ وسيغوردور أولي.

سألته إلينبورغ: "هل ستكون بخير؟ لِمَ لا تذهب إلى بيتك أنت أيضاً؟ الميلاد على الأبواب و -".

"ما خطبك أنت وسيغوردور أولي؟ لماذا لا تتركاني وشأني؟".

قالت إلينبورغ وهي تتنهّد: "إنّه الميلاد". ارتعشت، ثمّ قالت: "انسَ الأمر". ثمّ استدارت هي وسيغوردور أولي، وغادرا المقهى.

جلس إرليندور لبرهة طويلة غارقاً في أفكاره. راح يفكّر بسؤال سيغوردور أولي عن المكان الذي سيُمضي فيه الميلاد، وتوقّف عند شرود إلينبورغ. تخيّل شقّته: أريكته، والتلفاز القديم، والكتب المصفوفة على الرفوف.

كان يبتاع في بعض الأحيان زجاجة شراب في الميلاد، ويملأ كأساً يضعها إلى جانبه وهو يقرأ عن المِحَن والموت، في الأيّام التي كان الناس فيها يسافرون إلى كلّ مكان سيراً على الأقدام، ويكون فيها الميلاد أسوأ أوقات العام. فقد كان الناس يصمّمون على زيارة أحبّائهم، فيُصارعون قوى الطبيعة، ويضلّون طريقهم ويهلَكون. أمّا من ينتظرونهم في البيت، فيتحوّل ميلادهم من احتفال إلى كابوس. وكان يتمّ العثور على جثث بعض

المسافرين، بينما يضيع غيرها إلى الأبد.

تلك كانت أغاني الميلاد بالنسبة إلى إرليندور.

خلع مدير الاستقبال سترة الفندق، وكان يرتدي معطفه عندما وجده إرليندور في غرفة المعاطف. قال إنّه مُنهك ويريد الذهاب إلى البيت لتمضية الأمسية مع عائلته مثل كلّ الناس. أجل، سمع عن الجريمة، وهي فظيعة، ولكنّه لا يعرف بماذا سيُفيده.

قال إرليندور: "فهمت أنّك كنت تعرفه أكثر من أيّ شخص آخر في الفندق".

قال مدير الاستقبال وهو يلّف وشاحاً حول عنقه: "كلاّ، لا أظنّ أنّ هذا صحيح. من قال لك ذلك؟".

أجاب إرليندور، متجاهلاً السؤال: "كان يعمل لديك، أليس كذلك؟".

"كان يعمل لديّ، أجل، على الأرجح. كان حارساً، وأنا مسؤول عن الاستقبال وعن الحجز كما تعلم. هل تعرف إلى متى تفتح المتاجر أبوابها الليلة؟".

أعطى انطباعاً بأنّه غير مهتمّ جداً بإرليندور وأسئلته، وهذا ما أثار أعصاب التحرّي. وما أزعجه أيضاً هو أنّه لا أحد ممن رآهم حتى الآن يبدو عليه الاكتراث بالمصير الذي آل إليه الرجل في القبو.

"على مدار الساعة، لا أدري. من الذي قد يرغب بطعن حارسك في صدره؟".

"حارسي؟ لم يكن حارسي، بل كان حارس الفندق".

"ولماذا كان في تلك الحالة؟ من كان معه؟ من يزوره عادة؟ من كان أصدقاؤه في الفندق؟ من كان أعداؤه؟ لماذا كان يعيش في هذا الفندق؟ ما الاتّفاق بينكم وبينه؟ ما الذي تُخفيه؟ لماذا لا تُجيبني مثل شخص محترم؟".

"اسمع، أنا، ماذا...؟". صمت الرجل، وأخيراً قال: "أريد الذهاب إلى بيتي وحسب. لا أعرف الإجابة عن كلّ تلك الأسئلة. الميلاد على الأبواب، ألا يمكننا التكلّم غداً؟ فأنا لم أحظَ بدقيقة من الراحة طيلة النهار".

نظر إليه إرليندور، ثم قال: "سنتكلّم غداً". ولكن، حين همّ بمغادرة غرفة المعاطف، تذكّر فجأة السؤال الذي كان يُحيّره منذ أن قابل مدير الفندق. استدار. كان الرجل في طريقه إلى الخارج عبر الباب عندما ناداه إرليندور.

"لماذا أردتم التخلّص منه؟".

"ماذا؟".

"لقد أردتم التخلّص من سانتا. لماذا؟".
تردّد مدير الاستقبال في الإجابة.
"لقد فُصل من العمل".

وجد إرليندور مدير الفندق وهو يتناول الطعام. كان أمام طاولة كبيرة في المطبخ، يضع على خصره مئزر طاهٍ، ويلتهم محتويات الصواني نصف الخالية التي أُحضرت من "البوفيه".

قال وهو يمسح فمه عندما رأى إرليندور يُحدّق إليه: "لا يمكنك أن تتخيّل كم أحبّ الأكل". ثمّ أضاف: "بهدوء".

قال إرليندور: "أعرف تماماً ما تعنيه".

كانا بمفردهما في المطبخ الكبير النظيف. لم يكن بإمكان إرليندور ألاّ يُعجب به. فقد راح يأكل بسرعة، ولكن برشاقة، ومن دون شراهة. كان ثمّة شيء أنيق تقريباً في حركة يدَيه. هكذا اختفى الطعام في جوفه، لقمة تلو الأخرى، بسلاسة وبشغف واضح.

كان الآن أكثر هدوءاً من الجثّة التي نُقلت من الفندق، وقد رحل رجال الشرطة، والصحفيّون الذين تجمّعوا خارج الفندق. فقد أمرَتهم الشرطة بالبقاء في الخارج، لأنّها اعتبرت المبنى بأكمله مسرح جريمة، فيما استأنف الفندق عمله كالمعتاد. لم يصل خبر الجثّة الموجودة في القبو إلى مسمع الكثير من السيّاح، غير أنّ كثيراً منهم لاحظوا حركة الشرطة وسألوا عنها. فأمرَ المدير موظّفيه بقول شيء عن عجوز أُصيب بذبحة قلبيّة.

قال: "أعرف ما تُفكّر فيه. تظنّ أنّني حيوان مقزّز، أليس كذلك؟". صمت لارتشاف القليل من الشراب، فارتفعت خنصره التي كانت بحجم قطعة سجق.

أجاب إرليندور: "كلاّ، ولكنّني أفهم لماذا تريد إدارة فندق". ثمّ فقَدَ صبره وقال بحدّة: "أنت تقتل نفسك، أتعرف ذلك؟".

قال المدير: "يبلغ وزني 180 كلغ. لا تتجاوز حيوانات المزارع المقزّزة هذا الوزن. لطالما كنتُ بديناً، ولم يعرفني أحد يوماً إلاّ على هذه الحال. لم أتبّع حمية قطّ، ولم أتمكّن يوماً من التفكير بتغيير نمط حياتي، كما يُقال. أنا مرتاح هكذا". ثمّ أضاف: "أكثر منك، على ما يبدو".

سمع إرليندور مرّة أنّه يُفترض بالأشخاص البُدُن أن يكونوا أكثر مرحاً من ذوي الجسد النحيل. ولكنّه لم يُصدّق ذلك.

قال مع ابتسامة: "أكثر منّي؟ أنت آخر شخص يمكنه أن يحكم على

ذلك. لماذا فصلتَ الحارس؟".

كان المدير قد استأنف تناول الطعام، ومضى بعض الوقت قبل أن يضع شوكته وسكّينه. انتظر إرليندور بصبر. كان واضحاً له أنّ المدير يُفكّر بالجواب الأفضل، وبكيفيّة صياغته، بما أنّه اكتشف أمر الإقالة.

قال أخيراً: "لم تكن أوضاع الفندق جيّدة. فهو يغصّ بالنزلاء في الصيف وفي فترة الأعياد، ولكن ثمّة فترات ركود صعبة للغاية. قال المالكون إنّه علينا تخفيض النفقات، وتقليص عدد الموظّفين. ولم أرَ داعياً لوجود حارس بدوام كامل على مدار السنة".

"ولكن، سمعت أنّه أكثر من مجرد حارس. فهو سانتا مثلاً، وهو رجل لكلّ شيء. يعتني بأمور كثيرة، وهو أقرب ما يكون إلى وكيل".

كان المدير قد أعاد ملء فمه، وتلت السؤال فترة استراحة أخرى. نظر إرليندور حوله. بعدما أخذ عناصر الشرطة أسماء الموظّفين وعناوينهم، سمحوا للعمّال الذين أنهَوا مناوبهتم بالعودة إلى منازلهم. لم يُعرف بعد من كان آخر شخص تكلّم مع الضحيّة، ولا ما حدث في آخر يوم في حياته. لم يلاحظ أحد أمراً غير اعتياديّ على سانتا. ولم يرَ أحد شخصاً ينزل إلى القبو، ولم يعرف أحد أنّه يستقبل ضيوفاً هناك. بضعة أشخاص فقط كانوا على علم بأنّه يعيش في القبو على الدوام، وأنّ الغرفة الصغيرة كانت بيته، ويبدو أنّهم أرادوا أن يعرفوا عنه أقلّ ما يمكن. قليلون قالوا إنّهم كانوا يعرفونه، ولا يبدو أنّه كان لديه أصدقاء في الفندق. ولا يعرف الموظّفون ما إذا كان لديه أصدقاء خارجه.

قال إرليندور في نفسه: ذئب وحيد.

قال المدير، وقد برزت إصبعه الشبيهة بالسجق وهو يأخذ رشفة أخرى من الشراب: "ما من أحد لا غنى عنه. بالطبع، صرف الناس من الخدمة ليس أمراً ممتعاً أبداً، ولكنّنا لا نستطيع تحمّل كلفة حارس على مدار السنة. لهذا السبب تمّ صرفه، وليس لأيّ سبب آخر. ولم يكن لديه فعلاً عمل كثير في الحراسة. كان يرتدي زيّه الرسميّ عندما يأتي نجوم السينما أو شخصيّات أجنبيّة أخرى، ويخلع ملابسه غير اللائقة".

"هل كانت ردّة فعله سيّئة عندما أُقيل؟".

"تفهّم الأمر، حسبما أظنّ".

سأله إرليندور: "هل فُقدت أيّ سكاكين من المطبخ؟".

"لا أدري. فنحن نفقد سكاكين، وشوكاً، وأكواباً بقيمة مئات آلاف الكرونورات كلّ عام. فضلاً عن المناشف و... هل تظنّ أنّه طُعن بسكّين

مطبخ؟".
"لا أدري".
راقب إرليندور المدير وهو يأكل.
"عمِل هنا لمدّة عشرين عاماً ولم يعرفه أحد. ألا تجد ذلك غريباً؟".
هزّ المدير كتفَيه بلا اكتراث: "الموظّفون يأتون ويذهبون. ففي هذا النوع من الأعمال، يتبدّل الموظّفون كثيراً. أظنّ أنّه ثمّة أشخاص يعرفونه، ولكن من يعرف من هم؟ لا تسألني، فأنا لا أعرف أحداً هنا إلى هذا الحدّ".
"أنت بقيتَ هنا على الرغم من كلّ هذه التغييرات في الموظّفين".
"من الصعب نقلي".
"لماذا تحدّثتَ عن طرده؟".
"هل قلتُ ذلك؟".
"أجل".
"إذاً، كان مجرّد تعبير. لم أكن أعني شيئاً".
قال إرليندور: "صرفتَه من عمله وكنتَ على وشك طرده. ثمّ أتى أحدهم وقتله. يبدو أنّ الأمور لم تكن جيّدة بالنسبة إليه مؤخّراً".
تصرّف المدير وكأنّ إرليندور لم يكن موجوداً حتّى بينما راح يملأ بطنه بالحلوى والكريما بحركات يدَيه المرهفة، محاولاً الاستمتاع بالتحلية.
"لماذا بقيَ هنا بعد صرفه؟".
"كان يُفترض به الرحيل في آخر الشهر الفائت. حاولتُ أن أحثّه على ذلك، لكنني لم أضغط عليه. ليتني فعلت، فربما استطعت حينها تجنّب هذه السخافة".
راقب إرليندور المدير وهو يلتهم طعامه بصمت. ربّما كان السبب هو "البوفيه"، أو شقّته الكئيبة. ربّما كانت فترة الميلاد، أو عشاء الميكروويف الذي ينتظره في البيت. وربّما كان إحساسه بالوحدة. لم يعرف إرليندور أيًّا منها هو السبب، ولكنّ السؤال خرج من فمه قبل أن يُدرك.
"غرفة؟". سأله المدير وكأنّه لم يفهم ماذا يعني.
قال إرليندور: "لا أريد شيئاً مميّزاً".
"تعني من أجلك؟".
"غرفة مفردة تكفي".
"كلّ الغرف محجوزة لسوء الحظ". حدّق مدير الفندق إلى إرليندور. لم يشأ بقاء التحرّي عنده ليلاً ونهاراً.

كذب عليه إرليندور، قائلاً بصوت حازم: "قال مدير الاستقبال إنّه ثمّة غرفة خالية، ولا مشكلة في إعطائي إيّاها إن تكلّمت معك".

حدّق إليه المدير، ثم نظر إلى طبق الحلوى الذي لم ينتهِ بعد، ثمّ دفعه بعيداً، بعد أن فقَدَ شهيّته.

كانت الغرفة باردة. وقف إرليندور قبالة النافذة، وهو يحدّق إلى الخارج، ولكنّه لم يرَ شيئاً باستثناء صورته المنعكسة على الزجاج. لم ينظر إلى وجه هذا الرجل منذ مدّة، ولاحظ في الظلام مدى تقدّمه في السنّ. راح الثلج يتساقط بصمت على الأرض، وكأنّ السماء قد انشقّت وتناثر غبارها على العالم.

تذكّر فجأة كتاب قصائد صغيراً كان لديه، يحتوي على ترجمات جميلة لقصائد هولدرلين [1] . راح ذهنه يتنقّل بينها، إلى أن توقّف عند بيت أدرك أنّه ينطبق على الرجل الذي ينظر إليه من الصورة المنعكسة على الزجاج.

تقف الجدران صامتة وباردة، والطواحين تدور في الهواء.

4

كان قد بدأ يستغرق في النوم عندما سمع طرقة على بابه، وصوتاً يهمس باسمه.

عرف على الفور من الطارق. عندما فتح الباب، رأى ابنته إيفا ليند واقفة في الرواق. نظرا إلى بعضهما، ثمّ ابتسمت له ودخلت الغرفة، فأغلق الباب. جلسَت أمام المكتب الصغير وأخرجت علبة سجائر.

قال إرليندور، الذي التزم بسياسة منع التدخين: "لا أظنّ أنّ التدخين مسموح به هنا".

قالت إيفا ليند وهي تُخرج سيجارة من العلبة: "أجل، أجل، لمَ المكان بارد إلى هذا الحدّ؟".

"أظنّ أنّ جهاز التدفئة معطّل".

جلس إرليندور على طرف السرير. لم يكن يرتدي سوى سرواله الداخلي، فجذب اللحاف فوق رأسه وكتفَيه ولفّ به نفسه.

سألته إيفا ليند: "ماذا تفعل؟".

أجاب: "أشعر بالبرد".

"أعني، في غرفة الفندق، لِمَ لا تذهب إلى المنزل؟". سحبت نفساً عميقاً من السيجارة، فاحترق ثلثها تقريباً، وعندما نفثته، عبقت الغرفة بالدّخان.

"لا أعرف. لا...". ولكنّه صمت.

"ألا تشعر بالرغبة في العودة إلى البيت؟".

"بدا لي الأمر غير مناسب. لقد قُتل رجل في هذا الفندق اليوم، هل بلغك الخبر؟".

"سانتا، أليس كذلك؟ هل قُتل؟".

"الحارس. كان يُفترض به تأدية دور سانتا للأطفال في الفندق. كيف حالك؟".

قالت إيفا ليند: "ممتازة".

"أما زلتِ تعملين؟".

"أجل".

راقبها إرليندور. بدت بحال أفضل. ما زالت نحيلة كعادتها، ولكنّ الهالتين اللتين كانتا تحيطان بعينيها الجميلتَين زالتا، ولم يعد خدّاها غائرَين كالسابق. لا يظنّ أنّها اقتربت من المخدّرات منذ ثمانية أشهر تقريباً. ليس

منذ أن أجهضت حملها ودخلت في غيبوبة في المستشفى، وبقيت معلّقة بين الحياة والموت. عندما خرجت من المستشفى انتقلت للعيش معه، ووجدت لنفسها وظيفة ثابتة للمرّة الأولى منذ عامين. وخلال الأشهر القليلة الماضية، استأجرت غرفة في البلدة.

سألها إرليندور: "كيف عرفت مكاني؟".

"لم أتمكّن من الاتّصال بك على هاتفك المحمول، فاتّصلت بالمركز وأخبروني أنّك حجزت غرفة في الفندق. ما الذي يجري؟ لِمَ لا تعود إلى البيت؟".

أجاب إرليندور: "لا أدري حقاً ما أقوله. فترة الأعياد غريبة".

وافقته قائلة: "هذا صحيح". وغرقا في الصمت.

سألها إرليندور: "هل تكلّمتِ مع أخيك؟".

أجابت إيفا ليند: "ما زال سيندري يعمل خارج المدينة". وصدرت هسهسة عن السيجارة وهي تحترق حتّى بلغت الفيلتر، فتساقط الرماد على الأرض. بحثت عن منفضة للسجائر ولكنّها لم تجد واحدة، فأوقفت السيجارة على طرفها على المكتب وتركتها تحترق.

"وماذا عن أمّك؟". كانت الأسئلة هي نفسها دائماً، وإجاباتها متشابهة عموماً.

"بخير، تكدح كالعادة".

لم يقل إرليندور شيئاً. راقبت إيفا ليند دخان السيجارة وهو يتصاعد فوق المكتب.

قالت وهي تحدّق إلى الدخان: "لا أدري إذا كنتُ قادرة على الاحتمال أكثر من ذلك".

نظر إرليندور إلى الأعلى من تحت غطائه.

سمعا طرقة على الباب فتبادلا نظرات الاستغراب، وقفت إيفا ليند وفتحت الباب. كان أحد الموظّفين واقفاً في الممرّ، مرتدياً سترة الفندق. قال إنّه يعمل في الاستقبال.

"التدخين ممنوع هنا". كان هذا أوّل ما قاله عندما نظر إلى داخل الغرفة.

قال إرليندور، الجالس بسرواله الداخلي تحت اللحاف: "طلبتُ منها إطفاءها، ولكنّها لم تصغِ إليّ".

قال الرجل: "ليس مسموحاً أيضاً استقبال فتيات في الغرف، بسبب ما حدث".

ابتسمت إيفا ليند، ونظرت إلى أبيها. نظر إرليندور إلى ابنته ومن ثمّ إلى الموظّف.

تابع هذا الأخير: "قيل لنا إنّ فتاة أتت إلى هنا. هذا غير مسموح، عليك الرحيل، الآن".

وقف عند الباب، منتظراً أن ترافقه إيفا ليند. وقف إرليندور واللحاف لا يزال حول كتفَيه، ومشى نحو الرجل.

قال: "إنّها ابنتي".

"بالطبع". قال الرجل ذلك وكأنّ الأمر لا يعنيه إطلاقاً.

قالت إيفا ليند: "حقاً".

نظر الرجل إلى كلّ منهما بدوره، ثم قال: "لا أريد أيّ مشاكل".

قالت إيفا ليند: "إذاً، ارحل واتركنا بسلام".

وقف الرجل وهو ينتقل بنظراته بين إيفا ليند وإرليندور الذي كان يرتدي سرواله الداخلي فقط، ويغطي نفسه باللحاف، ولم يتزحزح من مكانه.

قال إرليندور: "ثمّة خطب في جهاز التدفئة هنا، فهو لا يعمل".

قال الرجل: "عليها المجيء معي".

نظرت إيفا ليند إلى أبيها وهزّت كتفَيها.

قالت: "سنتحدّث لاحقاً، أنا لا أتعاطى تلك القذارة".

سألها إرليندور: "ماذا تعنين حين قلت إنّكِ ما عدت قادرة على الاحتمال أكثر من ذلك؟".

قالت إيفا ليند: "سنتحدّث لاحقاً". وتوجّهت نحو الباب.

ابتسم الرجل لإرليندور.

سأله إرليندور: "هل ستفعل شيئاً بخصوص جهاز التدفئة هنا؟".

فأجابه: "سأُبلغ موظفي الصيانة". وأغلق الباب.

عاد إرليندور للجلوس على طرف السرير. كانت إيفا ليند وسيندري سناير ثمرتي زواج فاشل انتهى قبل أكثر من عشرين عاماً. ولم يكن إرليندور على اتّصال بولديه بعد الطلاق. فقد حرصت زوجته السابقة هالدورا على ذلك. إذ شعرت بأنّها قد تعرضت للخيانة، واستعملت الولدَين للانتقام. استسلم إرليندور لذلك، ولكنّه ندم في ما بعد لعدم إصراره على حقّه برؤية ولدَيه. ندم لأنّه ترك المسؤوليّة لهالدورا بالكامل. وعندما كبرا بحثا عنه بنفسيهما. كانت ابنته تتعاطى المخدّرات، وابنه قد خضع لإعادة تأهيل بسبب الإدمان على الشراب.

عرف ما عنَته إيفا ليند عندما قالت إنّها لم تعد قادرة على الاحتمال. فهي لم تخضع للعلاج، ولم تلجأ إلى أيّ مؤسّسة لمساعدتها في محنتها، بل عالجت نفسها بنفسها. لطالما كانت كتومة، وحقودة، وعنيدة عندما يُطرح موضوع نمط حياتها. وحتّى عندما أصبحت حاملاً، لم تتمكّن من التخلّي عن إدمانها. قامت بمحاولات، وتوقّفت لفترة، ولكنها لم تكن تملك التصميم الكافي لتُقلع عنه نهائيًّا. حاولت، وعرف إرليندور أنّها كانت جادّة في ذلك، ولكنّ الأمر لم يكن سهلاً، فكانت ترجع إلى عادتها القديمة دائماً. لا يعرف ما الذي جعلها تُدمن على المخدّرات بهذا الشكل، بحيث أعطتها الأولويّة على كلّ شيء في حياتها. لا يدري ما هي جذور هذا التدمير الذاتيّ، ولكنّه أدرك أنّه خذلها بشكل من الأشكال، وأنّه ملام هو أيضاً إلى حدّ ما بسبب الوضع الذي آلت إليه.

جلس قرب سرير إيفا ليند في المستشفى عندما كانت في غيبوبة، وتكلّم معها لأنّ الطبيب قال إنّها قد تسمع صوته وتشعر حتّى بوجوده. استفاقت بعد بضعة أيّام، وأوّل ما طلبته كان رؤية أبيها. كانت ضعيفة إلى حدّ أنّها بالكاد استطاعت الكلام. عندما زارها كانت نائمة، فجلس قربها وانتظرها حتّى تستيقظ.

أخيراً، عندما فتحت عينَيها ورأته، بدا أنّها تحاول الابتسام، ولكنّها أجهشت بالبكاء فوقف واحتضنها. راحت ترتجف بين ذراعَيه، فحاول تهدئتها، ثمّ أسندها إلى الوسادة، ومسح الدموع عن عينيها.

سألها وهو يمسح خدّيها ويحاول الابتسام لها مشجّعاً: "أين كنتِ كلّ هذه الأيّام الطويلة؟".

سألته: "أين الطفلة؟".

"ألم يخبروك بما حدث؟".

"فقدتها. لم يخبروني عن مكانها. لم يُسمح لي برؤيتها. إنهم لا يثقون بي...".

"كنتُ على وشك فقدانك".

"أين هي؟".

كان إرليندور قد رأى الفتاة الصغيرة التي وُلدت ميتة في غرفة العمليّات، فتاة صغيرة كان من الممكن تسميتها أودور.

سألها: "هل تريدين رؤية الطفلة؟".

قالت إيفا ليند بصوت منخفض: "سامحني".

"على ماذا؟".

"على ما أنا عليه، وعلى ما حدث للطفلة...".

"لست بحاجة إلى مسامحتك على ما أنت عليه، إيفا. لا يجب أن تعتذري على ما أنت عليه".

"بلى".

"مصيرك ليس بين يدَيك أنت وحدك".

"هلاّ...؟".

توقّفت إيفا ليند عن الكلام واستلقت على السرير منهكة. انتظر إرليندور صامتاً حتّى استجمعت قواها. مرّ وقت طويل، وأخيراً نظرت إلى أبيها.

سألته قائلة: "هلاّ ساعدتني على دفنها؟".

أجاب: "بالطبع".

قالت إيفا: "أريد رؤيتها".

"هل تظنّين...؟".

كرّرت طلبها: "أريد رؤيتها. أرجوك، دعني أراها".

بعد لحظة من التردّد، ذهب إرليندور إلى المشرحة وأحضر جثّة الفتاة التي أطلق عليها بينه وبين نفسه اسم أودور، لأنّه لم يشأ أن تبقى بلا اسم. حمل الجثّة عبر رواق المستشفى في منشفة بيضاء، لأنّ إيفا كانت ضعيفة جداً، ولا يمكنها الذهاب لرؤيتها، وأحضرها إلى غرفة العناية المشدّدة. حملت إيفا طفلتها، ونظرت إليها، ومن ثمّ إلى أبيها.

قالت بصوت منخفض: "إنّها غلطتي".

اعتقد إرليندور أنّ دموعها على وشك الانهمار، وفوجئ حين ظلّت متماسكة. بدا عليها هدوء أخفى اشمئزازها من نفسها.

قال: "ابكي إن أردت".

نظرت إليه إيفا، ثم قالت: "لا أستحقّ البكاء".

جلست على كرسيّ مدولب في مقبرة فوسفوغور، وراقبت الكاهن وهو يرمي ملء ثلاثة رفوش من التراب على التابوت بحزم وقسوة. تمكّنت من الوقوف بصعوبة، ولكنّها دفعت إرليندور بعيداً عندما اقترب منها لمساعدتها. اقتربت من قبر ابنتها وارتجفت شفتاها، ولم يعرف إرليندور ما إذا كانت تقاوم البكاء أو تتلو صلاة صامتة.

كان يوماً ربيعيًّا جميلاً، وسطح الماء يلمع تحت أشّعة الشمس في الخليج، وكان بالإمكان رؤية الناس وهم يتنزّهون في هذا الطقس الجميل

عند سناير وسيندري ،منه مسافة على هالدورا وقفت . [2] نوثولسفيك في
،بينهم أكبر مسافة وضع الممكن من يكن لم .والده عن بعيداً ،القبر طرف
فكّر .حياتهم بؤس سوى بينهم يجمع لا الأشخاص من متباعدة مجموعة
،هلدورا إلى نظر .تقريباً قرن ربع منذ تجتمع لم العائلة أنّ في إرليندور
.إليه تحدّثت هي ولا ،إليها يتحدّث لم .إليه النظر تجنّبت التي

تهاوت إيفا ليند مجدّداً على كرسيّها المدولب، واقترب منها إرليندور وسمعها تتأوّه.

"تبًّا".

خرج إرليندور من أفكاره عندما تذكّر شيئاً قاله موظّف الاستقبال وأراد الإصرار للحصول على تفسير له. وقف، ثمّ خرج إلى الرواق، ورأى الرجل يختفي في المصعد. لم يرَ إيفا في أيّ مكان. نادى الرجل الذي أمسك باب المصعد، وعاد خطوة إلى الخلف ليرى إرليندور واقفاً أمامه، حافي القدمَين، بسرواله الداخلي واللحاف ما زال يلفّ جسده.

سأله إرليندور: "ماذا عنَيت بقولك، بسبب ما حدث ؟".

كرّر الرجل وقد بدت عليه الحيرة: "بسبب ما حدث؟".

"قلتَ إنّني لا أستطيع استقبال الفتاة في غرفتي بسبب ما حدث".

"أجل".

"كنت تعني ما حدث لسانتا في القبو؟".

"أجل. ماذا تعرف عن...".

نظر إرليندور إلى سرواله الداخلي وتردّد للحظة.

قال: "أنا أشارك في التحقيق، تحقيق الشرطة".

نظر إليه الرجل، وبدا عليه عدم التصديق.

بادر إرليندور إلى القول: "لماذا ربطتَ الأمرَين ببعضهما على هذا النحو".

قال الرجل باضطراب: "لا أفهم".

"إذاً، لو لم يُقتل سانتا لما كانت هناك مشكلة في استقبال الفتاة في الغرفة، هذا ما قلتَه. هل فهمت ما أعنيه؟".

قال الرجل: "كلاّ. هل قلتُ بسبب ما حدث ؟ لا أذكر ذلك".

"قلتَ ذلك للتوّ، ليس مسموحاً للفتاة بالبقاء في غرفتي بسبب ما حدث. ظننتَ ابنتي...". حاول إرليندور استعمال تعبير لائق، ولكنّه فشل. "ظننتَ ابنتي صديقة لي، وأتيتَ لإخراجها من غرفتي لأنّ سانتا قُتل. لو لم

يحدث ذلك، لَما منعتم وجود فتاة في الغرفة. هل كنتم تسمحون بدخول فتيات إلى الغرف عندما كان كلّ شيء على ما يرام؟".

نظر الرجل إلى إرليندور.

"ماذا تعني بقولك فتيات؟".

قال إرليندور: "مومسات. هل كانت المومسات يأتين إلى الفندق، ويتنقّلن بين الغرف، وكنتم تتجاهلون ذلك حتّى وقع هذا الحادث؟ ما علاقة سانتا بذلك؟ هل له علاقة بهذا الأمر بشكل من الأشكال؟".

قال الرجل: "لا فكرة لديّ عمّا تتحدّث عنه".

غيّر إرليندور سياسته.

"أفهم أنّكم ترغبون بالتزام جانب الحذر بسبب وقوع جريمة في الفندق. فأنتم لا تريدون جذب الانتباه إلى أيّ أمر غير اعتيادي أو غير طبيعي حتّى لو كان بريئاً، ولا بأس في ذلك. بإمكان الناس أن يفعلوا ما يشاءون وأن يدفعوا مقابل ذلك. ما أريد معرفته هو ما إذا كان لسانتا علاقة بأعمال المومسات في هذا الفندق".

قال الرجل: "لا أدري شيئاً عن عملهنّ. كما رأيت، نحن نراقب الفتيات اللواتي يدخلن الغرف من تلقاء أنفسهنّ. هل كانت تلك ابنتك حقاً؟".

أجاب إرليندور: "أجل".

"لقد شتمتني".

"إنها هي بعينها".

أغلق إرليندور باب غرفته خلفه، ثمّ تمدّد على السرير، وسرعان ما استغرق في النوم. راح يحلم أنّ السماء تتناثر عليه، وأنّه يسمع صوت الطواحين وهي تدور في الهواء.

اليوم الثاني

5

لم يكن مدير الاستقبال قد وصل إلى الفندق بعد عندما نزل إرليندور إلى البهو وسأل عنه. لم يعطِ أيّ تفسير لغيابه، ولم يتّصل ليعتذر بسبب المرض أو حاجته إلى يوم عطلة للقيام ببعض الأشغال. قالت سيّدة في الثلاثينات من عمرها تعمل في مكتب الاستقبال لإرليندور إنّه من غير المعتاد عدم حضور مدير الاستقبال في الوقت المحدّد، فهو رجل شديد الالتزام بالمواعيد، ولا تفهم لماذا لم يتّصل إن كان مضطرًّا إلى التأخّر.

قالت ذلك لإرليندور على مرحلتَين، بينما قام موظّف من قسم الأحياء في المستشفى الوطني بأخذ عيّنة من لعابها. كان ثمّة ثلاثة فنّيين أحيائيين يقومون بجمع عيّنات من العاملين في الفندق، بينما ذهبت مجموعة أخرى إلى منازل الموظّفين الذين لم يأتوا إلى العمل. قريباً ستتوفّر لدى الفريق أحماض نوويّة ريبيّة منقوصة من موظّفي الفندق بأكمله لمقارنتها باللعاب الذي وُجد على الواقي.

استجوب التحرّيون الموظّفين بخصوص معرفتهم بغودلاوغور، وسألوهم عن مكان تواجد كلّ منهم عصر اليوم الفائت. شاركت إدارة البحث الجنائي في ريكيافيك بأكملها في هذا التحقيق بينما تمّ جمع المعلومات والأدلّة.

سأل سيغوردور أولي: "ماذا عن الأشخاص الذين تركوا العمل مؤخّراً، أو منذ عام مضى أو أكثر، ويعرفون سانتا؟". جلس أولي قرب إرليندور في قاعة الطعام، وراح يتفرّج عليه وهو يتناول سمك الرنكة مع خبز الجودار، واللحم البارد، والخبز المحمّص، ويرتشف القهوة الساخنة.

قال إرليندور، وهو يرتشف قهوته: "لنرَ ما يمكننا أن نتوصل إليه من هذه المعلومات كبداية. هل عرفتَ شيئاً عن غودلاوغور هذا؟".

"ليس الكثير. لا يبدو أنّه يمكن قول الكثير عنه. كان في الثامنة والأربعين، أعزب، وبلا أطفال. عمل هنا خلال السنوات العشرين الماضية تقريباً. وكما فهمت، عاش في تلك الغرفة الصغيرة في القبو منذ سنوات. كان يُفترض أن تكون حلاًّ مؤقّتاً حينذاك، كما فهمتُ من ذلك المدير السمين. ولكنّه يقول إنّه غير مطّلع على المسألة، وطلب منّا التحدّث مع المدير السابق، فهو الذي عقد ذلك الاتّفاق مع سانتا. يعتقد أنّ غودلاوغور خسِر الشقّة التي كان يستأجرها، وسُمح له بالاحتفاظ بأشيائه في تلك الغرفة، ولكنّه لم يرحل قطّ".

صمت سيغوردور أولي ثمّ قال: "قالت لي إلينبورغ إنّك مكثتَ في الفندق في الليلة الماضية".

"بالكاد أنصح به. كانت الغرفة باردة، والموظّفون لا يمنحونك دقيقة هدوء. ولكنّ الطعام جيّد. أين هي إلينبورغ؟".

كانت قاعة الطعام مزدحمة، ونزلاء الفندق يُحدثون جلبة وهم يتناولون طعام الفطور. كان معظمهم سيّاحاً يرتدون القمصان الأيسلندية التقليديّة، وملابس شتوية سميكة، وينتعلون أحذية عالية مع أنّهم لن يذهبوا إلى أبعد من وسط المدينة، الواقع على بعد مسافة عشر دقائق من هنا. حرص النُدُل على إعادة ملء فناجين القهوة، وأخذ الصحون المستعملة، بينما راحت أغاني الميلاد تتصاعد بصوت منخفض من جهاز الموسيقى.

قال سيغوردور أولي: "تبدأ جلسة الاستماع الأساسية اليوم. أنت تعرف، أليس كذلك؟".

"أجل".

"إلينبورغ هناك. كيف ستنتهي برأيك؟".

"أظنّ أنّها ستبقى عالقة لشهرين من الزمن. هذا ما يحدث دائماً مع أولئك القضاة اللعينين".

"لن يُسمح له بالتأكيد الاحتفاظ بالصبيّ".

قال إرليندور: "لا أدري".

قال سيغوردور أولي: "النذل، يجدر بهم تعذيبه في ساحة البلدة".

كانت إلينبورغ هي المكلّفة بالتحقيق. إذ تمّ نقل صبيّ في الثامنة من عمره إلى المستشفى بعد تعرّضه لضرب عنيف. لم يتمكّن أحد من الحصول على كلمة منه عن الاعتداء. أفادت النظريّة الأوّلية أنّ أولاداً أكبر منه سنًّا هاجموه خارج المدرسة وضربوه بعنف بحيث أُصيب بكسر في ذراعه وآخر في عظم خدّه، فيما تقلقلت سنّان من أسنانه العلوية. وُجد متكوّراً في البيت في حالة فظيعة. أبلغ والده الشرطة بالأمر عندما عاد من عمله بعد وقت قصير. فحضرت سيّارة إسعاف ونقلت الطفل إلى المستشفى.

كان الصبيّ ابناً وحيداً، وكانت أمّه في مستشفى للأمراض العقليّة في كليبور عندما وقع الحادث. يعيش الطفل مع أبيه الذي يملك شركة إنترنت، ويديرها، في منزل كبير وجميل مؤلّف من طابقَين، يُشرف على المدينة، ويقع في ضاحية برايدهولت. بالطبع، شعر الأب بالحزن بعد الحادث، وتكلّم عن رغبته بالانتقام من الأولاد الذين آذَوا ابنه بهذا الشكل. وقد أصرّ على

إلينبورغ لكي تتمّ محاكمتهم.

ما كان يمكن لإلينبورغ أن تكتشف الحقيقة مطلقاً لو أنّهما لا يعيشان في منزل مؤلّف من طابقَين، وغرفة الصبيّ في الطابق العلويّ.

قال سيغوردور أولي: "إلينبورغ تتعاطف مع هذه القضية على نحو مبالغ فيه، فهي لديها ابن في السنّ نفسها".

قال إرليندور: "لا يجب أن تدع هذا الأمر يؤثّر فيك كثيراً".

"ماذا تقول؟".

تعكّر هدوء قاعة الطعام بصوت صدر من المطبخ. رفع جميع الضيوف رؤوسهم، ونظروا إلى بعضهم بعضاً. كان ثمّة رجل يصيح بصوت عالٍ بسبب شيء ما. وقف إرليندور وسيغوردور أولي وذهبا إلى المطبخ. كان ذاك الصوت صوت رئيس الطهاة الذي قبض على إرليندور وهو يمدّ يدَه إلى لسان الثور. كان يصبّ غضبه على موظّفة قسم الأحياء التي أرادت أخذ عيّنة من لعابه.

"... وارحلي من هنا أنتِ وأدواتك التافهة!". صرخ الطاهي بذلك في وجه امرأة في الخمسين من عمرها، معها علبة عيّنات صغيرة مفتوحة على الطاولة. بقيَت تصرّ بتهذيب على الرغم من غضبه، ولم يهدّئ هذا الأمر من غضبه. وعندما رأى إرليندور وسيغوردور أولي، تضاعف سخطه.

صاح قائلاً: "هل أنتم مجانين؟ هل تظنّون أنّني كنت في الأسفل مع غولي؟ هل فقدتم عقولكم؟ يا لكم من أغبياء! مستحيل، مستحيل. لا آبه بما تقولينه! يمكنكم وضعي في زنزانة ورمي المفاتيح في بئر، ولكنّني لن أشارك في هذه المسرحيّة الفاشلة! كونوا أكيدين من ذلك، أيّها الأغبياء!".

خرج الطاهي من المطبخ، وهو يغلي بسخط ذكوريّ، خفّفت من أثره قبّعته البيضاء الشبيهة بالمدخنة، فبدأ إرليندور يبتسم. نظر إلى الموظّفة التي ابتسمت له وبدأت تضحك. خفّت حدّة التوتّر في المطبخ، وراح الطهاة والنُدُل الذين تجمّعوا حولهم يضحكون.

سأل إرليندور المرأة: "هل تواجهين مشاكل؟".

أجابت: "كلاّ، إطلاقاً. الجميع متفهّم حقاً، وهو أوّل من يعترض".

ابتسمت، وفكّر إرليندور في أنّ ابتسامتها جميلة. كانت بمثل طوله تقريباً، ذات شعر قصير غزير وأشقر، ترتدي سترة صوفيّة ملوّنة، أزرارها مغلقة من الأمام. وكانت ترتدي تحت السترة قميصاً أبيض، مع سروال جينز وتنتعل حذاءً جلدياً أسود أنيقاً.

قال على نحو تلقائيّ تقريباً، وهو يمدّ يدَه: "اسمي إرليندور".

بدا عليها بعض الارتباك.

قالت وهي تصافح يده: "أهلاً، أنا فالغردور".

كرّر اسمها: "فالغردور؟". لم يرَ خاتم زواج في يدها.

رنّ هاتف إرليندور الذي كان يضعه في جيبه.

أجاب قائلاً: "المعذرة". سمع صوتاً عجوزاً مألوفاً يطلب التحدّث معه.

سأله الصوت: "أهذا أنت؟".

أجاب: "نعم، هذا أنا".

قال الصوت: "لن أفهم أبداً هذه الهواتف المحمولة. أين أنت؟ هل أنت في الفندق؟ ربّما كنتَ مسرعاً إلى مكان ما، أو في المصعد".

"أنا في الفندق". وضع إرليندور يدَه على السمّاعة، وطلب من فالغردور الانتظار للحظة، ثمّ عاد إلى قاعة الطعام وخرج منها إلى البهو. كان ماريون بريم هو المتكلّم.

سأله ماريون: "هل تنام في الفندق؟ هل ثمّة خطب ما؟ لماذا لا تذهب إلى منزلك؟".

كان ماريون بريم قد عمل في قسم تحقيق الشرطة القديم عندما كانت تلك المؤسّسة موجودة، وكان ناصح إرليندور. كان هناك عندما انضمّ إرليندور إلى المؤسّسة، وعلّمه أسرار مهنة التحرّي. في بعض الأحيان، كان ماريون يتّصل بإرليندور ويتذمّر لأنّه لا يزوره. ولكنّ إرليندور لم يحبّ فعلاً رئيسه السابق، ولم يشعر بالرغبة في إعادة تقييم مشاعره مع تقدّم ماريون في السنّ. ربّما لأنّهما متشابهان جداً، ربّما لأنّه رأى في ماريون مستقبله وأراد تجنّبه. فماريون يعيش وحيداً، ويكره شيخوخته.

سأله إرليندور: "لماذا تتّصل؟".

أجاب ماريون: "ما زال بعض الأشخاص يضعونني في الصورة، حتّى وإن كنتَ لا تفعل ذلك".

كان إرليندور على وشك إنهاء المكالمة، ولكنّه منعَ نفسه. فقد ساعده ماريون في الماضي، من دون أن يطلب منه ذلك. لا يجب أن يكون فظًّا معه.

سأله إرليندور: "هل يمكنني مساعدتك في أيّ شيء؟ بماذا يمكنني مساعدتك؟".

"أعطني اسم الرجل. قد أجد شيئاً أغفلتَه أنت".

"أنت لا تستسلم أبداً".

قال ماريون: "أشعر بالملل. لا يمكنك أن تتخيّل كم أشعر بالملل.

تقاعدتُ منذ عشرة أعوام تقريباً، وكلّ يوم يمرّ عليّ هو أشبه بعام، لا بل بألف عام".

قال إرليندور: "ثمّة أمور كثيرة يمكن للكبار في السنّ القيام بها. هل جرّبت الشطرنج؟".

صاح ماريون بصوته الخشن: "الشطرنج".

أعطاه إرليندور اسم غودلاوغور، وأطلع ماريون بإيجاز على ملابسات الجريمة ثمّ ودّعه. رنّ هاتفه على الفور بعد ذلك.

ردّ قائلاً: "نعم".

قال صوت عبر الهاتف: "وجدنا ملاحظة في غرفة غودلاوغور". كان المتّصل هو رئيس فريق الطبّ الشرعي.

"ملاحظة؟".

"كُتب فيها: هنري 18:30".

"هنري؟ انتظر لحظة، متى عثرت الفتاة على سانتا؟".

"قرابة الساعة السابعة".

"إذاً، لا شكّ في أنّ هنري هذا كان في غرفته عندما قُتل؟".

"لا أدري. ثمة أمر آخر".

"تابِع".

"من الممكن أنّ سانتا كان يملك الواقي. فقد وجدنا علبة منها في جيب زيّ العمل الذي يستخدمه. إنّها علبة من عشر قطع، ثلاث منها ناقصة".

"هل ثمّة أمر آخر؟".

"كلاّ، مجرد محفظة تحتوي على ورقة نقديّة بقيمة خمسمئة كرونور، وبطاقة هويّة قديمة، وإيصال من السوبرماركت يرجع تاريخه إلى أوّل أمس. آه، صحيح، وعلاّقة مفاتيح تحتوي على مفتاحَين".

"أيّ نوع من المفاتيح؟".

"يبدو أحدهما مفتاح منزل، ولكنّ الآخر قد يكون مفتاح صندوق أو شيء من هذا القبيل. فهو يبدو أصغر بكثير".

ودَّعا بعضهما وبحث إرليندور عن موظّفة قسم الأحياء، ولكنّها كانت قد رحلت.

كان في الفندق نزيلان يحملان اسم هنري. هنري بارتليت، وهو أميركي، وهنري وابشوت، بريطاني. لم يُجب الأخير عندما تمّ الاتّصال بغرفته، ولكنّ بارتليت كان هناك وبدا عليه الاستغراب عندما اكتشف أنّ الشرطة

الأيسلندية تودّ التحدّث معه. من الواضح أنّ رواية مدير الفندق عن إصابة العجوز بذبحة قلبيّة قد انتشرت.

اصطحب إرليندور سيغوردور أولي معه لمقابلة هنري بارتليت. كان سيغوردور أولي قد درس علم الجريمة في الولايات المتّحدة، وهذا ما بعث الفخر في نفسه. فهو يتحدّث الإنكليزية بطلاقة وكأنّه أميركي، ومع أنّ إرليندور يكره اللكنة الأميركية، إلاّ أنّه تكيّف مع الأمر. في طريقهما إلى الطابق الذي ينزل فيه بارتليت، أخبر سيغوردور أولي إرليندور أنّهم قد تحدّثوا مع معظم موظّفي الفندق الذين كانوا في عملهم عندما تعرّض غودلاوغور للقتل. وقد قدّم الجميع أعذاراً، وسمّوا أشخاصاً يدعمون رواياتهم.

كان بارتليت في الثلاثين من عمره تقريباً، سمسار بورصة من كولورادو. شاهد هو وزوجته برنامجاً عن أيسلندا على التلفاز قبل بضع سنوات، وسحرتهما المشاهد الخلاّبة والبلو لاغون [3] . ومنذ ذلك ،الوقت أتيًا إلى البلد ثلاث .مرّات وقرّرا تحقيق ،حلمهما وتمضية عطلة الأعياد في أرض الشتاء .النائية فتنتهما المناظر ،الجميلة ولكنّهما وجدا أسعار المطاعم باهظة .المدينة في

هزّ سيغوردور أولي رأسه موافقاً. بالنسبة إليه، أميركا بلاد ساحرة. فسُرَّ بلقاء الزوجين وراح يتحدّث معهما عن البيسبول، واستعدادات الميلاد الأميركية، إلى أن اكتفى إرليندور من ذلك ووكزه ليتوقّف.

شرح سيغوردور أولي ملابسات مقتل الحارس، وأخبرهما عن الملاحظة التي تمّ العثور عليها في غرفته. حدّق السيّد والسيّدة هنري بارتليت إلى الشرطيَّين، وكأنّهما انتقلا إلى كوكب آخر.

سأله سيغوردور أولي عندما رأى شدّة استغرابهما: "لم تكونا على معرفة بالحارس، أليس كذلك؟".

قال هنري بصوت حزين: "جريمة؟ في هذا الفندق؟".

قالت زوجته: "ربّاه". وجلست على السرير المزدوج.

قرّر سيغوردور أولي عدم ذكر الواقي. شرح لهما أنّ الملاحظة تُشير إلى أنّ غودلاوغور رتّب موعداً مع رجل يُدعى هنري، ولكنّهم لا يعرفون في أيّ يوم، وما إذا كان اللقاء قد تمّ، أو يُفترض أن يتمّ بعد يومين، أو أسبوع، أو عشرة أيّام.

أنكر هنري بارتليت وزوجته بشكل قاطع معرفتهما بالحارس. حتّى إنّهما لم ينتبها إليه عندما وصلا إلى الفندق قبل أربعة أيّام. ومن الواضح أنّ أسئلة إرليندور وسيغوردور أولي أزعجتهما.

قال هنري: "ربّاه، جريمة!".

قالت زوجته، وتُدعى سيندي، كما أخبرَت سيغوردور أولي عندما ألقى عليها التحيّة: "لديكم قتَلة في أيسلندا؟". ونظرت إلى المنشور الأيسلندي الموضوع على الطاولة قرب السرير.

فأجاب وهو يحاول الابتسام: "نادراً".

قال سيغوردور أولي وهما ينتظران المصعد للنزول إلى الأسفل: "ليس بالضرورة أن يكون هنري هذا نزيلاً في الفندق. قد لا يكون أجنبيًّا، فثمّة أيسلنديون يحملون اسم هنري".

6

كان سيغوردور أولي قد عثر على مدير الفندق السابق، فودّع إرليندور عندما وصلا إلى البهو وذهب للقائه. سأل إرليندور عن مدير الاستقبال، ولكنّه لم يكن قد جاء إلى العمل بعد ولم يتّصل. أمّا هنري وابشوت، فترك مفاتيح غرفته في مكتب الاستقبال في وقت باكر من ذلك الصباح من دون أن يراه أحد. كان قد أمضى أسبوعاً في الفندق تقريباً ومن المتوقّع أن يبقى ليومين آخرَين. طلب إرليندور إبلاغه فور عودة وابشوت.

مرّ مدير الفندق قرب إرليندور.

قال: "أرجو ألاّ تُسبّب الإزعاج لضيوفي".

أخذه إرليندور جانباً.

سأله بشكل مباشر وهما يقفان قرب الشجرة في البهو: "ما هي القواعد المتعلّقة بأعمال المومسات في هذا الفندق؟".

"المومسات ؟ ما الذي تتحدّث عنه؟". أطلق المدير تنهيدة عميقة، ومسح عنقه بمنديله البالي.

نظر إليه إرليندور متوجّساً.

قال المدير: "ما هذا الهراء الذي تتحدّث عنه؟".

"هل كان الحارس متورّطاً مع مومسات؟".

قال المدير: "كفى، لا توجد مومسات في هذا الفندق".

"ثمّة مومسات في جميع الفنادق".

قال المدير: "حقاً؟ هل تتكلّم وفقاً لتجربة ما؟".

لم يُجبه إرليندور.

قال المدير بنبرة مصدومة: "هل تقول إنّ الحارس كان يعمل قوّاداً؟ لم أسمع يوماً بسخافة كهذه. هذا ليس نادياً للعراة، إنّه أحد أكبر الفنادق في ريكيافيك!".

"ما من نساء في المقاهي أو في البهو يُطاردن الرجال خلسة؟ ويُرافقنهم إلى غرفهم؟".

تردّد المدير. بدا وكأنّه يريد تجنّب معاداة إرليندور.

قال أخيراً: "هذا فندق كبير، لا يمكننا مراقبة كلّ ما يدور فيه. إن رأينا مومسات فنحن نحاول منعهن من دخول الفندق، ولكنّها مسألة يصعب التعامل معها. فالنزلاء أحرار في ما يفعلونه في غرفهم".

"إنهم سيّاح ورجال أعمال، وضيوف من أهل البلد، هكذا وصفتَ

النزلاء، أليس كذلك؟".

"أجل، وكثير غيرهم بالطبع. ولكن هذا ليس نزلاً رخيصاً. إنّه مؤسّسة على مستوى عالٍ، ولا تدور فيها أمور مشبوهة. بالله عليك، لا تقم بنشر هذه الإشاعة. فالمنافسة قويّة بما يكفي، ومن الصعب جداً التخلّص من وصمة الجريمة".

صمت المدير قليلاً ثم سأله: "هل ستستمرّ بالنوم في هذا الفندق؟ أليس هذا الأمر شديد الغرابة؟".

ابتسم إرليندور قائلاً: "الشيء الوحيد الغريب هو السانتا المقتول في قبوك".

رأى موظّفة قسم الأحياء تخرج من المطبخ وتغادر مقهى الطابق الأرضي حاملة حقيبة العيّنات بيدها، فودّع المدير بهزّة من رأسه واتّجه نحوها. كانت تدير ظهرها إليه وتسير باتّجاه غرفة المعاطف نحو باب جانبي.

سألها إرليندور: "كيف تسير الأمور؟".

التفتت نحوه وعرفته على الفور، ولكنّها تابعت مسيرها.

سألته وهي تدخل غرفة المعاطف وتتناول معطفاً من أحد المشاجب: "هل أنت الشخص المكلّف بالتحقيق؟". وطلبت من إرليندور أن يحمل حقيبة العيّنات.

أجاب: "يسمحون لي بالتسكّع هنا".

قالت: "لم يحبّ الجميع فكرة عيّنات اللعاب، ولا أعني رئيس الطهاة وحده".

"نحن نقوم قبل كلّ شيء باستبعاد الموظّفين من تحقيقاتنا، ظننت أنّه طُلب منك إعطاء هذا التفسير".

"لم ينجح ذلك. هل لديك غيره؟".

قال إرليندور من دون أن يجيب عن سؤالها: "فالغردور هو اسم أيسلندي قديم، أليس كذلك؟". ابتسمت.

"إذاً، أنت لست مخوّلاً بالتحدّث عن التحقيق؟".

"كلاّ".

"هل تمانع؟ أعني، كون اسمي قديماً؟".

أجاب متلعثماً: "أنا؟ كلاّ، أنا...".

قالت فالغردور وهي تمدّ يدها لتتناول حقيبتها: "هل ثمّة أمر معيّن؟". ابتسمت لهذا الرجل الواقف أمامها مرتدياً كنزته الصوفيّة تحت سترة ذات

كمين باليين عند المرفقين، والذي ينظر إليها بعينَين حزينتَين. كانا في السنّ نفسها، ولكنّها بدت أصغر منه بعشر سنوات.

ومن دون أن يدرك إرليندور تماماً ما يفعله، تفوّه بجملته. كان ثمّة أمر ما يتعلّق بهذه المرأة، كما أنّه لم يرَ خاتم زواج.

"كنتُ أتساءل ما إذا كنت أستطيع دعوتك إلى "البوفيه" هنا هذه الليلة، فالطعام شهيّ".

قال ذلك من دون أن يعلم شيئاً عنها، وكأنّه لا يتأمّل أن تقبل الدعوة، ولكنّه دعاها مع ذلك وانتظر، وفكّر في أنّها ستبدأ بالضحك على الأرجح، وأنّها متزوجة ولديها أربعة أولاد، ومنزل كبير، وشاليه صيفي، وحفلات تخرّج، وقد زوّجت أكبر أولادها، وتنتظر أن تشيخ بسلام مع زوجها المحبوب.

قالت: "شكراً، هذا لطف منك. ولكن... لسوء الحظ، لا أستطيع. شكراً لك مع ذلك".

أخذت منه حقيبتها، وتردّدت للحظة نظرت فيها إليه، ثمّ ابتعدت خارجة من الفندق. بقيَ إرليندور في غرفة المعاطف، وهو شبه مصدوم. لم يكن قد دعا امرأة للخروج معه منذ سنوات. بدأ هاتفه يرنّ في جيب سترته، فأخرجه أخيراً، وأجاب بشرود. كانت إلينبورغ هي المتصلة.

همست عبر الهاتف: "إنّه يدخل قاعة المحكمة".

قال إرليندور: "عفواً؟".

"الأب أتى مع محاميه. هذا أقلّ ما يحتاج إليه لتبييض صفحته".

سألها إرليندور: "هل ثمّة أحد هناك؟".

"بضعة أشخاص. ويبدو أنّ عائلة أمّ الصبيّ والصحافة هنا هم أيضاً".

"كيف يبدو؟".

"هادئاً كالعادة. يرتدي بذلة ويضع ربطة عنق وكأنّه خارج لتناول العشاء. ليس لديه ذرّة ضمير".

قال إرليندور: "هذا غير صحيح، لديه ضمير بكلّ تأكيد".

كان إرليندور قد ذهب إلى المستشفى مع إلينبورغ للتحدّث مع الصبيّ ما إن سمح لهم الأطبّاء بذلك. في ذلك الوقت، خضع الطفل لجراحة، وكان في جناح مع أطفال آخرين. كان ثمّة رسوم أطفال على الجدران، وألعاب على أسرّتهم، وآباء متعبون يجلسون قربهم، من دون أن يتمكنوا من النوم بسبب قلقهم على أطفالهم.

جلست إلينبورغ قرب الصبي. أخفت الضمادات الملفوفة حول رأسه وجهه؛ باستثناء فمه وعينَيه اللتَين بدا فيهما ارتياب كبير لدى رؤيته الشرطيَّين. كانت ذراعه مجبّرة بالجصّ، ومعلّقة في حلقة صغيرة. كانت الضمادات التي خلّفتها الجراحة مخبّأة تحت اللحاف. فقد تمكّن الأطبّاء من إنقاذ طحاله. قال الطبيب إنّه بإمكانهما التحدّث مع الصبيّ، ولكنّه غير واثق من قدرته على الكلام.

بدأت إلينبورغ بالتكلّم عن نفسها، وأخبرته من تكون وماذا فعلت في الشرطة، وكيف أرادت القبض على الأشخاص الذين آذوه. وقف إرليندور على مسافة منها يراقب، وحدّق الطفل إلى إلينبورغ. كانت تعرف أنّه لا يُفترض بها التكلّم معه إلاّ بوجود أحد أبوَيه. وقد رتّبت هي وإرليندور للقاء الأب في المستشفى، ولكنّ نصف ساعة انقضت من دون أن يأتي.

سألته إلينبورغ عندما شعرت أنّ الوقت قد حان لذلك: "من كان؟".

نظر إليها الصبيّ من دون أن يقول شيئاً.

"من فعل بك ذلك؟ يمكنك إخباري. لن يهاجموك مجدّداً، أعدك بذلك".

ألقى الصبيّ نظرة على إرليندور.

سألته إلينبورغ: "هل هم أولاد من مدرستك؟ الأولاد الكبار. فقد وجدنا أنّ اثنين من المشتبه بهم معروفان بأنّهما مشاغبان. سبق أن ضربا أولاداً مثلك، ولكن ليس بهذا العنف. قالا إنّهما لم يفعلا لك شيئاً، ولكنّنا نعرف أنّهما كانا في المدرسة عندما تعرّضت للضرب".

راقب الولد إلينبورغ بصمت وهي تروي قصّتها. فقد ذهبت إلى المدرسة وتكلّمت مع المدير والأساتذة، ثمّ قصدت منزلي الولدَين لجمع معلومات عنهما، وهناك أنكرا أنهما تعرّضا له. كان والد أحدهما في السجن.

دخل طبيب الأطفال الغرفة. وقال لهما إنّ الطفل بحاجة إلى الراحة، وإنّ عليهما العودة لاحقاً. فهزّت إلينبورغ رأسها وخرجا.

رافق إرليندور إلينبورغ أيضاً إلى منزل الأب في اليوم نفسه. شرح الأب سبب عدم تمكّنه من المجيء إلى المستشفى قائلاً إنّه اضطّر للمشاركة في مؤتمر هامّ على الهاتف مع زملائه في ألمانيا والولايات المتّحدة. قال: "لم يكن متوقّعاً". وعندما تمكّن أخيراً من المغادرة، كانا قد تركا المستشفى.

بينما كان يتحدّث، بدأت شمس الشتاء تشعّ عبر نافذة الردهة، وتُضيء الأرض الرخاميّة والسجّادة التي تُغطّي السلّم. كانت إلينبورغ واقفة تُصغي إليه عندما لاحظت بقعة على سجّادة السلّم، وأخرى على السلّم

فوقها.

كانت البقع صغيرة، وغير مرئيّة تقريباً لولا أشعّة شمس الشتاء التي أضاءتها.

كان قد تمّ تنظيفها تقريباً، وتبدو للوهلة الأولى جزءاً من الرسوم على السجّادة.

وتبيّن لاحقاً أنّها آثار أقدام صغيرة.

قالت إلينبورغ عبر الهاتف: "أما زلتَ معي؟ إرليندور؟ أما زلتَ على الخطّ؟".

عاد إرليندور إلى الواقع.

قال: "أعلميني حين يغادر". وأقفلا الخطّ.

كان رئيس الندل في الفندق في سنّ الأربعين تقريباً، نحيلاً جداً، يرتدي بذلة سوداء، وينتعل حذاءً جلديًّا أسود لامعاً. كان في حجرة صغيرة بجانب قاعة الطعام، يتحقّق من حجوزات تلك الأمسية. عندما عرّفه إرليندور على نفسه وطلب منه التحدّث معه لبعض الوقت، رفع رأسه عن دفتر الحجوزات المغضّن، فبدا وجهه بشاربه الأسود الرقيق، ولحيته القصيرة الداكنة التي يتعيّن عليه حلقها مرّتين يوميًّا كما يبدو، وبشرته السمراء، وعينَيه البنّيتَين.

قال الرجل الذي يُدعى روزانت: "لم أكن أعرف غولي إطلاقاً. ما حدث له رهيب. هل توصّلتم إلى أيّ شيء؟".

قال إرليندور باقتضاب: "لا شيء إطلاقاً".

كان ذهنه مركّزاً على موظّفة قسم الأحياء، والأب الذي ضرب ابنه، وكان يفكّر بابنته إيفا ليند التي قالت إنّها لم تعد قادرة على الاحتمال. مع أنّه عرف ما تعنيه، إلاّ أنّه تمنّى أن يكون مخطئاً. قال إرليندور: "أنتم مشغولون في فترة الأعياد، أليس كذلك؟".

"نحن نحاول استغلال الموسم قدر الإمكان. نحاول ملء قاعة الطعام ثلاث مرّات لكلّ "بوفيه"، وهذا صعب جداً. كما أنّ الجريمة التي وقعت في القبو لا تساعد".

قال إرليندور من دون اكتراث: "كلاّ. إذاً، أنت لا تعمل هنا منذ وقت طويل، إن كنت لا تعرف غودلاوغور".

"منذ عامَين، ولكنّني لم أكن أتحدّث معه كثيراً".

"من برأيك هو أكثر من يعرفه من بين موظّفي الفندق؟".

أجاب وهو يمرّر سبّابته على شاربه الأسود: "لا أدري. لا أعرف شيئاً عن الرجل. ربّما عمّال التنظيفات. متى نسمع عن فحوص اللعاب؟".

"تسمع ماذا؟".

"نعرف من كان معه. أليس هذا فحص الحمض النووي الريبيّ المنقوص؟".

قال إرليندور: "أجل".

"هل يتعيّن عليكم إرساله إلى الخارج؟".

هزّ إرليندور رأسه بالإيجاب.

"هل تعرف ما إذا كان ثمّة من يزوره في القبو؟ هل هناك أشخاص من خارج الفندق؟".

"الناس الذين يدخلون ويخرجون كُثر، هكذا هي الفنادق. الناس كالنمل، يدخلون ويخرجون، ويصعدون وينزلون، بلا توقّف. قيل لنا في مدرسة الفندقيّة إنّ الفندق ليس مبنىً أو غرفاً أو خدمات، بل إنه أشخاص. الفندق مجرّد أشخاص، ولا شيء آخر. ووظيفتنا تقوم على تأمين الراحة لهم، ليشعروا وكأنّهم في بيوتهم. هكذا هي الفنادق".

قال إرليندور: "سأُحاول تذكّر ذلك". وشكره.

تحقّق ممّا إذا كان هنري وابشوت قد عاد إلى الفندق، ولكنّه كان لا يزال في الخارج. إلاّ أنّ مدير الاستقبال عاد إلى عمله وألقى التحيّة على إرليندور. في تلك اللحظة، توقّفت عربة أخرى في الخارج، تغصّ بالسيّاح الذين اندفعوا إلى بهو الفندق. فابتسم لإرليندور وهزّ كتفَيه، وكأنّه لا ذنب له إن كانا غير قادرَين على الكلام ومجبرَين على تأجيل حديثهما.

7

انضمّ غودلاوغور إجيلسون إلى الفندق عام 1982، وكان في الثامنة والعشرين من عمره. تولّى قبل ذلك وظائف مختلفة، كانت أُخراها وظيفة حارسٍ ليليٍّ في وزارة الشؤون الخارجيّة. وعندما قرّر الفندق توظيف حارس بدوام كامل، حصل على الوظيفة. كانت السياحة تزدهر في ذلك الوقت، وقد توسّع الفندق، وراح يستخدم مزيداً من الموظّفين. لا يذكر مدير الفندق السابق لماذا تمّ اختيار غودلاوغور دون غيره، ولكنّه لا يظنّ أنّ عدد المتقدّمين للوظيفة كان كبيراً.

ترك غودلاوغور انطباعاً جيّداً لدى مدير الفندق. فسلوكه اللائق، والمهذّب، والخَدوم جعله جديراً بالوظيفة. لم تكن لديه عائلة، لا زوجة ولا أولاد، وهذا ما أقلق المدير بعض الشيء، لأنّ الرجال ذوي العائلات غالباً ما يكونون أكثر إخلاصاً. في ما عدا ذلك، لم يكشف غودلاوغور الكثير عن نفسه أو عن ماضيه.

بعد وقت قصير من انضمامه إلى فريق العمل، ذهب إلى المدير وسأله ما إذا كانت ثمّة غرفة في الفندق يمكنه العيش فيها إلى أن يجد لنفسه مكاناً آخر. فبعدما اضطرّ إلى ترك غرفته القديمة، أصبح في الشارع. فقال له المدير إنّه ثمّة غرفة صغيرة في آخر الرواق في القبو يمكنه المكوث فيها إلى أن يجد مكاناً خاصًّا به. نزلا لرؤية الغرفة. كانت تحتوي على أشياء كثيرة مخزّنة فيها من مختلف الأنواع، ولكنّ غودلاوغور قال إنّه يعرف مكاناً يمكن الاحتفاظ بها فيه، مع أنّ معظمها يجب التخلّص منه على أيّ حال.

هكذا انتقل غودلاوغور، الذي كان حارساً في ذلك الوقت وسانتا لاحقاً، إلى الغرفة الصغيرة التي سكن فيها لاحقاً لبقيّة حياته. ظنّ المدير أنّه لن يمكث فيها سوى أسبوعَين على الأكثر. هذا ما قاله غودلاوغور، كما أنّ الغرفة لم تكن مكاناً مناسباً للعيش الدائم. ولكنّ غودلاوغور تلكّأ في إيجاد مكان ملائم، وأصبح من المسلَّم به أنّه يعيش في الفندق، لا سيّما بعد أن تطوّرت وظيفته ليصبح أقرب إلى كونه وكيلاً منه إلى مجرّد حارس. ومع مرور الوقت، أصبح من الملائم تواجده على مدار الساعة، في حال وقع خطب ما ودعت الحاجة إلى مساعِد.

قال سيغوردور أولي، الذي صعد إلى غرفة إرليندور ليُخبره عن ذلك اللقاء: "بعد وقت قصير من انتقال غودلاوغور إلى الغرفة، ترك المدير

القديم الفندق". كان ذلك في ساعة متقدّمة من بعد الظهيرة، وقد بدأ الظلام يخيّم.

سأله إرليندور الممدّد على السرير، وهو يحدّق إلى السقف: "هل تعرف لماذا؟ كان قد تمّ توسيع الفندق للتوّ، واستخدام عدد كبير من الموظّفين الجدد، وترك وظيفته بعد وقت قصير. ألا تجد هذا غريباً؟".

"لم أسأله عن ذلك. سأحاول معرف جوابه إن كان ذلك يهمّك. لم يكن يعرف أنّ غودلاوغور يؤدّي دور سانتا. بدأ ذلك بعد رحيله، وصُعق حين سمع أنّ الرجل وُجد مقتولاً في القبو".

نظر سيغوردور أولي إلى الغرفة الخالية.

"هل تنوي تمضية الميلاد هنا؟".

لم يجبه إرليندور.

"لماذا لا تذهب إلى منزلك؟".

تواصل الصمت.

"الدعوة ما زالت قائمة".

قال إرليندور، وهو غارق في أفكاره: "شكراً لك، انقل تحيّاتي إلى بيرغثورا".

"ما اسم اللعبة على أيّ حال؟".

"هذا ليس من شأنك، إن كان للعبة... اسم بالفعل".

قال سيغوردور أولي: " على كلّ حال، أنا ذاهب إلى البيت".

"كيف تسير أمور تكوين العائلة؟".

"ليست جيّدة".

"أهي مشكلتك؟ أم أن الأمر مجرّد مصادفة بينكما؟".

"لا أدري. لم نخضع للفحص. ولكنّ بيرغثورا بدأت تتكلّم عن ذلك".

"هل تريد أطفالاً في الأساس؟".

"أجل، لا أدري. لا أدري ما الذي أريده".

"كم الساعة؟".

"أصبحت السادسة والنصف".

قال إرليندور: "اذهب إلى بيتك، وأنا سأتحقّق من هنري الآخر".

عاد هنري وابشوت إلى الفندق، ولكنّه لم يكن في غرفته. طلب إرليندور الاتّصال به من مكتب الاستقبال، ثمّ صعد إلى غرفته وطرق على بابه، ولكن من دون أن يحصل على جواب. تساءل ما إذا كان المدير

يسمح بفتح الغرفة له، ولكنّه بحاجة إلى إذن تفتيش من قاضٍ، وهذا قد يستغرق منه الليل بأكمله، كما أنّه ليس واثقاً ما إذا كان هنري وابشوت هو بالفعل هنري الذي كان يُفترض بغودلاوغور أن يلقاه عند الساعة 18:30.

وقف إرليندور في الرواق وهو يزن خياراته عندما وصل رجل في أوائل الستّين من عمره تقريباً، وانعطف عند الزاوية ومشى باتّجاهه. كان يرتدي سترة تويد رثّة، وسروالاً كاكيّ اللون وقميصاً أزرق، ويضع ربطة عنق حمراء فاقعة. كان الصلع قد بدأ يزحف على رأسه، وشعره الأسود مسرّحاً بعناية فوق تلك البقعة الخالية من الشعر.

سأله بالإنكليزية عندما وصل: "أهو أنت؟ قيل لي إنّ أحدهم يسأل عنّي، أنت أيسلندي. هل أنت هاوٍ؟ هل أردتَ رؤيتي؟".

سأله إرليندور: "هل اسمك وابشوت؟ هنري وابشوت؟". لم تكن إنكليزيّته جيّدة. يستطيع هذه الأيّام أن يفهم اللغة جيّداً، ولكنّه يتكلّمها بشكل سيّئ. فقد أجبرت الجريمة العالميّة الشرطة على تنظيم دروس خاصة في اللغة الإنكليزية، حضرها إرليندور واستمتع بها. كما بدأ بقراءة كتب بالإنكليزية.

قال الرجل: "اسمي هنري وابشوت. لماذا تريد رؤيتي؟".

قال إرليندور: "ليس من المستحسن ربّما أن نقف هنا في الممرّ. هل يمكننا دخول غرفتك؟ أو...؟".

نظر وابشوت إلى الباب، ومن ثمّ إلى إرليندور.

قال: "ربّما يجدر بنا النزول إلى البهو. لماذا تريد رؤيتي؟ من أنت؟".

قال إرليندور: "فلننزل إلى الأسفل".

تبعه هنري وابشوت إلى المصعد متردّداً. وعندما وصلا إلى البهو، توجّه إرليندور نحو طاولة المدخّنين في أحد جوانب قاعة الطعام، وجلسا. أتى نادل على الفور. وبدأ النزلاء يجلسون قرب "البوفيه"، الذي لم يكن أقلّ إغراءً من يوم أمس، برأي إرليندور. طلبا القهوة.

قال وابشوت: "هذا غريب جداً. كان يُفترض بي لقاء أحدهم في هذا المكان بالذات قبل نصف ساعة، ولكنّه لم يحضر. لم تصلني منه رسالة، ولكنّني وجدتك أمام بابي، وأحضرتني إلى هنا".

"من هو الرجل الذي كنتَ ستلتقيه؟".

"إنّه أيسلندي، يعمل في هذا الفندق واسمه غودلاوغور".

"وكان يجب أن تلقاه هنا عند الساعة السادسة والنصف من هذا

اليوم؟".

أجاب وابشوت: "صحيح. ماذا...؟ من أنت؟".

أخبره إرليندور أنّه من الشرطة، ووصف له كيفيّة موت غودلاوغور، وكيف أنهم عثروا على ملاحظة في غرفته تُشير إلى لقائه رجلاً يُدعى هنري، من الواضح أنّه هو. تريد الشرطة أن تعرف لماذا كانا سيلتقيان. لم يذكر إرليندور شكّه في وجود وابشوت في الغرفة عندما قُتل سانتا، بل اكتفى بالقول إنّ غودلاوغور كان يعمل في هذا الفندق لمدّة عشرين عاماً.

حدّق وابشوت إلى إرليندور وهو يروي قصّته، وراح يهزّ رأسه غير مصدّق وكأنّه عاجز عن استيعاب معنى ما يُقال له.

"هل مات؟".

"أجل".

"قُتل؟".

"أجل".

صدر أنين عن وابشوت وهو يقول: "ربّاه".

سأله إرليندور: "هل كنتَ تعرف غودلاوغور؟".

بدا الشرود على وابشوت، فكرّر سؤاله.

أجاب وابشوت أخيراً: "عرفته منذ سنوات". وابتسم كاشفاً عن أسنان صفراء بفعل التبغ، مع بقع سوداء تعلو بعضاً من أسنانه السفليّة. فكّر إرليندور أنّه من مدخّني الغليون.

سأله إرليندور: "متى التقيتما لأوّل مرّة؟".

قال وابشوت: "لم نلتقِ قطّ. لم أره مطلقاً. كنت سألتقيه للمرّة الأولى اليوم. ولهذا السبب أتيت إلى أيسلندا".

"أتيت إلى أيسلندا للقائه؟".

"أجل، هذا بالإضافة إلى أشياء أخرى".

"كيف عرفته إذاً؟ إن كنتما لم تلتقيا قطّ، فما نوع العلاقة التي تربطكما؟".

قال وابشوت: "لا تربطنا أيّ علاقة".

"لا أفهم".

كرّر وابشوت: "لم تربطنا أيّ علاقة قطّ" . ووضع كلمته الأخيرة بين مزدوجَين بأصابعه.

سأله إرليندور: "ماذا إذاً؟".

قال وابشوت: "مجرّد تقدير أحاديّ الجانب، من جهتي".

طلب منه إرليندور تكرار كلماته الأخيرة. لم يفهم كيف يمكن لهذا الرجل، الذي عبَر كلّ هذه المسافة من بريطانيا ولم يلتقِ غودلاوغور مطلقاً، أن يقدّره. حارس فندق، رجل عاش في غرفة وضيعَة صغيرة في قبو فندق، عُثر عليه ميتاً، وسرواله منخفض حتّى كاحلَيه، وطعنة سكّين في قلبه. تقدير أحاديّ الجانب لرجل يؤدّي دور سانتا في حفلات الأطفال.

قال إرليندور: "لا أعرف ما الذي تتحدّث عنه". ثمّ تذكّر أنّ وابشوت سأله في الممرّ أمام غرفته ما إذا كان هاوياً. فسأله: "لماذا أردت أن تعرف ما إذا كنتُ هاوياً؟ ماذا كنتَ تعني؟".

أجاب وابشوت: "ظننتُ أنّك تهوى جمع الأسطوانات، مثلي".

"أيّ نوع من جامعي الأسطوانات؟ أسطوانات؟ تعني...؟".

قال وابشوت: "أنا أجمع أسطوانات قديمة. أسطوانات فونوغرافية قديمة، غيتارات، أجهزة بيانو. هكذا عرفتُ غودلاوغور. كنتُ سألتقيه هنا الآن، وكنتُ أتطلّع إلى هذا اللقاء. لذلك أنت تفهم الصدمة التي تسبّب لي بها نبأ وفاته. قُتل! من قد يرغب بقتله؟".

بدت دهشته حقيقيّة.

سأله إرليندور: "هل التقيته ليلة أمس ربّما؟".

في البداية، لم يدرك وابشوت ما عناه إرليندور، إلى أن اتّضحت له الفكرة وبدأ يحدّق إلى التحرّي.

"هل تقصد... هل تظنّ أنّني أكذب عليك؟ هل أنا...؟ هل تعني أنّني مُشتبه به؟ هل تظنّ أنّني على صلة بموته؟".

راقبه إرليندور بصمت.

قال وابشوت بصوت عالٍ: "هذا سخيف! كنتُ أتطلّع إلى لقاء هذا الرجل منذ مدّة طويلة، منذ سنوات. لا يمكنك أن تكون جادًّا".

سأله إرليندور: "أين كنت في هذا الوقت من يوم أمس؟".

أجاب وابشوت: "في البلدة، كنت في البلدة. كنت في متجر أحد الجامعين على الشارع العام، ثمّ تناولت العشاء في مطعم هندي قريب".

"أتيتَ إلى الفندق منذ عشرة أيّام، لماذا لم تلتقِ غودلاوغور قبل ذلك؟".

"ولكن... ألم تقل للتوّ إنّه مات؟ ماذا تعني؟".

"ألم تكن ترغب بلقائه منذ مجيئك إلى الفندق؟ قلتَ إنّك كنت متلهفًّا إلى ذلك، لماذا انتظرت كلّ هذا الوقت؟".

"هو الذي قرّر المكان والزمان. ربّاه، بماذا ورّطت نفسي؟".

"كيف اتّصلت به؟ وماذا عنَيت بقولك تقديراً أحاديّ الجانب ؟".
نظر إليه هنري وابشوت.
بدأ يقول: "كنت أعني -"، ولكنّ إرليندور لم يدعه يُكمل كلامه.
"هل كنت تعرف أنّه كان يعمل في هذا الفندق؟".
"أجل".
"كيف؟".
"اكتشفت ذلك. فأنا أقوم ببعض الأبحاث حول الأشخاص الذين أتعامل معهم في مجال جمع الأشياء".
"ولهذا السبب أقمت في هذا الفندق؟".
"أجل".
"هل كنت تشتري منه أسطوانات؟ ألهذا السبب تعرفان بعضكما؟ شخصان يملكان الهواية نفسها؟".
"كما قلت، لم أعرفه، بل كنت سألتقيه اليوم شخصيًّا".
"ماذا تعني؟".
"أنت لا تملك أدنى فكرة عن هذا الرجل، أليس كذلك؟". طرح عليه وابشوت هذا السؤال، مستغرباً أنّ إرليندور لم يسبق له أن سمع بغودلاوغور إجيلسون.
قال إرليندور: "كان وكيلاً، أو حارساً وسانتا. هل ثمّة شيء آخر عليّ معرفته؟".
أجاب وابشوت: "هل تعرف ما هو حقل تخصّصي؟ لستُ واثقاً كم تعرف عن هواية الجمع عموماً، أو عن جمع الأسطوانات تحديداً، ولكنّ معظم الهواة يتخصّصون في حقل معيّن. ومن شأن الناس أن يكونوا غريبي الأطوار حياله. أنت لا تصدّق ما قد يرغب الناس بجمعه. فقد سمعت عن رجل يملك أكياس غثيان من كلّ خطّ طيران في العالم. كما أعرف امرأة تجمع شعر الدمى".
نظر وابشوت إلى إرليندور.
"هل تعرف ما هو حقل تخصّصي؟".
هزّ إرليندور رأسه نافياً. فهو لم يقتنع تماماً بأنّه فهم الجزء المتعلّق بأكياس الغثيان. وما الذي قاله عن الدمى؟
"أنا متخصّص في جوقات الغلمان".
"جوقات الغلمان؟".
"ليس جوقات الغلمان وحسب. أهتمّ خصوصاً بغلمان الجوقات".

تردّد إرليندور، غير واثق ممّا إذا كان قد أساء الفهم.

"غلمان الجوقات؟".

"أجل".

"تجمع أسطوانات لغلمان الجوقات؟".

"أجل. أجمع أسطوانات أخرى بالطبع، ولكنّ غلمان الجوقات، كيف أقولها، هم مادّة شغفي".

"وما شأن غودلاوغور في كلّ هذا؟".

ابتسم هنري وابشوت، ثم مدّ يدَه إلى حقيبة جلديّة سوداء كانت معه، وفتحها وأخرج منها ظرف أسطوانة من نوع 45 مفردة.

أخرج هنري نظارته من جيب سترته، ولاحظ إرليندور أنّه أوقع ورقة بيضاء صغيرة على الأرض. فرفعها إرليندور عن الأرض ورأى اسم بريترز مطبوعاً عليها باللون الأخضر.

قال وابشوت: "شكراً لك. إنّه منديل مائدة من فندق في ألمانيا". أضاف معتذراً: "الجمع هواية أشبه بالهوس".

هزّ إرليندور رأسه موافقاً.

"كنت سأطلب منه توقيع هذا المغلّف". قال وابشوت ذلك وهو يناوله لإرليندور.

كان قد كتب على المغلّف اسم غودلاوغور إجيلسون بأحرف ذهبية على شكل قوس صغير، مع صورة فوتوغرافية بالأسود والأبيض لغلام، بالكاد يتجاوز الثانية عشرة من عمره، يظهر بعض النمش على وجهه، وشعره مسرّح بعناية، ويبتسم لإرليندور.

قال وابشوت: "كان صوته ناعماً ورائعاً. ثمّ يأتي سنّ البلوغ و..." هزّ كتفَيه مستسلماً. كانت نبرة صوته مَشوبة بشيء من الحزن والأسف. "أنا مندهش لأنّك لم تسمع عنه ولم تعرف من كان، مع أنّك تحقّق في وفاته. لا بدّ من أنّ اسمه كان معروفاً في تلك الأيّام. فاستناداً إلى مصادري، كان نجماً صغيراً مشهوراً".

رفع إرليندور نظره عن الصورة، وحدّق إلى وابشوت.

"كان نجماً صغيراً؟".

"كان يغنّي منفرداً أو مع جوقات دور العبادة. لا بدّ من أنّ اسمه كان لامعاً في بداياته، في أيّامه".

كرّر إرليندور: "قلت إنه نجم صغير، هل تعني مثل شيرلي تمبل؟ هذا النوع من النجوم الصغار؟".

"ربّما، ولكن بمقاييسكم، أعني هنا في أيسلندا، في هذا البلد الصغير النائي. لا بدّ من أنّه كان مشهوراً جداً حتّى لو أنّ الجميع نسيَه الآن. كانت شيرلي تمبل بالطبع...".

تمتم إرليندور بينه وبين نفسه: "الأميرة الصغيرة".

"عفواً؟".

"لم أعرف أنّه كان نجماً صغيراً".

"كان ذلك منذ عقود".

"وماذا أيضاً؟ سجّل أسطوانات؟".

"أجل".

"وأنت تجمعها؟".

"أحاول الحصول على نسخ عنها. أنا متخصّص في غلمان الجوقات مثله. فقد كان سوبرانو فريداً من نوعه".

قال إرليندور بينه وبين نفسه تقريباً: "غلام جوقة". تذكّر ملصق الأميرة الصغيرة ، وكان على وشك أن يسأل وابشوت عن النجم الصغير غودلاوغور، عندما قاطعه أحدهم.

سمع إرليندور صوتاً يقول من فوقه: "ها أنت ذا إذاً". كانت فالغردور تقف خلفه مبتسمة. لم تكن تحمل حقيبة العيّنات، بل ترتدي معطفاً جلديًّا خفيفاً أسود اللون، يصل طوله حتّى الركبة، مع قميص أحمر جميل تحته، فيما زيّنت وجهها بعناية بحيث بدا طبيعياً للغاية. سألته: "أما زالت الدعوة قائمة؟".

قفز إرليندور واقفاً. ولكنّ وابشوت كان قد وقف أساساً.

قال إرليندور: "عفواً، لم أعلم... بالطبع". ابتسم مضيفاً: "بالطبع".

8

انتقلا إلى المقهى قرب قاعة الطعام بعدما تناولا كفايتهما من "البوفيه" وشربا القهوة. اشترى إرليندور كأسَين من الشراب، وجلسا في إحدى زوايا المقهى. قالت إنّها لا تستطيع البقاء طويلاً، وقرأ إرليندور في كلامها شيئاً من الحذر المهذّب. ليس لأنّه كان يخطّط لدعوتها إلى غرفته، فالفكرة لم تخطر على باله وقد عرفَت ذلك، ولكنّه شعر بشيء من الشعور بعدم الأمان لديها. كما أحسّ بحواجز كتلك التي يضعها أمامه المستجوبون. ربّما لم تعرف هي نفسها ماذا كانت تفعل.

التحدّث مع تحرّي أثار فضولها، وأرادت أن تعرف كلّ شيء عن عمله، وعن الجرائم، وعن كيفية قبضه على المجرمين. قال لها إرليندور إنّ وظيفته تقوم بمعظمها على أعمال إدارية مملّة.

قالت: "ولكنّ الجرائم أصبحت أكثر شرًّا. نحن نقرأ عنها في الصحف. أصبحت أكثر بشاعة".

قال إرليندور: "لا أدري، فالجرائم بشعة دائماً".

"نسمع دائماً قصصاً من عالم المخدّرات. محصّلو ديون يهاجمون الشباب الذين يدينون لهم بثمن المخدّرات، وإن لم يتمكّن الشباب من الدفع، يهاجمون عائلاتهم".

قال إرليندور، الذي يقلق أحياناً على إيفا ليند لهذا السبب بالذات: "أجل، لقد تغيّر العالم حقاً، وأصبح أكثر قسوة".

غرقا في الصمت.

حاول إرليندور إيجاد موضوع للحديث، ولكنّه لم يكن يعرف كيف يتقرّب من النساء. فمعرفته السابقة بالنساء لا يمكن أن تهيّئه لما يمكن تسميته سهرة رومانسية كهذه. كان هو وإلينبورغ صديقَين عزيزَين وزميلَين، ونشأت بينهما معزّة نتجت عن سنوات من التعامل معاً والخبرة المشتركة. وكانت إيفا ليند ابنته ومصدر قلق مستمرّ بالنسبة إليه. أمّا هالدورا فكانت المرأة التي تزوّجها قبل جيل من الزمن، ثمّ طلّقها وحقدت عليه بسبب ذلك. أولئك كنّ النساء الوحيدات في حياته، باستثناء من تعرّف عليهنّ لليلة واحدة، ولم تعد عليه تلك المعرفة سوى بالخيبة والإرباك.

سألها: "ماذا عنك؟ لماذا غيّرت رأيك؟".

أجابت: "لا أعرف. لم يسبق لي أن تلقّيت دعوة منذ زمن طويل. ما الذي دفعك إلى دعوتي؟".

"لا أعرف، خرج الكلام من فمي تلقائيًا. أنا أيضاً لم أدعُ امرأة منذ زمن طويل".

ابتسما.

أخبرها عن إيفا ليند، وعن ابنه سيندري سناير، وأخبرته أنّ لديها ولدَين كبيرَين هي أيضاً. شعر أنّها لا ترغب في التحدّث كثيراً عن نفسها وعن ظروفها، وأعجبه ذلك. فهو لا يريد دسّ أنفه في حياتها.

"هل توصّلتم إلى شيء بخصوص القتيل؟".

"كلاّ، ليس بالفعل. الرجل الذي كنت أتحدّث إليه في البهو...".

"هل قاطعتكما؟ لم أعلم أنّه على علاقة بالتحقيق".

قال إرليندور: "لا بأس في ذلك. إنّه جامع أسطوانات، من الفينيل، وتبيّن أنّ الضحية كان نجماً صغيراً، قبل سنوات طويلة".

"نجماً صغيراً".

"وقد سجّل أسطوانات فونوغرافية".

قالت فالغردور: "يمكنني أن أتخيّل مدى صعوبة أن يكون نجماً صغيراً، طفلاً لديه أحلام وآمال عريضة نادراً ما تتحقّق. ما الذي يحدث بعد ذلك برأيك؟".

"تحبسين نفسك في غرفة في قبو، وتتمنّين ألاّ يتذكّرك أحد".

"هل تظنّ ذلك".

"لا أعرف، ربّما كان أحدهم يذكره".

"هل تظنّ أنّ لذلك علاقة بمقتله؟".

"ماذا؟".

"كونه نجماً صغيراً".

حاول إرليندور قول أقلّ ما يمكن عن التحقيق من دون أن يبدوَ فظًّا. لم يجد الوقت للتفكير في هذا السؤال ولا يعرف ما إذا كان يشكّل فرقاً.

قال: "لا أعرف بعد، ولكنّنا سنكتشف ذلك".

توقّفا عن الكلام.

قالت فالغردور: "إذا، أنت لم تكن نجماً صغيراً".

قال: "كلاّ، لم أكن موهوباً في أيّ شيء".

"أنا أيضاً، ما زلت أرسم وكأنّني في الثالثة من عمري".

سألته بعد صمت قصير: "ماذا تفعل خارج أوقات العمل؟".

لم يكن إرليندور مستعدًّا لهذا السؤال، فتردّد في الإجابة إلى أن بدأت

بالابتسام.

قالت حين لم تحصل على جواب: "لم أعنِ التطفّل على خصوصيّاتك".

"كلاّ. ولكنني لست معتاداً على التحدّث عن نفسي".

لم يكن يستطيع الادّعاء أنّه يلعب الغولف أو يمارس رياضة أخرى. كان في الماضي مهتمًّا بالملاكمة، ولكنّ تلك النزوة اختفت. لم يذهب إلى السينما قطّ ونادراً ما كان يشاهد التلفاز. سافر بمفرده عبر أنحاء أيسلندا في الصيف، ولكنّه لم يعد يفعل ذلك كثيراً في السنوات الأخيرة. ماذا يفعل خارج دوام العمل؟ لم يكن يعرف الجواب هو نفسه. في معظم الوقت، يكون بمفرده.

قال فجأة: "أقرأ كثيراً".

سألته: "وماذا تقرأ؟".

تردّد مرّة أخرى، فابتسمت مجدّداً.

سألته: "هل الجواب صعب؟".

أجاب: "عن الموت والمِحَن. موت في الجبال، أشخاص يتجمّدون حتّى الموت في الخارج. ثمّة كتب عديدة عن ذلك، وكانت لها شعبيّتها في الماضي".

قالت: "الموت والمِحَن؟".

"وأقرأ عن الكثير من المواضيع الأخرى بالطبع. أنا أقرأ كثيراً؛ عن التاريخ، التاريخ المحلّي".

قالت: "كلّ ما هو قديم ومن الماضي".

هزّ رأسه موافقاً.

"ولكن، لماذا تقرأ عن الموت، وعن الأشخاص الذين تجمّدوا حتّى الموت؟ أليس هذا مخيفاً؟".

ابتسم إرليندور.

قال: "ينبغي أن تكوني في الشرطة".

في ذلك الجزء القصير من الأمسية، دخلت مكاناً في عقله أغلقه بعناية، وأبقاه بعيداً؛ حتّى عن نفسه. لم يكن يرغب بالتحدّث عنه. كانت إيفا ليند على معرفة به، ولكنّه لم يكن مألوفاً لديها تماماً، ولم تربط بينه وبين اهتمامه بالقراءة عن الموت. جلس صامتاً لوقت طويل.

قال أخيراً، وندم فوراً على كذبته: "يأتي ذلك مع التقدّم في السنّ. ماذا عنك؟ ماذا تفعلين عندما تنتهين من وضع القطن في أفواه الناس؟".

أراد تغيير الحديث والمزاح، ولكنّ الرابط الذي تكوّن بينهما تبدّد،

وكان ذلك خطأه.

قالت، وقد أدركت أنّها ضربت على وتر حسّاس: "لا أملك حقاً الوقت للقيام بأيّ شيء غير العمل". ارتبكت وشعر بذلك.

قال أخيراً، بعد أن انزعج من كذبته: "أظنّ أنّه علينا تكرار هذه الأمسية قريباً".

قالت: "بالتأكيد. في الحقيقة، كنت متردّدة، ولكنّني لست نادمة. أريدك أن تعرف ذلك".

قال: "وأنا أيضاً".

قالت: "جيّد. شكراً على كلّ شيء، وشكراً على الشراب". أضافت ذلك وهي تنهي ما بقيَ في كأسها. كان قد طلب لنفسه شراباً هو الآخر من باب اللياقة، ولكنّه لم يلمسه.

تمدّد إرليندور على سريره في غرفة الفندق وهو يحدّق إلى السقف. ما زالت الغرفة باردة، وكان يرتدي ملابسه. في الخارج، كان الثلج يتساقط. ثلج ناعم، دافئ، وجميل، تساقط بخفّة على الأرض وذاب على الفور. لم يكن بارداً، وقاسياً، وبلا رحمة مثل الثلج الذي سبّب الموت والدمار.

سألت إلينبورغ الأب: "ما تلك البقع؟".

قال: "بقع؟ أيّ بقع؟".

قال إرليندور: "على السجّادة". كان هو وإلينبورغ قد عادا للتوّ من المستشفى بعد زيارة الصبيّ. أضاءت شمس الشتاء السجّادة التي تغطّي السلّم المؤدّي إلى الطابق الذي تقع فيه غرفة الولد.

"لا أرى أيّ بقع". قال الأب ذلك وهو ينحني للنظر إلى السجّادة عن كثب.

قالت إلينبورغ وهي تنظر إلى الشمس التي تسلّلت من خلال نافذة الردهة: "إنّها واضحة تماماً في هذا الضوء". كانت الشمس منخفضة وتبهر العيون. بالنسبة إليها، بدا البلاط الرخامي قشدي اللون وكأنّه ملتهب. قرب السلّم، كانت ثمّة خزانة جميلة للشراب. وكان بابا الخزانة زجاجيّين، ورأى إرليندور لطخة على أحدهما. وعلى جانب الخزانة المواجه للسلّم، بدا أنّ قطرة صغيرة من الدم سالت على طول سنتمتر ونصف تقريباً. وضعت إلينبورغ إصبعها على القطرة ووجدتها لزجة.

سأله إرليندور: "هل حدث شيء قرب هذه الخزانة؟".

نظر إليه الأب.

"ما الذي تتحدّث عنه؟".

"وكأنّ شيئاً ما سُكب عليها، وأنت قمت بتنظيفه مؤخّراً؟".

قال الأب: "كلاّ، ليس مؤخّراً".

قالت إلينبورغ: "تلك الآثار على السلّم تبدو لي مثل آثار أقدام طفل".

قال الأب: "لا أرى أيّ آثار أقدام على السلّم. كنت تتحدّثين للتوّ عن بقعة، والآن أصبحت آثار أقدام. إلام تُلمحين؟".

"هل كنت في البيت عندما تعرّض ابنك للاعتداء؟".

لم يُجب الأب.

تابعت إلينبورغ: "وقع الاعتداء في المدرسة. كان الدوام قد انتهى في ذلك اليوم، ولكنّه بقيَ يلعب كرة القدم، وعندما انطلق عائداً إلى البيت، قاموا بضربه. هذا ما نظنّ أنّه حدث. لم يتمكّن من التحدّث معك أو معنا، ولا أعتقد أنّه يريد ذلك. لا يجرؤ. ربّما لأنّ الأولاد هدّدوه بالقتل إن أبلغ الشرطة. وربّما لأنّ شخصاً آخر هدّده بالقتل إن تكلّم معنا".

"ماذا تقصدين بكلّ ذلك؟".

"لماذا عدت من عملك في ذلك النهار؟ عدت إلى البيت ظهراً تقريباً. زحف إلى البيت وإلى غرفته، وبعد وقت قصير، وصلتَ واتّصلت بالشرطة والإسعاف".

تساءلت إلينبورغ من قبل عمّا كان الأب يفعله في المنزل في منتصف يوم عمل، ولكنّها لم تسأله حتّى الآن.

قال إرليندور: "لم يرَه أحد في طريقه من المدرسة إلى البيت".

"هل تُلمح إلى أنّني اعتديت... اعتديت بالضرب على ابني بهذا الشكل؟ بالتأكيد أنت لا تلمح إلى ذلك؟".

"هل تمانع لو أخذنا عيّنة من السجّادة؟".

قال الأب: "أظنّ أنّه يجب عليكما الخروج من هنا".

قال إرليندور: "أنا لا ألمح إلى شيء. في النهاية، سيقول الولد ما حدث. ربّما ليس الآن، أو بعد أسبوع، أو بعد شهر، وربّما ليس بعد عام، ولكنّه سيفعل في النهاية".

صاح الأب، وقد تملكّه الغضب والاستنكار: "اخرجا. إيّاكما... إيّاكما والبدء... اخرجا. اخرجا من هنا!".

ذهبت إلينبورغ مباشرة إلى المستشفى واتّجهت إلى جناح الأطفال. كان

الطفل نائماً في سريره بينما تدلّت ذراعه من العلاّقة. جلست قربه وانتظرت حتّى يستيقظ. بعد ربع ساعة، تحرّك الصبيّ ورأى الشرطيّة المتعبة، ولكنّ الرجل ذا العينَين الحزينتَين الذي كان يرتدي كنزة صوفية والذي رافقها في الزيارة السابقة من ذلك النهار، لم يكن معها الآن. التقت نظراتهما وبذلت إلينبورغ جهدها للابتسام.

"هل كان والدك هو الفاعل؟".

عادت إلى منزل الأب بعد حلول الليل، مع أمر بالتفتيش وخبراء بالطبّ الشرعي. فحصوا الآثار على السجّادة، والأرض الرخاميّة، وخزانة الشراب. أخذوا عيّنات، ورفعوا أشياء دقيقة عن البلاط. أخذوا عيّنة من بقايا القطرة التي سالت على الخزانة، وصعدوا إلى غرفة الصبيّ في الطابق العلوي، وأخذوا عيّنات من أعلى سريره. ذهبوا إلى غرفة الغسيل، وتفحصّوا الملابس والمناشف، فضلاً عن الملابس المتّسخة. فتحوا مكنسة السجّاد الكهربائيّة، وأخذوا عيّنات من داخلها. بعد ذلك، خرجوا إلى مستوعب النفايات وبحثوا فيه، فعثروا على زوج من جوارب الصبيّ هناك.

كان الأب يقف في المطبخ. واتّصل بمحامٍ، هو صديق له، فور ظهور فريق الطبّ الشرعي. وصل المحامي على الفور، واطّلع على أمر التفتيش الصادر عن المحكمة، ونصح موكّله بعدم التكلّم مع الشرطة.

راقب إرليندور وإلينبورغ الفريق الطبّي وهو يعمل. حدّقت إلينبورغ إلى الأب، الذي هزّ رأسه وأشاح بنظره.

قال: "لا أفهم ماذا تريدين، لا أفهم".

لم يقل الصبيّ أنّ أباه هو الذي ضربه. عندما طرحت عليه إلينبورغ السؤال، بل امتلأت عيناه بالدموع، وكان هذا جوابه الوحيد.

اتّصل رئيس قسم الطبّ الشرعي بعد يومَين.

قال: "أتّصل بخصوص البقع التي وُجدت على سجّادة السلّم".

قالت إلينبورغ: "نعم".

"إنّها بقع شراب".

"شراب؟".

"وجدنا آثاراً منه في جميع أنحاء غرفة الجلوس، وعلى السجّادة وصولاً إلى غرفة الصبيّ".

كان إرليندور ما زال يحدّق إلى السقف، عندما سمع طرقة على الباب. وقف وفتحه، فدخلت إيفا ليند إلى غرفته. نظر إرليندور إلى الرواق،

ثمّ أغلق الباب خلفها.

قالت إيفا ليند: "لم يرَني أحد. لكانت الأمور أسهل لو قبلت العودة إلى البيت. لا أفهم ما هي اللعبة التي تلعبها".

قال إرليندور: "سأذهب إلى البيت، لا تقلقي. ولكن، ما الذي تفعلينه هنا؟ هل تحتاجين إلى شيء؟".

أجابت: "هل أحتاج إلى سبب معيّن لكي أرغب برؤيتك؟". جلست على المكتب وأخرجت علبة سجائر. رمَت كيساً بلاستيكيًّا على الأرض، وأشارت إليه قائلة: "أحضرت لك بعض الملابس، في حال كنت تخطّط للبقاء هنا".

قال إرليندور: "شكراً". جلس على السرير أمامها وأخذ منها سيجارة، وأشعلت إيفا ليند السيجارتَين.

قال وهو ينفث الدخان: "أنا مسرور برؤيتك".

"كيف تسير الأمور مع سانتا؟".

"ببطء. ما جديدك؟".

"لا شيء".

"هل رأيت أمّك".

"أجل، كعادتها، لا يحدث شيء في حياتها. عمل وتلفاز ونوم. عمل، تلفاز، نوم. عمل، تلفاز، نوم. أهذه هي الحياة؟ أهذا كلّ ما ينتظرنا؟ هل أحافظ على نفسي لكي أكدح إلى أن أموت؟ وانظر إلى نفسك! تتسكّع في غرفة فندق كالمشرّدين عوضاً عن الذهاب إلى البيت؟".

سحب إرليندور نفساً عميقاً من السيجارة، ثم أخرج الدخان من أنفه.

"لم أعنِ -".

قاطعته إيفا ليند: "لا، أنا أعرف".

سألها: "هل تستسلمين؟ عندما أتيت البارحة...".

""لا أعرف إن كنت سأحتمل".

"تحتملين ماذا؟".

"هذه الحياة المزرية!".

جلسا يدخنّان، ومرّت الدقائق.

سألها أخيراً: "هل تفكّرين أحياناً بالطفلة؟". كانت إيفا ليند في شهرها السابع عندما أجهضت. وغرقت في اكتئاب عميق بعدما انتقلت للعيش معه حين غادرت المستشفى. عرف إرليندور أنّها لم تتجاوز تلك التجربة بعد، فقد لامت نفسها على موت الطفلة. في الليلة التي حدث فيها ذلك، اتّصلت طلباً للمساعدة، ووجدها غارقة في دمها أمام المستشفى الوطني،

بعدما انهارت في طريقها إلى جناح التوليد. كانت على وشك أن تخسر حياتها.

قالت مجدّداً: "هذه الحياة مزرية!". وأطفأت سيجارتها على المكتب.

رنّ الهاتف الموضوع قرب السرير بعدما رحلت إيفا ليند وخلد إرليندور إلى الفراش. كان المتّصل هو ماريون بريم.

سأله إرليندور وهو ينظر إلى الساعة، التي تجاوزت منتصف الليل: "هل تعرف كم الساعة؟".

أجاب ماريون: "كلاّ، كنت أفكّر باللعاب".

سأله إرليندور، الذي منعه النعاس من الشعور بالغضب: "اللعاب؟".

"بالطبع سيكتشفون ذلك بأنفسهم، ولكن لا ضَير من ذكر الكورتيزول".

"لم أتحدّث بعد مع خبراء الطبّ الشرعي، ولكنّهم سيخبروننا بالطبع شيئاً عن الكورتيزول".

"يمكنك اكتشاف بعض الأمور من ذلك، ومعرفة ما الذي كان يدور في غرفة القبو".

"أعرف، ماريون. هل تريد شيئاً آخر؟".

"أردت فقط تذكيرك بالكورتيزول".

"تصبح على خير يا ماريون".

"وأنت بخير".

اليوم الثالث

9

عقد إرليندور، وسيغوردور أولي، وإلينبورغ اجتماعاً في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي. جلسوا حول طاولة مستديرة صغيرة في إحدى زوايا قاعة الطعام، وتناولوا الفطور من "البوفيه". كان الثلج قد تساقط خلال الليل، ثمّ ارتفعت الحرارة وأذابته. توقّعت الأرصاد الجويّة ميلاداً أخضر. ازدحمت الشوارع بالسيّارات عند كلّ مفترق طرق، وغصّت المدينة بالناس.

قال سيغوردور أولي: "من هو وابشوت هذا؟".

فكّر إرليندور في سرّه وهو يرتشف قهوته وينظر من النافذة: إنّ الناس يحدثون ضجّة كبيرة حول لا شيء. يا لها من أماكن غريبة؛ الفنادق. فقد وجد الإقامة في فندق نوعاً من التغيير المرحّب به، ولكنّه استهجن دخول شخص إلى غرفته في أثناء غيابه لينظّفها. فعندما غادر غرفته في الصباح، عاد ليجد أنّ أحدهم قد دخلها وأعاد كلّ شيء إلى ما كان عليه: رتّب السرير، بدّل المناشف، ووضع صابونة جديدة على المغسلة. أدرك وجود الشخص الذي رتّب غرفته ولكنّه لم يرَ أحداً، ولم يعرف من الذي نظّم حياته.

عندما نزل من غرفته في الصباح، طلب من مكتب الاستقبال عدم تنظيف غرفته منذ الآن فصاعداً.

كان سيلتقي وابشوت مجدّداً في ذلك الصباح، ليخبره المزيد عن الأسطوانات التي يجمعها، وعن غودلاوغور المغنّي. تصافحا عندما افترقا في الأمسية الفائتة بعد أن قاطعتهما فالغردور. إذ وقف وابشوت احتراماً، بانتظار أن يعرّفه إرليندور على المرأة، وحين لم يفعل، مدّ يده وعرّفها بنفسه وانحنى لها. بعد ذلك، استأذن قائلاً إنّه متعب وجائع ويودّ الانصراف إلى غرفته لإنهاء بعض الأعمال قبل تناول العشاء والخلود إلى النوم.

لم يرياه ينزل لتناول العشاء في القاعة التي كانا يأكلان فيها، وتحدّثا عن أنّه يستطيع طلب وجبة إلى غرفته. كما ذكرت فالغردور أنّه بدا متعباً.

رافقها إرليندور إلى غرفة المعاطف، وساعدها على ارتداء معطفها الجلدي الأنيق، ثمّ أوصلها إلى الباب الدوّار حيث وقفا لبعض الوقت قبل أن تخرج تحت الثلج. وعندما استلقى على سريره بعد رحيل إيفا ليند، رافقته ابتسامة فالغردور في نومه، مع عطرها الذي بقي أثره على يده

بعد أن صافحها مودّعاً.

قال سيغوردور أولي: "إرليندور؟ مرحباً! من هو وابشوت؟".

أجاب إرليندور، بعد أن أخبرهما عن لقائه إيّاه: "كلّ ما أعرفه هو أنّه جامع أسطوانات بريطاني، كما أنّه سيغادر الفندق غداً. عليكما الاتّصال بالمملكة المتّحدة والحصول على بعض التفاصيل عنه. سألتقيه قبل الظهيرة، وسأحصل على مزيد من المعلومات منه".

قالت إلينبورغ: "غلام جوقة؟ من يرغب بقتل غلام جوقة؟".

قال سيغوردور أولي: "بالطبع، هو لم يعد غلام جوقة".

قال إرليندور: "كان مشهوراً في الماضي، وسجّل أسطوانات يعتبرها جامعو الأسطوانات نادرة اليوم. فقد أتى هنري وابشوت إلى هنا من بريطانيا سعياً خلفها، وخلفه. فهو متخصّص في غلمان الجوقات، وجوقات الغلمان في مختلف أنحاء العالم".

قال سيغوردور أولي: "الجوقة الوحيدة التي سمعت عنها هي جوقة غلمان فيينا".

قالت إلينبورغ: "متخصّص في غلمان الجوقات. أيّ نوع من الرجال يجمع أسطوانات لغلمان الجوقات؟ ألا يجدر بنا التفكير في ذلك؟ أليس الأمر غريباً؟".

نظر إليها كلّ من إرليندور وسيغوردور أولي.

سألها إرليندور: "ماذا تعنين؟".

"ماذا؟". وتحوّل تعبير إلينبورغ إلى دهشة.

"هل تعنين أنّه ثمّة شيء غريب في جمع الأسطوانات؟".

قالت: "ليس الأسطوانات، بل في جمع أسطوانات غلمان الجوقات، تسجيلات لغلمان الجوقات. ثمّة فرق شاسع هنا، حسبما أعتقد. ألا تشتمّ رائحة أمور غير سويّة في ذلك؟". ونظرت إلى كلّ منهما.

قال سيغوردور أولي وهو ينظر إلى إرليندور: "لا أملك تفكيراً قذراً مثل تفكيرك".

"تفكيراً قذراً! هل تخيّلتُ رؤية سانتا عارياً في غرفة قبو؟ هل أحتاج إلى تفكير قذر من أجل ذلك؟ ثمّ يأتي رجل يقدّر سانتا ولكن فقط حين كان في سنّ الثانية عشرة تقريباً، ويصدف أن ينزل في الفندق نفسه ويأتي من بريطانيا للقائه؟ هل أنتما غبيّان؟".

سألها إرليندور: "هل تضعين ذلك في إطار جنسي؟".

نظرت إلينبورغ إليه مندهشة.

"تبدوان مثل زاهدين!".

قال سيغوردور أولي: "إنّه مجرّد جامع أسطوانات. فكما قال إرليندور، يجمع بعض الأشخاص أكياس الغثيان من الطائرات. كيف تكون حياتهم الجنسية، استناداً إلى نظريّاتك؟".

"إمّا أن تكونا أعميين أو مكبوتَين. لِمَ يعاني الرجال دائماً من الكبت؟".

قال سيغوردور أولي: "آه، لا تبدإي. لماذا تتحدّث النساء دوماً عن مدى الكبت الذي يعاني منه الرجال؟ وكأنّ النساء لا يعانين من الكبت مع كلّ أشيائهنّ، آه، لقد أضعت أحمر الشفاه... ".

قالت إلينبورغ: "أنتما ناسكان عجوزان، أعميان، ومكبوتان".

سألها إرليندور: "ماذا يعني أن يهوى المرء جمع الأشياء؟ لماذا يجمع الناس أشياء معيّنة لامتلاكها، ولماذا يعتبرون غرضاً معيّناً أكثر قيمة من غيره؟".

قال سيغوردور أولي: "لأن بعض الأشياء أكثر قيمة من غيرها".

قال إرليندور: "لا بدّ من أنّهم يبحثون عن شيء فريد، شيء لا يملكه أحد آخر. أليس هذا هو هدف كلّ منّا؟ امتلاك كنز لا يملكه شخص آخر في العالم بأسره".

قالت إلينبورغ: "أليسوا غالباً أشخاصاً غريبين؟".

"هم غريبون؟".

"إنهم منعزلون. أليسوا كذلك؟ أليسوا غريبي الأطوار؟".

قال لها إرليندور: "أنتِ عثرت على أسطوانتين في خزانة غودلاوغور. ماذا فعلت بهما؟ هل تفحّصتهما؟".

أجابت: "رأيتهما في الخزانة وحسب. لم ألمسهما، وما زالتا في مكانهما إن أردت رؤيتهما".

تابعت إلينبورغ: "كيف يقوم جامع مثل وابشوت بالاتّصال برجل مثل غودلاوغور؟ كيف سمع به؟ هل ثمّة وسطاء؟ ماذا يعرف عن تسجيلات غلمان الجوقات الأيسلنديين في الستينيات؟ كيف عرف أنّ هناك ولداً غنّى منفرداً هنا في أيسلندا قبل أكثر من ثلاثين عاماً؟".

قال سيغوردور أولي: "المجلاّت؟ الإنترنت؟ الهاتف؟ من جامعين آخرين؟".

سأل إرليندور: "هل نعرف شيئاً آخر عن غودلاوغور؟".

أجاب سيغوردور أولي: "لديه أخت، وأب ما زال على قيد الحياة. بالطبع، تمّ إبلاغهما بوفاته، وقد تعرّفت أخته عليه".

قالت إلينبورغ: "يجدر بنا حتماً أخذ عيّنة من لعاب وابشوت".

قال إرليندور: "سأهتمّ بذلك".

بدأ سيغوردور أولي بجمع معلومات عن هنري وابشوت، بينما تولّت إلينبورغ ترتيب لقاء مع والد غودلاوغور وشقيقته، وتوجّه إرليندور إلى غرفة الحارس في القبو. عندما مرّ من أمام مكتب الاستقبال، تذكّر أنّه لم يتحدّث بعد مع المدير حول تغيّبه عن العمل. فقرّر تأجيل ذلك إلى وقت لاحق.

وجد الأسطوانتَين في خزانة غودلاوغور. اثنتان مفردتان، كُتب على الجزء الخلفي من المغلّف: غودلاوغور يغنّي السلام المريَمي لشوبرت . كانت الأسطوانة نفسها التي أراه إيّاها هنري وابشوت، بينما تحمل الأخرى صورة صبيّ يقف أمام جوقة صغيرة. أمّا رئيس الجوقة، الشابّ، فيقف إلى جانبه. طُبع على المغلّف بأحرف كبيرة، غودلاوغور إجيلسون يغنّي منفرداً .

على الجزء الخلفي من المغلّف، كان ثمّة ملخّص عن الطفل المعجزة. استقطب غودلاوغور إجيلسون اهتماماً كبيراً مع جوقة أطفال هافنارفيوردور، وهذا المغنّي الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره ينتظره حتماً مستقبل واعد. في أسطوانته الثانية، يغنّي غودلاوغور بتعبيره الفريد الذي تمتاز به طبقة صوته الجميلة بإشراف غابريال هيرمانسون، قائد جوقة أطفال هافنارفيوردور. ولا بدّ لكلّ محبّي الموسيقى الجيّدة من سماع هذه الأسطوانة. فيها يُثبت غودلاوغور إجيلسون بلا أدنى شكّ أنّه مغٍّن من طبقة خاصّة به. وهو يستعدّ الآن لجولة في سكاندينافيا .

نجم صغير، هذا ما فكّر فيه إرليندور وهو ينظر إلى ملصق فيلم الأميرة الصغيرة لشيرلي تمبل. ماذا تفعلين هنا؟ كان يوجّه سؤاله إلى الملصق. لماذا احتفظ بكِ؟

تناول هاتفه الخلوي.

قال عندما أُجيب على اتّصاله: "ماريون".

"أهذا أنت، إرليندور؟".

"هل من جديد؟".

"هل عرفت أنّ غودلاوغور قد قام بتسجيلات في صغره؟".

قال إرليندور: "اكتشفت ذلك للتوّ".

"أفلست شركة التسجيل قبل عشرين عاماً تقريباً، ولم يبقَ منها أيّ أثر. كان يملكها ويديرها رجل يدعى غونّار هانسون. وكان اسمها أسطوانات جي إيتش. أطلق بعض الأغاني الهيبيّة. ولكن، لم يبقَ منها شيء بعد إفلاس الشركة".

"هل تعرف ماذا حلّ بالمخزون؟".
سأله ماريون بريم: "المخزون؟".
"الأسطوانات".
"لا بدّ من أنّها قد استُخدمت لتسديد الديون. أليس هذا ما يحدث عادة؟ تحدّثتُ مع عائلة غونّار هانسون، لديه ولدان. لم تُطلق الشركة الكثير من الأغاني، ولم أحصل في البداية على شيء عندما سألت عنه. فالولدان لم يسمعا عنها منذ عقود من الزمن. مات غونّار في أواسط الثمانينيات ولم يترك وراءه سوى الديون".
"ثمّة رجل يقيم في الفندق يهوى جمع أغاني الجوقات، وأغاني غلمان الجوقات. كان يخطّط للقاء غودلاوغور ولكنّه لم يتمكّن من ذلك. كنت أتساءل ما إذا كانت أسطواناته ذات قيمة. كيف بإمكاني أن أعرف ذلك؟".
أجاب ماريون: "ابحث عن بعض الجامعين وتحدّث معهم. هل تريدني أن أقوم بذلك؟".
"ثمّة أمر آخر. هل يمكنك إيجاد رجل يدعى غابريال هيرمانسون، كان قائد جوقة في هافنارفيوردور في الستينيات؟ يمكنك إيجاده في دليل الهاتف إن كان على قيد الحياة. قد يكون هو الذي درّب غودلاوغور. لديّ هنا مغلّف أسطوانة يحمل صورته، ويبدو فيها وكأنّه في العقد الثاني من عمره. بالطبع، إن كان ميتاً فسيتوقّف البحث هناك".
"تلك هي القاعدة العامّة".
"ماذا؟".
"عندما تموت، يتوقّف كلّ شيء".
قال إرليندور بتردّد: "اصمت، لماذا تتكلّم عن الموت؟".
"بلا سبب".
"هل كلّ شيء على ما يرام؟".
قال ماريون: "شكراً لأنّك رمَيت بعض الفتات في طريقي".
"أليس هذا ما أردته؟ تمضية شيخوختك البائسة في الخوض في الجرائم الغامضة؟".
أجاب ماريون: "هذا يُسعدني بالتأكيد. هل تحقّقت من وجود كورتيزول في اللعاب؟".
أجاب إرليندور قبل أن يقفل الخطّ: "سأفعل".

كان لدى مدير الاستقبال غرفة صغيرة خاصّة به في البهو قرب مكتب

الاستقبال، وكان يقوم ببعض الأعمال المكتبيّة عندما دخل إرليندور الغرفة وأغلق الباب خلفه. وقف الرجل وبدأ يعترض قائلاً إنّه لا يملك الوقت للتحدّث، وإنّه في طريقه إلى اجتماع، ولكنّ إرليندور جلس وشبك ذراعَيه.

سأله: "ممّ تهرب؟".

"ماذا تعني؟".

"لم تأتِ إلى العمل يوم أمس، مع أن الموسم في أوجه. تصرّفت مثل هارب عندما تكلّمت معك ليلة مقتل الحارس، وأنت الآن متوتّر جداً. برأيي، أنت على رأس لائحة المشتبه بهم. فقد قيل لي إنّك تعرف غودلاوغور أكثر من أيّ شخص آخر في هذا الفندق، ولكنّك أنكرت أيّ معرفة به. أعتقد أنّك تكذب، فقد كنت رئيسه. يجدر بك أن تكون أكثر تعاوناً، فتمضية ليلة الميلاد في الحجز ليست بالأمر الهيّن".

حدّق الرجل إلى إرليندور من دون أن يدري ماذا يفعل، ثمّ جلس ببطء على كرسيّه.

قال: "أنت لا تملك دليلاً ضدّي. من السخافة الاعتقاد أنّني فعلت ذلك بغودلاوغور، أنّني كنت في غرفته و... أعني مع الواقي وكلّ ذلك".

استغرب إرليندور كيف تسرّبت تفاصيل القضية لتتناقلها ألسنة الموظّفين. في المطبخ، عرف الطاهي لماذا بالضبط يتمّ جمع عيّنات اللعاب. ويبدو أنّ مدير الاستقبال قادر على تخيّل المشهد في غرفة الحارس. ربّما كان مدير الفندق هو الذي أفشى تلك التفاصيل، وربّما كانت الفتاة التي وجدت الجثّة، أو حتّى عناصر الشرطة.

سأله إرليندور: "أين كنت بالأمس؟".

أجاب: "كنت مريضاً، لازمت البيت طيلة الصباح".

"لم تخبر أحداً. هل ذهبت إلى الطبيب؟ هل أعطاك وصفة؟ هل أستطيع التحدّث إليه؟ ما اسمه؟".

"لم أذهب إلى الطبيب، بل لازمت الفراش. أنا أفضل حالاً الآن".

افتعل سعالاً، فابتسم إرليندور. هذا الرجل أسوأ كاذب عرفه.

"لماذا هذه الأكاذيب؟".

قال المدير: "أنت لا تملك دليلاً ضدّي. ليس بمقدورك سوى تهديدي، وأريدك أن تتركني وشأني".

قال إرليندور: "يمكنني التحدّث أيضاً مع زوجتك، وسؤالها إن كانت قد أحضرت لك فنجاناً من الشاي إلى سريرك أمس".

قال المدير: "اتركها خارج الموضوع". وبدت نبرة صوته فجأة أكثر

قسوة وجدّية، كما غزا الاحمرار وجهه.
قال إرليندور: "لن أتركها خارج الموضوع".
حدّق إليه المدير.
قال: "لا تتكلّم معها".
"لماذا؟ ماذا تُخبّئ؟ لا أفهم لماذا ترغب بالتخلّص منّي".
حدّق الرجل إلى الفراغ ثمّ تنهّد.
"دعني وشأني. لا علاقة للأمر بغودلاوغور. لديّ مشاكل شخصيّة أحاول حلّها".
"ما هي تلك المشاكل؟".
"لست مجبراً على قول شيء لك".
"دعني أحكم بنفسي".
"لا تستطيع إجباري".
"كما قلت، يمكنني أن أطلب حجزك، أو أتحدّث ببساطة مع زوجتك".
تأوّه الرجل ونظر إلى إرليندور.
"ألن تذهب الأمور إلى أبعد من ذلك؟".
"ليس إن لم تكن لها علاقة بغودلاوغور".
"لا علاقة لها به".
"اتّفقنا إذاً".
قال مدير الاستقبال: "تلقّت زوجتي اتّصالاً أوّل أمس، في اليوم نفسه الذي عثرتم فيه على غودلاوغور".
على الهاتف، طلبت امرأة التحدّث مع المدير، ولم تتعرّف زوجته على صوتها. كان ذلك في منتصف يوم عمل، ولكن لم يكن من الغريب أن يتلقّى اتّصالات في المنزل في تلك الأوقات. فمعارفه يعلمون أنّ أوقات عمله ليست منتظمة. وكانت زوجته طبيبة، قامت بالمناوبة في الليلة السابقة، وأيقظها الاتّصال. تصرّفت المرأة المتّصلة وكأنّها تعرف مدير الاستقبال، واستاءت على الفور عندما سألتها زوجته عن هويّتها.
"من أنتِ؟ لماذا تتّصلين؟".
أجاب الصوت عبر الهاتف: "إنّه يدين لي بالمال".
قال مدير الاستقبال لإرليندور: "سبق وهدّدت بأنّها ستتّصل بمنزلي".
"من كانت؟".

كان قد خرج لتناول الشراب قبل عشرة أيّام. فلقد سافرت زوجته

لحضور مؤتمر طبّي في السويد، وخرج مع ثلاثة من أصدقائه القدامى لتناول الطعام. استمتعوا كثيراً، ثمّ ذهبوا للسهر بعد خروجهم من المطعم، وانتهى بهم الأمر في مرقص شعبيّ في البلدة. أضاع أصدقاءَه هناك، ثمّ التقى بعض معارفه من الفندق، ووقف قرب ساحة الرقص يشاهد الراقصين. صحيح أنّه أفرط في الشرب، ولكنّه لم يفقد قدرته على اتّخاذ القرارات الصائبة. لهذا السبب لم يستطع أن يفهم ما حدث، فهو لم يقم بشيء كهذا من قبل.

اقتربت منه، وكما يحدث في أفلام السينما، حملت سيجارة بين إصبعيها وطلبت منه إشعالها. هو لا يدخّن عادة، ولكنّه يحمل ولاّعة على الدوام بحكم وظيفته. إنّها عادة ترجع إلى الأيّام التي كان الناس يدخّنون فيها أينما شاءوا. بدأت تتحدّث عن أمر نسيَه الآن، وسألته إن كان سيقدّم لها شراباً. نظر إليها، ووافق على الفور. وقفا بينما اشترى الشراب، ثمّ جلسا إلى طاولة صغيرة عندما أصبحت خالية. كانت جذّابة جداً، وراحت تغازله ببراعة. شاركها في اللعبة، غير واثق ممّا يجري. فعادة، لا تعامله النساء هكذا. جلست قربه وكانت جريئة وواثقة من نفسها. وعندما وقف ليجلب كأساً أخرى، داعبت ساقه. نظر إليها وابتسمت. كانت امرأة جميلة تعرف ما تريده، وبدت أصغر منه بعشر سنوات.

طلبت منه في وقت لاحق من تلك الليلة مرافقتها إلى المنزل، فهي تعيش في الجوار. أحسّ بالتردد والحماسة في آن واحد. كان الوضع غريباً بالنسبة إليه، كمن يسير على القمر. فقد ظلّ مخلصاً لزوجته ثلاثة وعشرين عاماً. ربّما سنحت له فرصة تقبيل امرأة أخرى مرّتين أو ثلاث خلال كلّ تلك السنوات، ولكن لم يسبق له أن مرّ بتجربة مماثلة مطلقاً.

قال لإرليندور: "فقدتُ السيطرة تماماً. أراد جزء منّي الهرب والعودة إلى البيت ونسيان الأمر برمّته، فيما أراد جزء آخر الذهاب مع تلك المرأة".

قال إرليندور: "أؤكّد لك أنّني أعرف أيّ جزء كان".

وقفا قرب الباب المؤدّي إلى شقّتها، على سلّم مبنى سكنيّ حديث، وأدخلت المفتاح في القفل. حتى تلك الحركة بدت مثيرة بيديها الجذّابتين. فُتح الباب، فاقتربت منه قائلة: "تعالَ معي".

دخل معها. في البداية، مزجت لهما الشراب. جلس هو على الأريكة، فيما وضعت أسطوانة موسيقية، ثمّ أتت إليه حاملة كأساً بيدها وابتسمت،

ولمعت أسنانها البيضاء الجميلة خلف أحمر الشفاه. ثمّ جلست قربه، ووضعت كأسها، وبدأت تفكّ أزراره ببطء.

قال مدير الاستقبال: "لم يسبق لي... كان... يمكنها القيام بأمور لا تصدَّق".

راقبه إرليندور من دون أن يقول شيئاً.

"كنت سأتسلّل خارجاً في الصباح، ولكنّها سبقتني. كان ضميري يعذّبني لأنّني خنت زوجتي وأولادي. فنحن لدينا ثلاثة أولاد. كنت أنوي الخروج ونسيان كلّ شيء عن تلك الليلة. لم أشأ رؤية تلك المرأة مجدّداً. ولكنّها استيقظت عندما بدأتُ أتنقّل في أرجاء الغرفة في الظلام".

جلست، وأضاءت المصباح الموضوع قرب السرير. سألته: "هل أنت ذاهب؟". فقال إنّه ذاهب، وادّعى أنّه تأخّر على اجتماع ما، أو شيء من هذا القبيل.

سألته: "هل استمتعت في الليلة الماضية؟".

نظر إليها وهو يحمل سرواله بين يدَيه.

أجاب: "كانت ليلة رائعة، ولكنّني لا أستطيع الاستمرار بذلك. لا أستطيع، أنا آسف".

قالت بهدوء، وكأنّه من الطبيعي جداً أن تذكر ذلك: "أريد ثمانين ألف كرونور".

نظر إليها وكأنّه لم يسمع ما قالته.

كرّرت: "أريد ثمانين ألفاً".

"ماذا تعنين؟".

أجابت: "على الليلة".

سألها: "الليلة؟ ماذا، هل تتاجرين بنفسك؟".

قالت: "ما رأيك؟".

لم يفهم ما الذي كانت تتحدّث عنه.

سألته: "هل تظنّ أنّه يمكنك الحصول على امرأة مثلي مجّاناً؟".

تدريجيًّا، بدأ معنى كلامها يتّضح له.

"ولكنّك لم تذكري شيئاً عن ذلك!".

"وهل كنت بحاجة إلى قول شيء؟ ادفع لي ثمانين ألفاً، وقد أسمح لك بمرافقتي إلى بيتي مرّة أخرى".

قال مدير الاستقبال لإرليندور: "رفضت أن أدفع. خرجت، فثار غضبها. اتّصلَت بمكان عملي وهدّدت بالاتّصال بزوجتي إن لم أدفع".

قال إرليندور: "من هي؟ محتالة؟ أهذا ما تقوله؟".

"لا أعرف من هي، ولكنّها تعرف ماذا تفعل. وفي النهاية، اتّصلت بالمنزل وأخبرت زوجتي بما حصل".

"ولماذا لم تدفع لها؟ ربما خلصك ذلك منها".

"لست واثقاً إن كنت سأتخلّص منها حتّى لو دفعت. تحدّثنا أنا وزوجتي في هذا الموضوع يوم أمس. روَيت لها ما حدث تماماً كما رويتُه لك. نحن معاً منذ ثلاثة وعشرين عاماً، ومع أنّه لا عذر لي، إلاّ أنّني أعتقد أن هذه المرأة نصبت لي فخًّا. لو أنّ تلك المرأة لم تكن تسعى إلى المال، لما حدث ما حدث".

"إذاً، كانت غلطتها؟".

"لا، بالطبع لا، ولكن... يبقى فخًّا".

صمت الرجلان.

سأله إرليندور: "هل يحدث هذا النوع من الأمور في هذا الفندق؟ أقصد أعمال المومسات؟".

أجاب المدير: "كلاّ".

"هل من الممكن ألاّ تكون على علم بذلك؟".

"سمعت أنّك سألت عن ذلك. لا شيء من هذا النوع يدور هنا".

قال إرليندور: "حسناً".

"هل سيبقى ما أخبرتك إيّاه سرًّا بيننا؟".

"أريد اسم المرأة إن كنت تعرفه، وعنوانها. لن تذهب الأمور أبعد من ذلك".

تردّد المدير.

قال: "إنها امرأة فاسقة". وخرج للحظة من دور موظّف الفندق المهذّب.

"هل ستدفع لها؟".

"هذا أمر اتّفقت عليه أنا وزوجتي. لن تحصل على فلس واحد".

"هل تظنّ أنّ ما حدث قد يكون فخًّا؟".

قال المدير: "مقلباً؟ لا أفهم، ماذا تعني؟".

"أعني هل يمكن أن يكون هناك من يريد إيذاءك، وخطّط لتلك الحادثة؟ شخص ما تشاجرت معه؟".

"لم تخطر لي الفكرة إطلاقاً. هل تعني أن لديّ أعداء قد يفعلون بي شيئاً كهذا؟".

"قد لا يكونون أعداء، بل مجرّد أشخاص من بين أصدقائك يحبّون المزاح الثقيل".

"كلاّ، أصدقائي ليسوا كذلك. كما أنّ ما حدث يتجاوز المزاح، وليس مضحكاً على الإطلاق".

"هل أنت من صرف سانتا من عمله؟".

"ماذا تعني؟".

"هل أنت من أخبره بصرفه من عمله؟ أم أنّه تلقّى رسالة؟ أم...؟".

"أنا أخبرته".

"وكيف تلقّى النبأ؟".

"بشكل سيّئ، وهذا مفهوم. فقد عمل هنا منذ زمن طويل، أكثر منّي".

"هل تظنّ أنّه هو من دبّر ذلك؟ لو سلّمنا أنّه ثمّة شخص ما وراء ما حصل؟".

"غودلاوغور؟ كلاّ، لا أظنّ ذلك. غودلاوغور؟ لا أظنّ أنّه يقوم بهذا النوع من الأشياء. لم يكن من الناس الذين يحبّون المزاح. بالتأكيد لا".

"هل تعرف أنّ غودلاوغور كان نجماً في طفولته؟".

"كان نجماً؟ كيف؟".

"سجّل أسطوانات،كان غلام جوقة".

قال المدير: "لم أكن أعرف ذلك".

قال إرليندور وهو يقف: "ثمّة أمر أخير".

"أجل؟".

"هل يمكنك أن ترسل إلى غرفتي جهازاً لتشغيل الأسطوانات؟". ولاحظ أنّ مدير الاستقبال لا يملك أيّ فكرة عمّا يتحدّث عنه.

عندما عاد إرليندور إلى البهو، رأى رئيس فريق الطبّ الشرعي يصعد السلّم عائداً من القبو.

سأله إرليندور: "ماذا عرفتم عن اللعاب الذي عثرتم عليه؟ هل تحقّقتم من احتوائه على الكورتيزول؟".

"نحن نعمل على ذلك. ماذا تعرف عن الكورتيزول؟".

"أعرف أنّ ارتفاع معدّله في اللعاب قد يكون خطيراً".

قال رئيس الفريق: "كان سيغوردور أولي يسأل عن سلاح الجريمة. لا يعتقد عالم الأمراض أنّها سكّين كبيرة. ليست طويلة جداً، وهي ذات طرف رفيع ومسنّن".

"ليست سكّين صيد ولا سكّين نحت؟".

أجاب: "كلاّ، تبدو لي أداة غير هامّة؛ سكّيناً عاديّة جداً".

10

أخذ إرليندور الأسطوانتَين من غرفة غودلاوغور إلى غرفته، ثمّ اتّصل بالمستشفى وطلب التكلّم مع فالغردور. تمّ تحويله إلى قسمها، وردّت عليه امرأة أخرى، فطلب التكلّم مع فالغردور مجدّداً.

قالت المرأة: "لحظة واحدة، من فضلك". وأخيراً ردّت فالغردور.

سألها: "هل تبقّى لديك شيء من أعواد القطن؟".

سألته بدورها: "من المتكلّم؟ محبّ الموت والمِحَن؟".

ابتسم إرليندور.

"ثمّة سائح في الفندق نودّ إخضاعه للفحص".

"هل الأمر طارئ؟".

"يجب أن يتمّ اليوم".

"هل ستكون هناك؟".

"أجل".

"أنا في طريقي إليك".

أقفل إرليندور الخطّ. محبّ الموت والمِحَن، ضحك بينه وبين نفسه. كان يُفترض به لقاء هنري وابشوت في مقهى الفندق. نزل إلى الأسفل، وجلس في المقهى، وانتظر. سأله النادل ما إذا كان يريد شيئاً، ولكنّه رفض. ثمّ غيّر رأيه وطلب منه كأساً من الماء. راح يتأمّل رفوف المشروبات التي اشتملت صفوفها على جميع ألوان الطيف.

على أرض الردهة الرخاميّة، عثروا على زجاج مسحوق دقيق جداً لا يمكن أن يُرى بالعين. ووُجدت آثار الشراب على خزانة المشروبات، وعلى جورب الصبيّ، وعلى السلّم. وجدوا كِسَر الزجاج في المكنسة الكهربائيّة. كانت جميع الأدلّة تشير إلى أنّ زجاجة من الشراب قد سقطت على الأرض الرخاميّة. على الأرجح، داس الصبيّ في بركة الشراب، ثمّ ركض مباشرة إلى غرفته. تشير الآثار التي خلّفها على السلّم إلى أنّه كان يركض، ولم يكن يمشي. أقدام صغيرة خائفة. استنتجوا أنّ الصبيّ كسر الزجاجة، ففقد الأب أعصابه وانهال عليه ضرباً بحيث دخل المستشفى.

طلبت إلينبورغ أخذه إلى مركز الشرطة في هفيرفيسغاتا للاستجواب، وهناك أخبرَته بنتائج فحوص الطبّ الشرعي، وبردّة فعل الصبيّ عندما سألته ما إذا كان أبوه هو من ضربه، وعن قناعتها الشخصيّة بأنّه هو المذنب. كان إرليندور حاضراً في أثناء الاستجواب. أخبرَت إلينبورغ الأب أنّه في وضع

قانوني يسمح باعتباره مشتبهاً به وأنّه يستطيع أن يطلب محامياً، لا بل عليه ذلك. اعترض الأب وأكّد براءته، وكرّر أنّه مذهول لاعتباره موضع شبهة لمجرّد أنّ زجاجة شراب سقطت على أرض منزله.

شغّل إرليندور آلة التسجيل في غرفة الاستجواب.

تصرّفت إلينبورغ وكأنّها تقرأ تقريراً، وحاولت وضع عواطفها جانباً. قالت: "برأينا، ما حدث هو التالي. عاد الولد من المدرسة. كانت الساعة الثالثة تماماً. عدتَ إلى المنزل بعد وقت قصير. فهمنا أنّك غادرت عملك باكراً في ذلك اليوم، وربّما كنتَ في البيت عندما وقع الحادث. لسبب ما، أوقع الولد زجاجة شراب كبيرة على الأرض. شعر بالذعر، وركض إلى غرفته. جنّ جنونك، لا بل فقدت سيطرتك على أعصابك، ولحقت به إلى غرفته لمعاقبته. خرجت الأمور عن سيطرتك، وضربت ابنك بعنف شديد إلى حدّ أنّك اضطررت للاتّصال بالإسعاف".

راقب الأب إلينبورغ من دون أن يتفوّه بكلمة واحدة.

"استخدمتَ سلاحاً لم نتمكّن من تحديده، أداة مستديرة أو على الأقلّ غير حادّة. ربّما دفعتَه بعنف على حافّة السرير، كما ركلتَه تكراراً. وقبل أن تطلب الإسعاف، مسحتَ الشراب عن الأرض بثلاث مناشف، رميتَها في مستوعب النفايات خارج المنزل. ثمّ كنست الأجزاء الصغيرة من الزجاج بواسطة المكنسة الكهربائيّة، ومسحتَ الأرض الرخاميّة بسرعة، وغسلتَ الخزانة بعناية. خلعتَ جورب الصبيّ، ورميته في المستوعب أيضاً. استخدمتَ سائل تنظيف لإزالة البقع عن السلّم، ولكنّك لم تتمكّن من إزالتها تماماً".

"لا يمكنك إثبات شيء، فكلّ ما قلتِه مجرّد سخافات. لم يقل الولد شيئاً. لم يقل كلمة واحدة عمّن اعتدى عليه. لِمَ لا تحاولين إيجاد زملائه؟".

"لماذا لم تخبرنا عن الشراب؟".

"لا علاقة له بالحادث".

"والجورب المُلقى في المستوعب؟ وآثار الأقدام الصغيرة على السلّم؟".

"انكسرت زجاجة شراب بالفعل، ولكن أنا من كسرها. حدث ذلك قبل يومَين من تعرّض ابني للضرب. كنت أصبّ لنفسي كأساً من الشراب عندما أوقعتها على الأرض وتحطّمت. رأى آدي ذلك وأجفل. طلبت منه أن يكون حذراً وهو يمشي، ولكنّه داس على الشراب المسكوب وركض صاعداً السلّم ومتوجّهاً إلى غرفته. لا علاقة لذلك بالاعتداء الذي تعرّض له، وهذا السيناريو يُدهشني. أنتِ لا تملكين أيّ دليل! هل قال إنّني ضربته؟ أشكّ

في ذلك. ولن يقول ذلك أبداً، لأنّني لست الفاعل. لم أفعل له قطّ شيئاً كهذا. مطلقاً".

"لماذا لم تخبرنا بذلك مباشرة؟".

"مباشرة؟".

"عندما وجدنا البقع. لم تقل شيئاً عن ذلك حينها".

"لأنّ هذا ما ظننت أنّه سيحدث. عرفت أنّك سترَبطين الحادث بالضرب الذي تعرّض له آدي. لم أشأ تعقيد الأمور. زملاؤه في المدرسة هم المذنبون".

قالت إلينبورغ: "شركتك تتعرّض للإفلاس. قمت بإقالة عشرين موظّفاً وتتوقّع إقالة المزيد. أظنّ أنّك تتعرّض لضغط كبير، فأنت تخسر منزلك...".

قال: "هذه مجرّد أعمال".

"لدينا سبب للاعتقاد أنّك قد استخدمت العنف من قبل".

"اسمعي، انتظري لحظة...".

"تحقّقنا من السجلاّت الطبيّة. سبق للولد أن كسر إصبعه مرّتين خلال السنوات الأربع الماضية".

"هل لديك أولاد؟ الأولاد يتعرّضون للحوادث دائماً. هذا هراء".

"كتب طبيب الأطفال ملاحظة عن الإصبع المكسورة في المرّة الثانية، وأبلغ وكالة الرعاية الاجتماعية للأطفال. كانت الإصبع نفسها. أرسلَت الوكالة أشخاصاً إلى منزلك. تفحّصوا الوضع، ولم يجدوا شيئاً يُذكر. ثمّ أتى طبيب الأطفال ووجد آثار إبرة على ظاهر يد الصبيّ".

لزم الأب الصمت.

لم تستطع إلينبورغ السيطرة على أعصابها فهمست قائلة: "أيّها النذل".

قال وهو يشيح بنظره: "أريد التكلّم مع محاميّ".

"قلت، صباح الخير!".

عاد إرليندور إلى الواقع ورأى هنري وابشوت واقفاً أمامه. كان غارقاً في أفكاره حول الطفل الهارب، ولم يلاحظ أن وابشوت قد دخل المقهى، ولم يسمع تحيّته.

قفز واقفاً وصافحه. كان وابشوت يرتدي الملابس نفسها التي رآه فيها يوم أمس. كما كان شعره أشعث وبدا متعباً. طلب القهوة، وكذلك فعل إرليندور.

قال إرليندور: "كنّا نتكلّم عن هواة جمع الأشياء".

قال وابشوت: "أجل". وظهرت ابتسامة حزينة على وجهه. "عصبة من الأشخاص الوحيدين، مثلي".

"كيف يمكن لجامع مثلك يعيش في المملكة المتّحدة أن يكتشف أنّه قبل أربعين عاماً كان ثمّة غلام جوقة يملك صوتاً جميلاً في هافنارفيوردور في أيسلندا؟".

أجاب وابشوت: "آه، لا بل أكثر بكثير من مجرّد صوت جميل، أكثر بكثير. كان لذلك الصبيّ صوت فريد من نوعه".

"كيف سمعت عن غودلاوغور إجيلسون؟".

"من أشخاص لديهم الاهتمام نفسه. فهواة جمع الأسطوانات يتخصّصون في حقول معيّنة، كما أخبرتك البارحة، حسبما أظنّ. فإن أخذنا موسيقى الجوقات مثلاً، يمكن تقسيم الجامعين إلى فئات: فئة من يجمعون أغاني معيّنة أو ترتيبات معيّنة وحسب، وفئة من يجمعون جوقات معيّنة. وثمة آخرون، مثلي، يجمعون أسطوانات لغلمان الجوقات. البعض يجمع أسطوانات غلمان سجّلوا أسطوانات زجاجيّة ذات 78 دورة في الدقيقة، توقّف تصنيعها في الستينيات، وآخرون يجمعون أسطوانات مفردة ذات 45 دورة في الدقيقة، ولكن من ماركة معيّنة. ثمّة أنواع لا تنتهي من التخصّصات. يبحث البعض عن كل النسخ لأغنية واحدة، ستورمي ويذر مثلاً، التي تعرفها بالتأكيد. فقط لكي تفهم كيف تتمّ هذه الأمور. سمعتُ عن غودلاوغور من مجموعة أو جمعية للجامعين اليابانيين الذين يديرون على الشبكة موقعاً كبيراً للتجارة. لا يحبّ اليابانيّون جمع الموسيقى الغربيّة، بل يجوبون العالم ويشترون كلّ ما تقع عليه أيديهم، لا سيّما موسيقى البيتلز والموسيقى الهيبيّة. فهم مشهورون في أسواق الأسطوانات، وأفضل ما فيهم أنّهم يملكون المال".

تساءل إرليندور ما إذا كان التدخين مسموحاً في المقهى، وقرّر أن يجرّب. وعندما لاحظ وابشوت أنّه يهمّ بتدخين سيجارة، تناول علبة مغضّنة من سجائر تشيسترفيلد وأعطاه إرليندور ولاّعة.

سأله وابشوت: "هل تظنّ أنّ التدخين مسموح هنا؟".

أجاب إرليندور: "سنكتشف بعد قليل".

قال وابشوت: "كان لدى اليابانيين نسخة واحدة من أسطوانة غودلاوغور المفردة الأولى، تلك التي أريتك إيّاها البارحة. اشتريتها منهم، وكلّفتني ثروة، ولكنّني لست نادماً. وعندما سألتهم عن تاريخها، قالوا إنّهم اشترَوها من جامع أسطوانات من بيرغن في النرويج خلال معرض أسطوانات

في ليفربول. فاتّصلت بجامع الأسطوانات النرويجي، واكتشفت أنّه اشترى بعض الأسطوانات من تركة ناشر موسيقي في تروندهاين. ربّما أُرسلت إليه النسخة من أيسلندا، عبر شخص أراد أن يُعرَف الصبيّ في الخارج".

قال إرليندور: "بحث طويل عن أسطوانة قديمة".

"هواة الجمع مثل علماء الأنساب. فالبحث عن الأصل يشكّل جزءاً من المتعة. منذ ذلك الوقت، حاولتُ الحصول على المزيد من النسخ عن أسطواناته، ولكنّ الأمر صعب جداً. فهو لم يسجّل سوى تينك الأسطوانتَين".

"قلتَ إنّ اليابانيين باعوك النسخة لقاء ثروة. هل لتلك الأسطوانات قيمة كبيرة؟".

أجاب وابشوت: "فقط لدى جامعي الأسطوانات، ونحن لا نتحدّث هنا عن مبالغ كبيرة".

"ولكنّها كافية لكي تأتي إلى هنا، إلى أيسلندا، وتشتريَ المزيد. لهذا السبب أردتَ لقاء غودلاوغور، لتعرف ما إذا كانت لديه نسخ أخرى".

"أنا أتعامل مع اثنين أو ثلاثة من جامعي الأسطوانات الأيسلنديين منذ فترة، وذلك قبل أن أبدأ بالاهتمام بغودلاوغور. لسوء الحظّ، لم تعد أسطواناته منتشرة. فالجامعون الأيسلنديون لم يتمكّنوا من إيجاد أيّ منها. قد تصلني نسخة من ألمانيا عبر الإنترنت. وقد أتيت إلى هنا لمقابلة أولئك الجامعين، وللقاء غودلاوغور لأنّني أحبّ غناءه جداً، ولزيارة متاجر الأسطوانات هنا ورؤية السوق".

"وهل تكسب عيشك من العمل بهذا المجال؟".

قال وابشوت وهو ينفض رماد سيجارته، بأصابعه الصفراء بعد عقود من التدخين: "بالكاد. لقد حصلت على إرث، أملاك في ليفربول. وأنا أقوم بإدارتها، ولكنّ معظم وقتي مخصّص لجمع الأسطوانات. يمكنك تسميته شغفاً".

"وأنت تجمع أسطوانات غلمان الجوقات".

"أجل".

"هل وجدت شيئاً مثيراً للاهتمام في هذه الرحلة؟".

"كلاّ، لا شيء. لا يبدو أنّ الناس هنا يهتمّون بالاحتفاظ بما هو قديم. فهم يحبّون كلّ ما هو عصري، وينبذون القديم. لا شيء يستحقّ الاحتفاظ به. يبدو أنّ الناس يعاملون الأسطوانات بشكل سيّئ هنا، ويتخلّصون منها. كتلك التي يجدونها في تركة الأموات مثلاً. لا تتمّ دعوة أحد لفحصها، بل يلقونها في النفايات. لطالما ظننتُ أنّ شركة في ريكيافيك تدعى سوربا هي

جمعيّة لهواة جمع الأشياء القديمة. فقد كانت تُذكر دائماً في المراسلات. ولكن تبيّن لي أنّها مصنع تكرير يدير سوقاً للأغراض المستعملة كنشاط جانبي. يأتي الجامعون إلى هنا ويجدون الكثير من الأشياء القيّمة بين النفايات، ويبيعونها عبر الإنترنت لقاء مبالغ جيّدة".

سأله إرليندور: "هل تُعتبر أيسلندا مثيرة لاهتمام الجامعين على نحو خاصّ؟ أعني بحدّ ذاتها".

"ما يُميّز أيسلندا بالنسبة إلى الجامعين هو أنّها سوق صغيرة. إذ لا يتمّ إصدار أكثر من بضع نسخ لكلّ أسطوانة، ولا يمضي وقت طويل حتّى تختفي وتضيع، مثل أسطوانات غودلاوغور".

"لا بدّ من أنّ هذه الهواية مثيرة في عالم يمقت فيه الناس كلّ ما هو قديم وبلا فائدة. لا بدّ من أنّك تشعر بالسعادة وأنت تفكّر في أنّك تُنقذ أشياء ذات قيمة ثقافية".

قال وابشوت: "نحن مجرّد حفنة من المولعين الذين يقاومون الدمار".

"وتستفيدون من ذلك".

"يمكنك قول ذلك".

"ماذا حدث لغودلاوغور إجيلسون؟ ماذا حلّ بالنجم الصغير؟".

"أصابه ما يصيب جميع النجوم الصغار، فقد كبُر. لا أدري ما حلّ به بالضبط، ولكنّه لم يغنِّ قطّ بعدما بلغ سنّ المراهقة أو الرشد. كانت حياته الفنيّة قصيرة ولكنّها جميلة، ثمّ ضاع بين الحشود ولم يعد فريداً. لم يعد ثمّة من يؤيّده، ولا بدّ من أنّه افتقد إلى ذلك. فالمرء يحتاج إلى أعصاب قويّة للصمود أمام الإعجاب والشهرة في تلك السنّ الصغيرة، وإلى أعصاب أقوى عندما يدير الناس ظهورهم إليه".

نظر وابشوت إلى الساعة المعلّقة على الجدار، ومن ثمّ إلى ساعته، وتنحنح قليلاً.

"سأستقلّ الطائرة التي تُقلع مساءً إلى لندن، وأحتاج إلى القيام ببعض الأمور قبل الانطلاق. هل ثمّة ما تريد معرفته بعد؟".

نظر إليه إرليندور.

"كلاّ، هذا كلّ شيء حسبما أظنّ. اعتقدت أنّك سترحل غداً".

"إليك بطاقتي، في حال احتجت إلى مساعدة أخرى أستطيع تقديمها إليك". قال وابشوت ذلك وأعطى إرليندور بطاقة أخرجها من جيب سترته.

قال إرليندور: "لقد غيّرتَ موعد رحلتك".

قال وابشوت: "هذا لأنّني لم أُقابل غودلاوغور. أنهيت معظم ما

خطّطت فعله في هذه الرحلة، سأوفّر على نفسي ثمن ليلة إضافيّة في الفندق".

قال إرليندور: "أمر واحد بعد".

"نعم".

"ستأتي موظفة من قسم الأحياء لأخذ عيّنة من لعابك، إن أمكن ذلك".

"عيّنة من لعابي؟".

"من أجل التحقيق في الجريمة".

"ولماذا ستأخذ عيّنة من اللعاب؟".

"لا أستطيع إخبارك في الوقت الحاضر".

"هل أنا مشتبه به؟".

"نحن نأخذ عيّنات من كلّ من عرف غودلاوغور، من أجل التحقيق. وهذا لا يعني شيئاً بالنسبة إليك".

قال وابشوت: "فهمت. لعاب! كم هذا غريب!".

ابتسم، وحدّق إرليندور إلى أسنان فكّه السفليّة، التي خلّف عليها النيكوتين بقعاً سوداء.

11

دخلا إلى الفندق عبر الباب الدوّار؛ رجل عجوز ضعيف جالس على كرسيّ مدولب، مشت خلفه امرأة قصيرة ونحيلة، ذات أنف صغير معقوف، وعينَين قاسيتَين وخارقتَين جالت بهما في البهو. كانت المرأة في العقد الخامس من عمرها، ترتدي معطفاً بنيًّا سميكاً، وتنتعل حذاءً جلديًّا طويلاً، وتدفع العجوز أمامها. كان الرجل في الثمانين من عمره تقريباً، ظهرت خصل عشوائيّة من شعره من تحت حافّة قبّعته، وبدا وجهه النحيل شاحباً شحوب الأموات. جلس وهو محدّب الظهر، وبرزت يداه النحيلتان البيضاوان من تحت كمي معطف أسود. أحاط وشاح بعنقه، وبدت عيناه من خلف نظّارته السميكة ذات الإطار الأسود المقرّن مثل عينَي سمكة.

دفعته المرأة نحو مكتب الحجز. راقبهما مدير الاستقبال، الذي كان يغادر مكتبه، وهما يقتربان.

وسألهما عندما وصلا إلى المكتب: "هل أستطيع مساعدتكما؟".

تجاهله الرجل الجالس على الكرسيّ المدولب، ولكنّ المرأة سألت عن تحرّي يُدعى إرليندور، قيل لها إنّه يعمل في الفندق. كان إرليندور يغادر المقهى مع وابشوت، ورآهما يدخلان. لفتا انتباهه على الفور، فقد كان فيهما شيء ما يذكّر بالموت.

تساءل ما إذا كان يجدر به استبقاء وابشوت ومنعه من العودة إلى بريطانيا في الوقت الحاضر، ولكنّه لم يجد سبباً كافياً لاعتقاله. كان يتساءل عن هويّة هذين الشخصين. رجل ذو عينين شبيهتين بعيني السمكة، وامرأة ذات منقار نسر. عندما رآه مدير الاستقبال لوّح له. كان إرليندور على وشك توديع وابشوت، ولكنّ هذا الأخير اختفى فجأة.

قال مدير الاستقبال حين اقترب إرليندور من مكتب الحجز: "إنهما يسألان عنك".

مشى إرليندور ووقف خلف المكتب. حدّقت إليه عينا السمكة من تحت القبّعة.

سأله الرجل الجالس على الكرسيّ المدولب بصوت عجوز ومبهم: "هل أنت إرليندور؟".

سأله إرليندور: "هل تريد التحدّث معي؟". ارتفع منقار النسر في الهواء.

سألته المرأة: "هل أنت المكلّف بالتحقيق في موت غودلاوغور إجيلسون

في هذا الفندق؟".

أجابها إرليندور أنّه هو.

قالت: "أنا أخته، وهذا أبونا. هل يمكننا التكلّم على انفراد؟".

عرض عليها قائلاً: "هل تريدين المساعدة؟". استهجنت سؤاله ودفعت الكرسيّ أمامها. تبعا إرليندور إلى المقهى، وصولاً إلى الطاولة التي كان يجلس إليها مع وابشوت. كانوا الأشخاص الوحيدين في الداخل، حتّى النادل اختفى. لم يعرف ما إذا كان المقهى يفتح عادة قبل الظهيرة. وبما أنّ الباب لم يكن مقفلاً، افترض أنّه يفتح. ولكن يبدو أنّ قلّة من الناس يعرفون ذلك.

قادت المرأة الكرسيّ المدولب إلى الطاولة وأقفلت العجلات، ثمّ جلست أمام إرليندور.

كذب عليها قائلاً: "كنت في طريقي لرؤيتكما". في الواقع، كان ينوي إرسال سيغوردور أولي وإلينبورغ للتكلّم مع أسرة غودلاوغور، ولكنّه لا يذكر ما إذا كان قد طلب منهما ذلك.

قالت المرأة: "فضّلنا عدم دخول الشرطة إلى منزلنا، فهذا لم يحدث معنا قطّ. اتّصلت بنا سيّدة، يبدو أنّها زميلتك، أعتقد أنّ اسمها كان إلينبورغ. سألتُها من هو المكلّف بالتحقيق وقالت إنّك واحد منهم. كنت آمل الانتهاء من هذا الموضوع لتتركونا بسلام".

لم يبدُ أيّ أثر للحزن في سلوكها. لم تكن حزينة على فقدان شخص عزيز، ولم يرَ منها سوى وقاحة باردة. شعرا أنّ عليهما إنجاز واجبات معيّنة، وتقديم تقرير للشرطة. ولكن، من الواضح أنّهما يشعران بالنفور من ذلك ولم يتكبّدا عناء إخفائه. بدا أنّ الجثّة التي وُجدت في قبو الفندق لا تهمّهما، وكأنّهما فوق هذا الموضوع.

سألها إرليندور: "هل تعرفان الظروف التي وُجد فيها غودلاوغور؟".

قال العجوز: "نعرف أنّه قُتل. نعرف أنّه طُعن".

"هل تعرفان من الذي يمكن أن يفعل ذلك؟".

أجابت المرأة: "لا فكرة لدينا، فنحن لسنا على اتّصال به. لا نعرف من يعاشر، ولا نعرف أصدقاءه وأعداءه، هذا إن كان لديه أصدقاء أو أعداء".

"متى كانت آخر مرّة رأيتماه فيها؟".

دخلت إلينبورغ إلى المقهى، واقتربت منهم، وجلست قرب إرليندور. عرّفهما عليها، ولكن لم يُظهرا أيّ ردّة فعل، كان كلاهما مصمّمين على عدم الانزعاج من شيء يتعلّق بتلك الحادثة.

قالت المرأة: "أظنّ أنّه كان في العشرين من عمره في آخر مرّة رأيناه فيها".

ظنّ إرليندور أنّه أساء الفهم: "في العشرين؟".

"كما قلتُ، لم نكن على اتّصال به".

سألتها إلينبورغ: "لماذا؟".

لم تتكبّد المرأة عناء النظر إليها حتّى، بل نظرت إلى إرليندو وسألته: "ألا يكفينا التحدّث معك؟ هل يجب أن تكون هذه المرأة هنا هي أيضاً؟".

نظر إرليندور إلى إلينبورغ وبدا عليه شيء من المرح.

قال من دون أن يجيبها: "لا يبدو أنّك حزينة جداً على مصيره. غودلاوغور، شقيقك". ونظر إلى المرأة مجدّداً. "وهو ابنك". ونظر إلى العجوز. "لماذا؟ لماذا لم ترَياه خلال ثلاثين عاماً؟ وكما قلت لكما، اسمها إلينبورغ". ثم أضاف: "إن كان لديكما تعليقات أخرى، سنأخذكما إلى مركز الشرطة لنتابع التحقيق هناك، ويمكنكما تقديم شكوى رسميّة. لدينا سيّارة شرطة في الخارج".

ارتفع منقار النسر أمام الإهانة، بينما ضاقت عينا السمكة.

قالت: "عاش حياته، وعشنا حياتنا. ليس لدينا الكثير لقوله. لم يكن ثمّة اتّصال بيننا، هذا ما حدث. كنّا مرتاحَين هكذا، وكذلك هو".

قال إرليندور: "هل تعنين أنّ آخر مرّة رأيتماه فيها كانت في أواسط السبعينيات؟".

كرّرت: "لم يكن ثمّة اتّصال".

"ألم يكن هناك اتصال بينكم خلال كلّ تلك السنوات، ولو لمرّة واحدة؟ لا اتّصال هاتفي؟ لا شيء؟".

أجابت: "كلاّ".

"لماذا؟".

أجاب العجوز: "إنّها مسألة عائلية، لا علاقة لها بالقضيّة. لا من قريب ولا من بعيد. مسألة منتهية. ماذا تريد أن تعرف أيضاً؟".

"هل كنتما تعرفان أنّه كان يعمل في هذا الفندق؟".

أجابت المرأة: "كنّا نسمع عنه من وقت إلى آخر. عرفنا أنّه كان يعمل حارساً هنا. يرتدي زيًّا سخيفاً، ويفتح الباب للزوّار. وفهمت أنّه كان يؤدّي دور سانتا في حفلات الميلاد".

تركّزت عينا إرليندور عليها. قالت ذلك وكأنّه ما كان بإمكان

غودلاوغور أن يهين عائلته أكثر، حين وُجد مقتولاً، وهو نصف عارٍ، في قبو فندق.

قال إرليندور: "لا نعرف الكثير عنه. لا يبدو أنّ أصدقاءه كثر. عاش في غرفة صغيرة في هذا الفندق، ويبدو أنّه كان محبوباً. فقد وجده الناس طيّباً مع الأطفال. وكما قلتِ، كان يؤدّي دور سانتا في حفلات الفندق. ولكنّنا سمعنا للتوّ أنّه كان مغنّياً واعداً. كان صبيًّا صغيراً سجّل أسطوانتَين، على ما أظنّ، ولكنّكما تعرفان بالطبع المزيد عن ذلك. رأيت مغلّف أسطوانة كُتب عليه أنّه يستعدّ لجولة في سكاندينافيا، وبدا وكأنّ العالم كلّه تحت قدمَيه. ثمّ انتهى كلّ ذلك على ما يبدو، ولم يعد أحد يعرف ذلك الصبيّ الآن باستثناء بعض المولعين بجمع الأسطوانات القديمة. ما الذي حدث؟".

انخفض منقار النسر، وأعتمت عينا السمكة بينما كان إرليندور يتحدّث. أشاح العجوز نظره عنه، وثبّته على الطاولة، ومع أنّ المرأة ظلّت تحاول الحفاظ على مظهرها المتسلّط والفخور، إلاّ أنّها لم تعد تبدو واثقة جداً من نفسها.

كرّر إرليندور سؤاله: "ما الذي حدث؟". وتذكّر فجأة أسطوانتَي غودلاوغور الموجودتَين في غرفته.

قال العجوز: "لم يحدث شيء، خسر صوته. وصل إلى سنّ البلوغ باكراً وخسر صوته حين كان في الثانية عشرة من عمره، وتلك كانت النهاية".

سألته إلينبورغ: "ألم يستطع الغناء بعد ذلك؟".

قال العجوز بانزعاج: "لم يعد صوته جميلاً. لم يعد بإمكانك تعليمه شيئاً، أو فعل شيء له. انقلب ضدّ الغناء واستبدّ به التمرّد والغضب، فأصبح يعارض كلّ شيء. عارضني، وعارض أخته التي بذلت ما في وسعها من أجله. تهجّم عليّ، ولامني على كلّ شيء".

قالت المرأة وهي تنظر إلى إرليندور: "هل من شيء آخر، ألم نقل لكما ما فيه الكفاية؟ ألم تكتفِ بما قلناه؟".

قال إرليندور، مدّعياً أنّه لم يسمعها: "لم نجد الكثير في غرفة غودلاوغور. وجدنا أسطوانتين، فضلاً عن مفتاحَين".

كان قد طلب من خبراء الطبّ الشرعي إعادة المفتاحَين بعد فحصهما. فأخرجهما من جيبه ووضعهما على الطاولة. تدلّيا من علاقة مفاتيح مع مدية صغيرة. كانت العلاّقة محاطة بإطار بلاستيكيورديّ، وعلى إحدى جهتَيها صورة لقرصان ذي ساق خشبيّة، وقطلس [4] ، ورقعة على إحدى

عينَيه، مع كلمة قرصان PIRATE ، مكتوبة بالإنكليزية تحتها.

ألقت المرأة نظرة سريعة على المفتاحَين، وقالت إنّها لم ترهما من قبل. فيما عدّل العجوز نظّارته على أنفه ونظر إلى المفتاحين، ثمّ هزّ رأسه.

قال إرليندور: "يبدو أن أحدهما مفتاح باب منزل على الأرجح. ويبدو الآخر مفتاح خزانة أو صندوق ما". راقبهما، ولكنّه لم يحصل على إجابة، فأعاد المفتاحَين إلى جيبه.

سألته المرأة: "هل وجدتَ أسطواناته؟".

أجاب: "وجدت اثنتَين. هل سجّل غيرهما؟".

قال العجوز: "كلاّ، ليس لديه غيرهما". وحدّق إلى إرليندور للحظة ثمّ حوّل نظره عنه بسرعة.

سألته المرأة: "هل يمكننا الحصول على الأسطوانتَين؟".

أجاب إرليندور: "أفترض أنّكما سترثان كلّ ما تركه. عندما ينتهي التحقيق، ستحصلان على كلّ مقتنياته. ليس لديه أفراد أسرة آخرون، أليس كذلك؟ لم ينجب أطفالاً، أليس كذلك؟ لم نتمكّن من إيجاد أقرباء آخرين".

قالت المرأة: "آخر ما عرفته عنه أنّه كان أعزب. هل يمكننا مساعدتك أكثر؟". طرحت عليه سؤالها، وكأنّهما ساهما كثيراً في التحقيق بمجيئهما إلى الفندق.

قال إرليندور: "لم يكن الذنب ذنبه إن كبر وخسر صوته". لم يعد قادراً على تحمّل عدم اكتراثهما وغطرستهما. فابنه هو من خسر حياته، وشقيقها هو الذي قُتل. ومع ذلك، يتصرّفان وكأنّ شيئاً لم يحدث، وكأنّ ما حدث لا علاقة له بهما، وكأنّ حياته لم تعد جزءاً من حياتهما منذ زمن طويل، لسبب لم يتمّ كشفه لإرليندور.

نظرت إليه المرأة، وقالت مجدّداً وهي تحلّ فرامل الكرسيّ المدولب: "إن لم يكن لديك أسئلة أخرى".

قال إرليندور: "سنرى".

قالت فجأة: "تظنّ أنّنا لم نُظهر الكثير من التعاطف، أليس كذلك؟".

أجاب: "لا أظنّ أنّكما أظهرتما أيّ تعاطف على الإطلاق. ولكن، هذا ليس من شأني".

قالت المرأة: "كلاّ، هذا ليس من شأنك".

"ولكن الأمر سيان. ما أريد معرفته هو ما إذا كانت لديكما أيّ مشاعر تجاه الرجل. كان أخاك". والتفت إرليندور إلى العجوز الجالس على كرسيّه وأضاف: "ابنك".

قالت المرأة: "كان غريباً بالنسبة إلينا". ثمّ وقفت، بينما بدا الاستياء على قسمات العجوز.

"لأنّه لم يكن عند حسن ظنّكما؟". وقف إرليندور هو أيضاً وتابع: "لأنّه خيّب أملكما حين كان في الثانية عشرة من عمره، عندما كان طفلاً؟ ماذا فعلتما؟ هل طردتماه؟ هل رميتماه في الشارع؟".

قالت المرأة وهي تصرّ على أسنانها: "كيف تجرؤ على التحدّث معنا أنا ووالدي بهذه النبرة؟ كيف تجرؤ؟ من عيّنك لمحاسبة ضمائر الآخرين؟".

فصاح بها إرليندور: "ومن سلبكما ضميريكما؟".

شعر أنّ نظراتها كالخناجر. ثمّ بدا أنّها استسلمت، فسحبت الكرسيّ نحوها، ثمّ أدارته بعيداً عن الطاولة ودفعته أمامها إلى خارج المقهى. مشت بخطوات كبيرة عبر البهو نحو الباب الدوّار. كان جهاز التسجيل يصدح بصوت سوبرانو أيسلندي يغنّي بكآبة. لحق بهما إرليندور وإلينبورغ وراقباهما وهما يغادران الفندق. رفعت المرأة رأسها عالياً، فيما غرق العجوز في كرسيّه أكثر، ولم يظهر منه سوى رأسه الذي راح يهتزّ إلى الأمام والخلف.

12

عندما عاد إرليندور إلى غرفته بعد الظهر بقليل، وجد أنّ مدير الاستقبال قد أرسل إليه جهازاً لتشغيل الأسطوانات ومكبّرَين للصوت. كان في الفندق بضعة أجهزة للأسطوانات لم تستعمل منذ بعض الوقت. وبما أنّ إرليندور يملك واحداً في منزله، تمكّن من تشغيله بسرعة. لم يكن لديه جهاز لتشغيل الأسطوانات المدمجة، ولم يشترِ آلة تسجيل لسنوات لأنّه لا يحبّ الاستماع إلى الموسيقى المعاصرة. ظلّ لوقت طويل يسمع الناس وهم يتحدّثون عن الهيب هوب معتقداً أنّه اسم جديد للعبة هوبسكوتش (لعبة القفز).

كانت إلينبورغ في طريقها إلى هافنارفيوردور، فقد طلب منها إرليندور الذهاب لرؤية المدرسة التي ارتادها غودلاوغور. كان ينوي أن يسأل الأب أو الأخت، ولكنّه لم يجد الفرصة لذلك عندما انتهى اللقاء فجأة. قرّر التحدّث معهما مجدّداً في وقت لاحق. في تلك الأثناء، أراد من إلينبورغ العثور على أشخاص عرفوا غودلاوغور في سنوات نجوميّته، والتكلّم مع زملائه في المدرسة. أراد أن يعرف الأثر الذي خلّفته الشهرة على الولد في تلك السنّ المبكرة. أراد أن يعرف أيضاً رأي زملائه فيها، وما إذا كان أيّ منهم يذكر ما حدث عندما خسر صوته، وما حلّ به في السنوات القليلة التالية. كان يتساءل أيضاً ما إذا كان ثمّة من يعرف بوجود أعداء لغودلاوغور منذ ذلك الوقت.

أوجز كلّ ذلك لإلينبورغ في البهو، ولاحظ انزعاجها لأنّه يُملي عليها ما يجب فعله. كانت تعرف ملابسات القضية، وتستطيع تحديد الأهداف بنفسها.

أضاف لمضايقتها أكثر: "ويمكنك شراء المثلّجات في الطريق". تمتمت ببعض الشتائم حول الذكور المتعصّبين وخرجت.

قال صوت من خلفه: "كيف أتعرّف على هذا السائح؟". التفت ليجد فالغردور أمامه، وهي تحمل حقيبة المعدّات بيدها.

أجاب: "وابشوت؟ التقيته البارحة. إنّه ذلك البريطاني العجوز المنهك، ذو الأسنان الملطّخة، الذي يهوى جمع أسطوانات غلمان الجوقات".

ابتسمت.

سألته: "أسنان ملطّخة؟ ويهوى جمع أسطوانات غلمان الجوقات؟".

"إنّها قصّة طويلة جداً سأرويها لكِ يوماً. هل من جديد بخصوص

العيّنات؟".

شعر بسرور غريب لدى رؤيته إيّاها مجدّداً. كاد قلبه يقفز من مكانه عندما سمع صوتها خلفه. أُزيح العبء عن صدره للحظة، واستعاد صوته حيويّته، وشعر أنّ أنفاسه قصيرة.

قالت: "لا أدري شيئاً عنها بعد، فثمّة أعداد كثيرة منها".

"أنا...". بحث إرليندور عن عذر لما حدث في الليلة الماضية. "أنا آسف حقاً بخصوص ليلة أمس. الموت والفواجع. لم أُخبرك بالحقيقة تماماً عندما سألتني عن اهتمامي بالأشخاص الذين يموتون في البراري".

قالت: "لست مضطرًّا إلى إخباري شيئاً".

"بلى، عليّ إخبارك حتماً. هل يمكننا الخروج مجدّداً؟".

"لا..." صمتت. "لا تعطِ الأمر أهميّة. كانت أمسية رائعة. فلننسَ ذلك، اتّفقنا؟".

"اتّفقنا، إن كان هذا ما تريدينه". مع أنّه أراد العكس.

"أين هو وابشوت هذا؟".

رافقها إرليندور إلى مكتب الاستقبال، وهناك تمّ إعطاؤها رقم غرفته. تصافحا، وتوجّهت نحو المصعد. راقبها وهي ذاهبة. انتظرت المصعد من دون أن تنظر إلى الخلف. تساءل ما إذا كان عليه اللحاق بها، وكان على وشك القيام بذلك عندما فُتح الباب ودخلت. نظرت إليه في اللحظة التي أُغلق فيها الباب، وابتسمت ابتسامة طفيفة.

وقف إرليندور ساكناً للحظة، ورأى المصعد وهو يتوقّف عند رقم طابق وابشوت. ثمّ ضغط على الزرّ مجدّداً. استطاع أن يشمّ عطر فالغردور في طريقه إلى الطابق حيث توجد غرفته.

وضع أسطوانة لغلام الجوقة غودلاوغور إجيلسون في الجهاز وتأكّد من تثبيت السرعة على 45 دورة في الدقيقة. ثمّ تمدّد على سريره. كانت الأسطوانة جديدة، وبدا أنّها لم تُشغّل إطلاقاً. فهي لم تكن تحمل أيّ خدش أو ذرّة غبار. بعد طقطقة بسيطة في البداية، أتت المقدّمة، وأخيراً بدأ صوت صافٍ ورائع لسوبرانو ذكر يغنّي السلام المريمي .

وقف بمفرده في الممرّ، وفتح بحذر الباب المؤدّي إلى غرفة أبيه، فرآه جالساً على طرف السرير، شارداً في قلق صامت. لم يشارك والدُه في عمليّة البحث. كافح للعودة إلى المزرعة بعدما غاب ولداه عن نظره في الجبل في العاصفة التي هبّت فجأة. راح يطوف وسط العاصفة الثلجيّة وهو يناديهما،

غير قادر على رؤية شيء، بينما كتم عويل العاصفة صياحه. كان يأسه لا يوصَف. فقد اصطحب ولدَيه معه لمساعدته على رعي الخراف وإعادتها إلى الزريبة. كان الشتاء قد حلّ، وبدا الطقس جميلاً في ذلك النهار عند انطلاقهم. ولكن، كان ذلك مجرّد توقّع، إذ هبّت العاصفة من دون سابق إنذار.

اقترب إرليندور من أبيه ووقف إلى جانبه. لم يفهم لماذا يجلس على السرير عوضاً عن الانضمام إلى فريق البحث في الجبال. لم يكن قد تمّ العثور على أخيه بعد. ربّما ما زال على قيد الحياة، مع أنّ هذا مستبعد. رأى إرليندور أمارات اليأس على وجوه الرجال المنهكين، الذين عادوا إلى البيت للاستراحة وتناول الطعام قبل الانطلاق مجدّداً. أتَوا من القرى والمزارع المجاورة، مع كلّ من كان أهلاً للمهمّة، واصطحبوا معهم كلاباً، وعصيًّا طويلة راحوا يغرزونها في الثلج. هكذا عثروا على إرليندور، وهكذا كانوا يأملون بالعثور على شقيقه.

ذهبوا إلى الجبل في فرق من ثمانية إلى عشرة أشخاص، كانوا يطعنون الثلج بعصيّهم، وهم ينادون شقيقه. مرّ يومان على عثورهم على إرليندور، وثلاثة أيّام على العاصفة التي فرّقت بين المسافرين. بقيَ الشقيقان معاً لوقت طويل. صاحا طالبَين النجدة وسط العاصفة، وحاولا سماع صوت أبيهما. كان إرليندور أكبر من أخيه بعامَين، فأمسك بيده، ولكنّ أيديهما تخدّرت من البرد ولم يشعر إرليندور متى أفلت يد أخيه. كان يظنّ أنّه لا يزال يمسك بيد أخيه، ولكنّه عندما التفت لم يرَه. ظنّ لاحقاً أنّه يذكر انزلاق يد أخيه من يده، ولكنّه كان مجرّد تخيّل. في الواقع، لم يشعر بذلك قطّ.

اقتنع بأنّه سيموت في سنّ العاشرة في عاصفة ثلجيّة لن تتوقّف على ما يبدو. إذ انقضّت عليه من كلّ جانب، مزّقته وقطّعت أوصاله وأعمت بصره. كانت باردة، وقاسية، وبلا رحمة. أخيراً، سقط في الثلج وحاول دفن نفسه. استلقى هناك وهو يفكّر بأخيه الذي كان يُحتضر أيضاً في الجبل.

أيقظته وخزة حادّة في كتفه، وظهر فجأة وجه لم يتعرّف عليه. لم يتمكّن من سماع ما قاله الرجل. أراد مواصلة النوم. تمّ سحبه من تحت الثلج، وتناوب الرجال على حمله، مع أنّه لا يذكر كثيراً رحلة العودة. سمع أصواتاً، وسمع صوت أمّه وهي تعتني به. فحصه طبيب، وقال إنّه أُصيب بلسعة صقيع في قدمَيه وساقَيه، ولكنّها لم تكن خطيرة جداً. رأى غرفة أبيه، ورآه جالساً بمفرده على طرف السرير وكأنّ ما حدث لم يؤثّر فيه.

بعد يومَين، استعاد إرليندور قواه. وقف قرب أبيه عاجزاً وخائفاً. راح ضميره يعذّبه بغرابة عندما بدأ يُشفى ويستعيد قوّته. لماذا هو؟ لماذا هو من نجا؟ لو لم يعثروا عليه، هل كانوا سيعثرون على أخيه بدلاً منه؟ أراد أن يسأل أباه عن ذلك، وأراد أن يسأله لماذا لا يشارك في البحث. ولكنّه اكتفى بالنظر إليه، إلى الخطوط العميقة المحفورة في وجهه، إلى لحيته التي لم تُحلق منذ أيّام، وعينَيه اللتَين سوّدهما الحزن.

مرّ وقت طويل من دون أن ينظر والده إليه. فوضع إرليندور يدَه على كتفه وسأله ما إذا كان له ذنب في ما حدث، أي في فقدان أخيه، لأنّه لم يُمسك به بقوّة، وكان عليه أن يعتني به أكثر، كان يجب أن يكون بجانبه عندما عُثر عليه. سأله بصوت ضعيف ومتردّد، ولكنّه فقد السيطرة على نفسه، وبدأ ينتحب. أحنى الأب رأسه، واغرورقت عيناه بالدموع، فاحتضن إرليندور وراح يبكي هو أيضاً، إلى أن أخذ جسده الضخم يهتزّ ويرتجف بين ذراعَي ابنه.

مرّ كلّ ذلك في ذهن إرليندور إلى أن بدأت الأسطوانة تطقطق مجدّداً. لم يكن قد سمح لنفسه بالاسترسال في تلك التأمّلات منذ زمن طويل، ولكنّ الذكريات عادت إليه فجأة، وشعر مجدّداً بالحزن الثقيل الذي لن يتمكّن يوماً من دفنه أو نسيانه تماماً.

تلك كانت قوّة غلام الجوقة.

13

رنّ الهاتف على الطاولة المحاذية للسرير. اعتدل جالساً، ورفع الإبرة عن الأسطوانة ثمّ أوقف عمل الجهاز. كانت فالغردور هي المتّصلة. أخبرته أنّ هنري وابشوت لم يكن في غرفته. وعندما طلبت من الموظّفين الاتّصال بغرفته والبحث عنه، لم يعثروا عليه في أيّ مكان.

قال إرليندور: "كان سينتظر لإعطاء العيّنة. هل أنهى حجزه في الفندق؟ فلقد فهمت أنه ينوي الرحيل هذا المساء".

قالت فالغردور: "لم أسأل عن ذلك. لا أستطيع البقاء هنا أكثر و...".

قال إرليندور: "لا، بالطبع لا، أنا آسف. سأُرسله إليك حالما أجده. آسف على ذلك".

"حسناً إذاً، أنا ذاهبة".

تردّد إرليندور. ومع أنّه لم يعرف ماذا يجب أن يقول، إلاّ أنّه لم يشأ تركها تذهب على الفور. طال الصمت، وسمع فجأة طرقة على بابه، فظنّ أنّ إيفا ليند قد أتت لزيارته.

قال: "أودّ لقاءك مجدّداً، ولكنّني أفهم إن كنت لا تريدين ذلك".

سمع طرقة أخرى على بابه، أقوى هذه المرّة.

قال: "أردت إخبارك الحقيقة عن قصّة الموت والمِحَن، إن كنت ترغبين بالإصغاء".

"ماذا تعني؟".

"هل تودّين ذلك؟".

لم يكن يعرف هو نفسه ماذا يعني. لماذا يريد إخبار تلك المرأة ما لم يخبر به أحداً من قبل سوى ابنته. لماذا لا ينهي هذه المسألة، ويعود إلى حياته الطبيعيّة من دون أن يسمح لشيء بإزعاجه، الآن ولاحقاً.

لم تجبه فالغردور على الفور، وتكرّرت الطرقة على الباب للمرّة الثالثة. وضع إرليندور السمّاعة من يده، وفتح الباب من دون أن ينظر إلى الطارق، مفترضاً أنّها إيفا وحسب. وعندما رفع السمّاعة مجدّداً، كانت فالغردور قد رحلت.

قال: "ألو، ألو؟". ولكن، لم يجبه أحد.

أعاد السمّاعة مجدّداً، ثمّ التفت. رأى في غرفته رجلاً لم يرَه من قبل. كان قصير القامة، يرتدي معطفاً كحليًّا سميكاً، ويضع وشاحاً، ويعتمر قبّعة زرقاء ذات حافّة ناتئة. راحت قطرات الماء تلمع على معطفه حيث ذاب

الثلج. كان وجهه ممتلئاً، وشفتاه سميكتَين وضخمتَين، فيما أحاطت هالتان داكنتان وضخمتان بعينَيه الصغيرتَين المتعبتَين. ذكّره هذا الرجل بصور الشاعر و. هـ. أودين. وسالت قطرة من الماء على طرف أنفه.

قال: "هل أنت إرليندور؟".

"أجل".

قال الرجل: "طُلب منّي المجيء إلى هذا الفندق والتحدّث معك". خلع قبّعته، ونفضها على معطفه، ثمّ مسح بها أنفه.

سأله إرليندور: "من طلب منك ذلك؟".

"شخص يدعى ماريون بريم. لا أعرف من يكون. الأمر يتعلّق بالتحقيق في مقتل غودلاوغور إجيلسون، والحديث مع كلّ من عرفه في الماضي. كنت أعرفه، وطلب منّي ماريون ذاك التحدّث معك عنه".

سأله إرليندور، محاولاً أن يتذكّر أين رأى وجهه من قبل: "من أنت؟".

"أدعى غابريال هيرمانسون، وكنت قائد جوقة أطفال هافنارفيوردور في ما مضى. هل يمكنني الجلوس على السرير؟ تلك الممرّات الطويلة...".

"غابريال؟ تفضّل، اجلس". فكّ الرجل أزرار معطفه، وحلّ وشاحه. تناول إرليندور مغلّف إحدى أسطوانتي غودلاوغور ونظر إلى صورة جوقة أطفال هافنارفيوردور. كان قائد الجوقة يحدّق بمرح إلى الكاميرا.

سأله وهو يُعطيه المغلّف: "أهذا أنت؟".

نظر غابريال إلى المغلّف وهزّ رأسه.

سأله: "من أين لك هذا؟ لم تعد هذه الأسطوانات متوفّرة منذ عقود. أضعت أسطوانتيّ بغباء، بشكل أو بآخر. أعرتهما إلى أحدهم. لا يجدر بك أبداً إعارة أيّ شيء".

قال إرليندور: "كانتا تخصّان غودلاوغور".

قال غابريال: "لم أكن أتجاوز ربّما الثامنة والعشرين من عمري عندما أُخذت تلك الصورة، عجيب كيف يمرّ الوقت".

"ماذا قال لك ماريون؟".

"لم يقل الكثير. أخبرته ما أعرفه عن غودلاوغور، وطلب منّي التحدّث معك. كنت آتياً إلى ريكيافيك بأيّ حال، وفكّرت في أن أستغلّ الفرصة".

تردّد غابريال.

قال: "لم أتمكّن من تحديد الصوت، ولكنّني تساءلت ما إذا كان رجلاً أو امرأة، ماريون ذاك. شعرت أنّه من الفظاظة أن أسأله، ولكنّني لم أتمكّن

من التحديد. عادة، يمكن معرفة ذلك من الصوت. يا له من اسم غريب! ماريون بريم".

شعر إرليندور بنبرة اهتمام في صوته، شعر باللهفة تقريباً، وكأنّه يهمّه أن يعرف.

قال إرليندور: "لم أفكّر يوماً بذلك، ذاك الاسم، ماريون بريم". أشار إلى المغلّف مضيفاً: "كنت أصغي إلى هذه الأسطوانة. لصوته تأثير قويّ، لا يمكن إنكار ذلك، على الرغم من صغر سنّه".

قال غابريال وهو ينظر إلى المغلّف: "كان غودلاوغور على الأرجح أفضل غلام جوقة لدينا. ولكنّني لا أظنّ أنّنا أدركنا ذلك إلاّ لاحقاً، وربّما قبل بضع سنوات وحسب".

"متى التقيته للمرّة الأولى؟".

"أحضره والده إليّ. كانت العائلة تعيش في هافنارفيوردور حينذاك، وما زالت، على ما أظنّ. توفيّت الأمّ بعد مدّة قصيرة، وقام الأب بتربية الطفلَين بمفرده: غودلاوغور وفتاة تكبره ببضعة أعوام. كان الأب يعرف أنّني درَست الموسيقى في الخارج، وعدت للتوّ. قمت بتدريس الموسيقى، كنت أعطي دروساً خصوصيّة، فضلاً عن أعمال أخرى قمت بها. تمّ تعييني قائداً للجوقة عندما تمكّنت من جمع عدد كاف من الأولاد لتأليف جوقة. كان معظمهم من الفتيات، كالعادة، ولكنّنا نشرنا إعلاناً خاصاً نطلب فيه بعض الصّبيان، وقام والد غودلاوغور بإحضاره يوماً إلى منزلي. كان في العاشرة في ذلك الوقت، ويتمتّع بصوت رائع. يا لذلك الصوت الرائع! وكان يعرف كيف يغنّي. لاحظت على الفور أنّ الأب يضغط كثيراً على الصبيّ ويعامله بصرامة. قال إنّه سيعلّمه كلّ ما يعرفه عن الغناء. ثمّ اكتشفت لاحقاً أنّه كان قاسياً مع الصبيّ، يعاقبه ويستبقيه في المنزل إن أراد الخروج للعب. لا أظنّ أنّها تربية صالحة لأنّ ضغوطاً كبيرة كانت تمارَس عليه ولم يكن يسمح له باللعب مع أصدقائه كثيراً. كان الأب مثالاً كلاسيكيًّا عن الآباء المتسلّطين الذين يسعَون إلى تحويل أبنائهم إلى ما يريدونه. لا أظنّ أنّ غودلاوغور عاش طفولة سعيدة فعلاً".

صمت غابريال.

قال إرليندور: "فكّرت بذلك كثيراً، أليس كذلك؟".

"رأيت ذلك يحدث".

"ماذا؟".

"من شأن التربية الصارمة والضغوط الكبيرة أن تترك آثاراً مريعة على

الأطفال. لا أتحدّث هنا عن الحزم الذي يُستخدم مع الأطفال الأشقياء الذين يحتاجون إلى الكبح أو التوجيه، فتلك المسألة مختلفة تماماً. بالطبع، يحتاج الأولاد إلى التأديب. ولكنّني أتحدّث هنا عن الحالات التي لا يُسمح بها للأطفال بعيش طفولتهم. ولا يسمح لهم بأن يكونوا على طبيعتهم وكما يشاءون، بل يقولَبون ويحطَّمون أحياناً ليكونوا شيئاً آخر. كان غودلاوغور يملك صوت سوبرانو جميلاً، وأراد له أبوه دوراً كبيراً في الحياة. صحيح أنّه لم يعامله معاملة سيّئة بشكل واعٍ ومقصود، غير أنّه حرمه من حياته، وسرق منه طفولته".

فكّر إرليندور بأبيه الذي لم يسعَ سوى إلى تعليمه حسن السلوك ولم يقدّم له سوى العاطفة. لم يطلب منه سوى حسن التصرّف ومعاملة الآخرين بلطف. لم يحاول أبوه قطّ تحويله إلى إنسان يختلف عمّا هو عليه. تذكّر إرليندور الأبَ الذي ينتظر الحكم على اعتدائه العنيف على ابنه، وتخيّل غودلاوغور الذي حاول على الدوام أن يكون عند حسن ظنّ أبيه.

تابع غابريال قائلاً: "... فهؤلاء لا يحصلون أبداً على فرصة أن يكونوا أحراراً في الخروج من العالم الذي ولدوا فيه، واتّخاذ قرارات مستقلّة بخصوص حياتهم. بالطبع، لا يدرك الأطفال ذلك إلاّ لاحقاً، وبعضهم لا يفعل على الإطلاق. ولكن غالباً ما يقولون عندما يصبحون في سنّ المراهقة أو الرشد: لم أعد أريد ذلك بعد الآن ، فتنشب الخلافات. فجأة، لا يعود الطفل راغباً في عيش حياة أبوَيه، وقد يؤدّي ذلك إلى مأساة كبيرة. ترى ذلك في كلّ مكان: الطبيب الذي يريد من ابنه أن يكون طبيباً مثله، والمحامي، ومدير الشركة، والطيّار. ثمّة أناس في كلّ مكان يمارسون ضغوطاً مستحيلة على أولادهم".

"هل هذا ما حدث مع غودلاوغور؟ هل قال كفى؟ هل تمرّد؟". صمت غابريال قبل أن يجيب.

سأله: "هل التقيت والد غودلاوغور؟".

أجاب إرليندور: "تحدّثت معه هذا الصباح، هو وابنته. كانا مليئَين بالغضب والكراهية، ولم يبدُ أنّهما يكنّان أيّ عاطفة لغودلاوغور. لم يذرفا دمعة عليه".

"وهل كان الأب جالساً على كرسيّ مدولب؟".

"أجل".

قال غابريال: "حدث ذلك بعدها ببضع سنوات".

"بعد ماذا؟".

"بعد بضع سنوات من الحفلة. تلك الحفلة الرهيبة التي سبقت جولة الغلام في سكاندينافيا. كانت سابقة من نوعها، أن يغادر صبيّ أيسلندا ليغنّي بشكل منفرد مع جوقات في سكاندينافيا. قام الأب بإرسال أسطوانتيه الأوليين إلى النرويج، فأثارت اهتمام شركة أسطوانات هناك، وقامت الشركة بتنظيم جولة موسيقيّة له من أجل نشر أسطوانتيه في سكاندينافيا. قال لي الأب مرّة إنّ حلمه، لاحِظ، حلمه هو ، وليس حلم غودلاوغور بالضرورة، هو أن يغنّي الصبيّ في جوقة غلمان فيينا. وكان ليفعل، لا شكّ في ذلك".

"ماذا حدث إذاً؟".

قال غابريال: "ما يحدث دائماً عاجلاً أم آجلاً مع السوبرانو الذكور. تدخّلت الطبيعة في أسوأ توقيت في حياة الغلام. كان يمكن أن يحدث ذلك خلال التمرين، أو حين يكون وحده في المنزل. ولكن حدث ذلك هناك والطفل المسكين...".

نظر غابريال إلى إرليندور.

"كنت معه خلف الكواليس. كان يفترض بجوقة الأطفال تأدية بعض الأغاني، وكان ثمّة حشد من أطفال المنطقة هناك، وموسيقيّون معروفون من ريكيافيك، وحتّى عدد من النقّاد من الصحف. كان قد تمّ الإعلان عن الحفلة الموسيقيّة على نطاق واسع، وكان أبوه جالساً في وسط الصفّ الأوّل، بالطبع. أتى الصبيّ لرؤيتي لاحقاً، بعد ساعات، عندما غادر إلى بيته، وأخبرني كيف شعر في تلك الليلة المشؤومة، وغالباً ما فكّرت منذ ذلك الوقت كيف يمكن لحادثة واحدة أن تغيّر مجرى حياة إنسان".

كانت جميع المقاعد في سينما هافنارفيوردور مشغولة، والقاعة تضجّ بالحضور. كان قد أتى إلى هذا المبنى الساحر مرّتين من قبل لمشاهدة أفلام وفتنه كلّ ما رآه: الإضاءة الجميلة في القاعة، والمسرح العالي. اصطحبته أمّه مرّة لمشاهدة فيلم ذهب مع الريح، وأتى مع أبيه وشقيقته لمشاهدة فيلم كرتوني لوالت ديزني.

ولكنّ هؤلاء الناس لم يحضروا لمشاهدة أبطال الشاشة الفضيّة، بل أتَوا للاستماع إليه. أتَوا للاستماع إلى غنائه بالصوت الذي سبق له أن سجّل به أسطوانتَين. وعوضاً عن الخجل، كان يشعر بالتردّد الآن. سبق أن غنّى في مكان عامّ من قبل، في دار العبادة في هافنارفيوردور، وفي المدرسة، وأمام جمهور عريض. في أغلب الأحيان، كان يشعر بالخجل والخوف الحقيقي.

لاحقاً، بدأ يدرك أنّه مرغوب من قبل الآخرين، وهذا ما ساعده على التغلّب على تردّده. ثمّة سبب يدفع الناس إلى المجيء للاستماع إلى غنائه، ثمّة سبب لرغبة الناس في الاستماع إليه، ولم يكن هذا السبب يدعو إلى الخجل. كان دافعَهم صوته وغناؤه، ولا شيء آخر. كان هو النجم.

أراه أبوه الإعلان الذي نُشر في الجريدة: أفضل سوبرانو في أيسلندا يغنّي الليلة. السوبرانو الأفضل. كان أبوه يتألّق بهجة، وفاقت حماسته حماسة الصبيّ نفسه. تحدّث عن الحفلة لأيّام متواصلة. قال: أتمنى فقط لو أنّ أمّك ما زالت حيّة لتراك وأنت تغنّي في ذلك المكان، لكانت سُرّت كثيراً. لكان سرورها فاق الوصف.

أُعجب الناس بغنائه في البلدان الأخرى، وأرادوا أن يغنّي هناك أيضاً. أرادوا نشر أسطوانتيه هناك. قال أبوه مراراً وتكراراً، عرفتُ ذلك، عرفتُ ذلك. عمل جاهداً للإعداد للرحلة، وكانت حفلة هافنارفيوردور هي اللمسة الأخيرة على ذلك العمل.

أخبره مدير المسرح كيف يسترق النظر إلى القاعة لرؤية الجمهور وهم يحتلّون مقاعدهم. أصغى إلى همهمة الناس، ورأى أشخاصاً عرف أنّه لن يلتقيهم أبداً. رأى زوجة قائد الجوقة تجلس مع أطفالها الثلاثة في آخر الصفّ الثالث. رأى عدداً من زملائه مع آبائهم، وحتّى بعضاً ممّن كانوا يضايقونه، ورأى أباه يجلس في وسط الصفّ الأوّل، قرب شقيقته الكبرى التي تحدّق إلى السقف. كانت عائلة أمّه هناك أيضاً. خالات بالكاد يعرفهنّ، ورجال يحملون قبّعاتهم بين أيديهم بانتظار رفع الستارة.

أراد أن يبعث الفخر في نفس أبيه. كان يعرف كم ضحّى والده ليجعل منه مغنّياً ناجحاً، والآن سيقطف بعضاً من ثمار ذلك التعب. لقد كلّفه هذا النجاح الكثير من الجهد والتمرين القاسي، ولم يكن للتذمّر أيّ جدوى. حاول، ولكنّه أثار غضب أبيه.

كان يثق بأبيه تماماً، فهكذا كانت الأمور دائماً، حتّى عندما يغنّي علناً على عكس إرادته. قاده أبوه، وشجّعه، وكان له ما أراد في النهاية. تعذّب الصبيّ في المرّة الأولى التي غنّى فيها أمام الغرباء بسبب رهبة المسرح والخجل الذي أصابه أمام كلّ أولئك الناس. ولكنّ والده لم يتنازل إطلاقاً، ولا حتّى عندما تعرّض الصبيّ للمضايقة بسبب غنائه. فكلّما غنّى علناً- في المدرسة وفي دار العبادة- ازدادت مضايقات الصبية وبعض الفتيات، الذين راحوا يشتمونه، ويسخرون من صوته. لم يفهم ما الذي كان يدفعهم إلى ذلك.

لم يشأ إثارة غضب أبيه، فقد حزن حزناً شديداً بعد وفاة أمّه التي أصيبت باللوكيميا، وماتت في غضون أشهر. ظلّ الأب إلى جوارها ليلاً ونهاراً، ورافقها إلى المستشفى، ونام هناك بينما أخذ جسدها يذبل. آخر كلمات قالها له أبوه قبل أن يغادروا البيت إلى مكان الحفلة كانت: فكّر بوالدتك، وكم كانت ستفخر بك لو كانت على قيد الحياة.

كانت الجوقة قد أخذت مكانها على المسرح. ارتدت جميع الفتيات أثواباً متشابهة دفع ثمنها مجلس المدينة. وارتدى الصبيان قمصاناً بيضاء وسراويل سوداء؛ مثله تماماً. راحوا يتهامسون متحمّسين إزاء الاهتمام الذي تتلقّاه الفرقة، وصمّموا على بذل ما في وسعهم. كان غابريال، قائد الجوقة يتحدّث مع مدير المسرح. أطفأ منظّم الحفلة سيجارة على الأرض. كان كلّ شيء جاهزاً. قريباً ستُرفع الستارة.

ناداه غابريال، وسأله: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

"أجل. القاعة محجوزة بالكامل".

"وجميعهم أتَوا لرؤيتك، تذكّر ذلك. أتَوا جميعاً لرؤيتك وسماع غنائك أنت دوناً عن أيّ شخص آخر، وعليك أن تكون فخوراً. افخر بنفسك ولا تشعر بالخجل. ربّما كنتَ متوتّراً الآن، ولكنّ هذا التوتّر سرعان ما سيزول عندما تبدأ بالغناء. أنت تعرف ذلك".

"أجل".

"إذاً، هل نبدأ؟".

هزّ رأسه.

وضع غابريال يدَه على كتف الغلام.

"لا شكّ أنّه من الصعب عليك النظر إلى عيون كلّ أولئك الناس. ولكن، ما عليك سوى الغناء وسيكون كلّ شيء على ما يرام".

"أجل".

"لن يأتي منظّم الحفلة إلاّ بعد الأغنية الأولى، سبق أن تدرّبنا على ذلك. ابدأ أنت بالغناء وسيكون كلّ شيء على ما يرام".

أعطى غابريال إشارة إلى مدير المسرح، ثم أشار إلى الجوقة التي صمت أعضاؤها على الفور، واصطفّوا في أماكنهم. كان كلّ شيء جاهزاً، والجميع على أتمّ الاستعداد.

خفتت أضواء القاعة، وتوقّف الهمس. رُفعت الستارة.

فكّر بأمّك.

كانت الذكرى الأخيرة التي عبرت ذهنه قبل أن تُرفع الستارة ويبدو

الجمهور الجالس أمامه هي مشهد أمّه على فراش الموت في آخر مرّة رآها فيها، وللحظة من الزمن فقد تركيزه. كان مع أبيه، يجلسان معاً على طرف السرير، وكانت ضعيفة، وبالكاد قادرة على فتح عينَيها. أغمضتهما وبدا أنّها قد استغرقت في النوم، ثمّ فتحتهما ببطء، ونظرت إليه وحاولت الابتسام. لم يكن بإمكانهم التحدّث مع بعضهم أكثر. عندما حان وقت الرحيل وقفا، وندم دائماً لأنّه لم يقبّلها قبلة الوداع، إذ كانت تلك آخر مرّة رآها فيها. اكتفى بالوقوف وخرج مع أبيه، وأُغلق الباب خلفهما.

رُفعت الستارة، والتقت عيناه عيني أبيه. اختفت القاعة، ولم يعد يرى سوى عينَي أبيه المتوهجتَين.

بدأ أحدهم يضحك في القاعة.

عاد إلى رشده. كانت الجوقة قد بدأت تغنّي، وأعطى القائد إشارة، ولكنّها فاتته. حاول قائد الفرقة التغطية على الحادثة وجعل الجوقة تكرّر المقطع مجدّداً، ثمّ بدأ هو في الوقت المناسب، وسرعان ما حدث أمر ما.

أمر ما حدث لصوته.

قال غابريال، الذي جلس أمام إرليندور في غرفة الفندق الباردة: "ذئب، كان ثمّة ذئب في صوته، كما يقول المثل، في الأغنية الأولى مباشرة، ثمّ انتهى كلّ شيء".

14

جلس غابريال على السرير بلا حراك، وهو يحدّق أمامه، بينما أعادته ذكرياته إلى مسرح سينما هافنارفيوردور، عندما غرقت الجوقة تدريجيًّا في الصمت. لم يفهم غودلاوغور ما الذي حدث لصوته. تنحنح، وحاول من جديد عدّة مرّات. نهض أبوه واقفاً، وركضت أخته إلى المسرح لجعل أخيها يتوقّف. راح الناس يتهامسون في البداية. ولكن، سرعان ما انطلقت الضحكات الساخرة، وراحت تعلو تدريجيًّا، بينما صفّر بعض الحاضرين. أتى غابريال لإبعاد غودلاوغور عن المسرح، ولكنّ الصبيّ تسمّر في مكانه. حاول مدير المسرح إنزال الستارة. أتى منظّم الحفلة إلى المسرح وبيده سيجارة، ولكنّه لم يعرف ماذا يفعل. في النهاية، تمكّن غابريال من تحريك غودلاوغور ودفعه بعيداً. كانت أخته معه وأخذت تصيح في الحضور ليتوقّفوا عن الضحك. أمّا أبوه فظلّ واقفاً في مكانه، في الصفّ الأمامي، مصعوقاً.

عاد غابريال إلى الواقع ونظر إلى إرليندور.

قال: "ما زلت أرتجف لدى التفكير بتلك الليلة".

قال إرليندور: "ذئب في صوته؟ لم أفهم تماماً...".

"إنّه تعبير يُستخدم لوصف تبدّل الصوت. فما يحدث هو أنّ الحبال الصوتية تتمدّد مع سنّ البلوغ، ولكنّك تستمرّ باستخدام صوتك بالطريقة نفسها، فيتبدّل ويصبح أكثر انخفاضاً. والنتيجة لا تكون جميلة إذ تنتقل من طبقة إلى أخرى. وهذا ما يدمّر جميع غلمان الجوقات. كان من الممكن أن يحصل ذلك بعد عامَين أو ثلاثة، ولكنّ بلوغ غودلاوغور أتى باكراً. فقد بدأت هرموناته تعمل في سنّ مبكرة، وتسبّبت بأسوأ ليلة في حياته".

"لا بدّ من أنّك كنت صديقاً مقرّباً منه، إن كنت أوّل من لجأ إليه لمناقشة المسألة".

"يمكنك قول ذلك، فقد كان يأتمنني على أسراره. ثمّ انتهى كلّ ذلك تدريجيًّا، كما يحدث عادة. حاولت مساعدته قدر الإمكان وظلّ يغنّي معي. لم يشأ والده الاستسلام، كان مصرًّا على جعله مغنّياً. تحدّث عن إرساله إلى إيطاليا أو ألمانيا، أو حتّى بريطانيا. فقد قاموا هناك برعاية معظم السوبرانو الذكور، ولديهم المئات من نجوم الجوقات الذين سقطوا. فما من شيء أقصر من حياة نجم صغير".

"ولكنّه لم يصبح مغنّياً قطّ؟".

"كلاّ، فقد انتهى الحلم. كان لديه صوت معقول كشابّ بالغ، ولكنّه غير مميز، وهكذا خسر الاهتمام الذي استقطبه في صغره. كلّ الجهد الذي بذله في الغناء، طفولته بأكملها في الواقع، تحوّلت إلى هباء في تلك الليلة. اصطحبه أبوه إلى معلّم آخر، ولكن بلا جدوى، فالشرارة اختفت. واصل التمارين من أجل والده، ثمّ استسلم نهائيًّا. قال لي إنّه لم يكن راغباً قطّ في ذلك، في أن يكون مغنّياً وغلام جوقة وأن يغنّي علناً. كلّها كانت رغبات أبيه".

قال إرليندور: "ذكرتَ شيئاً حدث بعد عدّة سنوات، بعد عدّة سنوات من حفلة دار السينما. أظنّ أنّه على علاقة بشلل والده، هل أنا مخطئ؟".

"تكوّن بينهما صدع تدريجي. أقصد بين غودلاوغور وأبيه. لاحظتَ على الأرجح سلوك العجوز عندما أتى لرؤيتك مع ابنته. لا أعرف القصّة كاملة، بل جزءاً منها وحسب".

"ولكنّك أعطيتَني انطباعاً بأنّ غودلاوغور وأخته كانا مقرّبَين".

قال غابريال: "لا شكّ في ذلك، فغالباً ما كانت ترافقه إلى تمارين الجوقة، وكانت موجودة دائماً عندما كان يغنّي في المدرسة ودار العبادة. كانت طيّبة معه، ولكنّها وفيّة لأبيها أيضاً، فشخصيّته قويّة بشكل لا يصدَّق. كان حازماً، ولا يتزعزع عندما يريد شيئاً، ولكنّه يستطيع أن يُظهِر الحنان في أوقات أخرى. في النهاية، وقفت في صفّ أبيها، بينما تمرّد الصبيّ. لا أستطيع تفسير ذلك، ولكنّه أصبح يكره أباه ويلومه على ما حدث. ليس فقط ما حدث على المسرح، بل كلّ شيء". صمت غابريال.

"في إحدى المرّات التي تكلّمنا فيها بعد الحادثة، قال إنّ أباه سلبه طفولته، وحوّله إلى شخص غريب الأطوار".

"غريب الأطوار؟".

"هذا ما قاله، ولكنّني لا أعرف ما الذي عناه. كان ذلك بعد الحادثة بفترة قصيرة".

"الحادثة؟".

"أجل".

"ما الذي حدث؟".

"أعتقد أنّ غودلاوغور كان في سنّ المراهقة، وبعدها انتقل من هافنارفيوردور. لم نكن على اتّصال فعلاً في ذلك الوقت، ولكنّني أتخيّل أنّ تمرّده هو الذي تسبّب بالحادثة، ذاك الغضب الذي تراكم في داخله".

"هل غادر المنزل بعدها؟ بعد تلك الحادثة؟".

"أجل، هذا ما فهمته".

"ما الذي حدث؟".

"يوجد في منزلهم سلّم عالٍ وشديد الانحدار. ذهبت إلى هناك مرّة، فهو يقود من الردهة إلى الطابق العلوي. كان سلّماً خشبيًّا ضيّقاً. بدأ الأمر على ما يبدو بشجار بين غودلاوغور وأبيه، الذي يقع مكتبه في الأعلى. كانا واقفَين في أعلى السلّم وقيل لي إنّ غودلاوغور دفعه فتدحرج إلى الأسفل. كانت سقطة خطيرة، لم يتمكّن من المشي بعدها لأنّه كسر ظهره. هكذا شلّ نصفه السفلي".

"هل كانت حادثة؟ هل تعرف ما حدث بالضبط؟".

"وحده غودلاوغور يعرف، وكذلك أبوه. بعدها، طرداه نهائيًّا، الأب وابنته. قطعا علاقتهما به ورفضا الاتّصال به مجدّداً. وهذا ما يوحي بأنّه هو الذي تهجّم على أبيه، وأنّها لم تكن حادثة بسيطة".

"كيف تعرف ذلك، ما دمت لم تكن على اتّصال بأولئك الناس؟".

"كان الموضوع مدار حديث البلدة، إذ قيل إنّه دفع أباه على السلّم. وقد حقّقت الشرطة في القضية".

نظر إرليندور إلى الرجل وسأله: "متى كانت آخر مرّة رأيت فيها غودلاوغور؟".

"كانت هنا في الفندق، بمحض الصدفة. لم أكن أعرف مكانه. خرجت لتناول العشاء ولمحته بزيّ الحراسة. لم أتعرّف عليه على الفور، فقد مضى زمن طويل. حدث ذلك منذ خمس سنوات أو ست. ذهبت إليه وسألته إذا كان يذكرني، وتكلّمنا قليلاً".

"عمّ تكلّمتما؟".

"لم نتكلّم في موضوع معيّن. سألته عن حاله، وما إلى ذلك. لم يحدّثني كثيراً عن شؤونه الخاصّة، ولم يبدُ مرتاحاً للكلام معي. وكأنّني ذكّرته بماضٍ لا يرغب باسترجاعه. شعرت أنّه يشعر بالخجل من كونه في زيّ حارس، وربّما كان هناك سبب آخر، لا أدري. سألته عن عائلته، وقال إنّه لم يعد على اتّصال بها. ثمّ انتهى الحديث، فودّعنا بعضنا".

سأله إرليندور: "هل لديك فكرة عمّن قد يرغب بقتل غودلاوغور؟".

أجاب غابريال: "لا أملك أدنى فكرة. كيف تمّ الاعتداء عليه؟ كيف قُتل؟".

سأل بحذر، مع نظرة حزينة في عينَيه. لم يبدُ عليه أنّه ينوي الشماتة، بل أراد ببساطة أن يعرف كيف انتهت حياة صبيّ واعد قام

بتدريبه في ما مضى.

قال إرليندور: "صدقاً، لا أستطيع الخوض في ذلك. فنحن نحاول الحفاظ على سريّة هذه المعلومات بسبب التحقيق".

قال غابريال: "أجل، بالطبع. أفهم ذلك، فهذا تحقيق جنائي... هل تحرزون تقدّماً؟ بالطبع، لا يمكنك الخوض في ذلك أيضاً، انظر كيف أستمرّ بطرح الأسئلة. لا يمكنني أن أتخيّل من أراد قتله، غير أنّني فقدت كلّ اتّصال به منذ سنوات طويلة. كلّ ما عرفته هو أنّه كان يعمل في هذا الفندق".

"عمل هنا لسنوات كحارس، وقام بأعمال عدّة، كتأدية دور سانتا، مثلاً".

تنهّد غابريال: "يا لها من حياة!".

"الشيء الوحيد الذي عثرنا عليه في غرفته، باستثناء هاتين الأسطوانتَين، كان ملصق فيلم معلّقاً على الجدار، لفيلم شيرلي تمبل يرجع إلى عام 1939، ويحمل عنوان الأميرة الصغيرة . هل تعرف لماذا احتفظ به وأعطاه أهميّة؟ فالغرفة لم تكن تحتوي على أيّ شيء آخر".

"شيرلي تمبل؟".

"النجمة الصغيرة".

قال غابريال: "العلاقة واضحة. فقد كان غودلاوغور يعتبر نفسه نجماً صغيراً، وهكذا رآه المحيطون به. ولكنّني لا أرى تفسيراً آخر".

وقف غابريال، ثمّ اعتمر قبّعته، وأغلق أزرار معطفه، ولفّ الوشاح حول عنقه. لم يقل أيّ منهما شيئاً. فتح إرليندور الباب ومشى معه في الممرّ.

قال وهو يمدّ يدَه مصافحاً: "شكراً على مجيئك لرؤيتي".

قال غابريال: "على الرحب والسعة. هذا أقلّ ما يمكنني فعله من أجلك، ومن أجل ذلك الولد العزيز".

تردّد وكأنّه على وشك إضافة شيء ما، ولكنّه بدا غير واثق من كيفيّة التعبير عنه.

قال أخيراً: "كان بريئاً للغاية، ولداً غير مؤذ على الإطلاق. كان مقتنعاً بأنّه يتمتّع بصوت فريد وأنّه سيصبح مشهوراً. لكان العالم أصبح أمام قدمَيه. جوقة غلمان فيينا. يُحدث الناس جلبة كبيرة حول أمور صغيرة هنا في أيسلندا، والآن أكثر من ذي قبل. إنّها ميزة وطنيّة في بلاد لم تنجب الكثير من العظماء. تعرّض للمضايقات في المدرسة لكونه مختلفاً، وتعذّب

بسبب ذلك. ثمّ تبيّن أنّه ولد عادي، وتدمّرت أحلامه في ليلة واحدة. كان عليه أن يكون قويًّا لمواجهة ذلك".

ودّعا بعضهما، ثمّ استدار غابريال وغاب في الممرّ. راقبه إرليندور وهو يرحل وشعر بأنّ قصّة غودلاوغور إجيلسون قد استنزفت قوى قائد الجوقة العجوز.

أغلق إرليندور الباب، وجلس على السرير، وفكّر بغلام الجوقة، وكيف تمّ العثور عليه بزيّ سانتا وسرواله الذي أُنزل حتّى كاحلَيه. تساءل كيف قادته طريقه إلى تلك الغرفة الصغيرة، وإلى الموت، في نهاية حياة سيطرت عليها الخيبات. فكّر بوالد غودلاوغور المشلول في كرسيّ مدولب، وبنظّارته السميكة المقرّنة، وبشقيقته وأنفها المعقوف كمنقار النسر وكرهها لأخيها. فكّر بمدير الفندق الذي صرفه من العمل، وبمدير الاستقبال الذي ادّعى أنّه لا يعرفه. فكّر بموظّفي الفندق الذين لا يعرفون من كان غودلاوغور. وفكّر بهنري وابشوت الذي اجتاز كلّ تلك المسافة بحثاً عن غلام جوقة لأنّ الطفل غودلاوغور صاحب الصوت الجميل ما زال موجوداً وسيبقى دائماً.

وقبل أن يدرك، بدأ يفكّر بأخيه.

وضع إرليندور الأسطوانة نفسها في الجهاز، ثمّ تمدّد، وأغلق عينَيه، وترك الأغنية تعيده إلى الماضي.

ربّما كانت أغنيته هو أيضاً.

15

عندما رجعت إلينبورغ من هافنارفيوردور مع حلول المساء، ذهبت مباشرة إلى الفندق للقاء إرليندور.

صعدت إلى غرفته، وطرقت على الباب، ثمّ طرقت مرّة ثانية عندما لم تحصل على جواب، وثالثة.

كانت على وشك أن تعود عندما فُتح الباب أخيراً وأدخلها إرليندور. فقد استلقى على سريره وهو يفكّر ثمّ غفا، وبدا شارداً بعض الشيء عندما راحت إلينبورغ تُخبره بما اكتشفته في هافنارفيوردور. تكلّمت مع مدير المدرسة الابتدائية السابق، وهو عجوز يذكر غودلاوغور جيّداً. زوجته التي توفيّت قبل عشر سنوات، كانت هي الأخرى مقرّبة من الصبيّ. وبمساعدة مدير المدرسة، تعقّبت إلينبورغ ثلاثة من زملاء غودلاوغور في الصفّ الذين ما زالوا يعيشون في هافنارفيوردور، وكان أحدهم حاضراً في الحفلة المشؤومة. تكلّمت مع جيران العائلة القدماء، ومع أشخاص كانوا على اتّصال بهم في تلك الفترة.

قالت إلينبورغ وهي تجلس على السرير: "لم يكن يُسمح لأحد بأن يتفوّق في هذا البلد الصغير أو أن يكون مختلفاً".

عرف الجميع أنّه كان يفترض بحياة غودلاوغور أن تكون مميّزة. صحيح أنّه لم يتحدّث عن نفسه قطّ، فهو لم يكن يتحدّث مطلقاً عن نفسه فعلاً، ولكنّ الجميع عرفوا ذلك. تمّ إرساله لتعلّم العزف على البيانو كما تعلّم الغناء، في البداية مع أبيه ومن ثمّ مع قائد الجوقة الذي تمّ تعيينه لقيادة جوقة الأطفال، وأخيراً مع مغنٍّ معروف عاش في ألمانيا ولكنّه عاد إلى أيسلندا. كان الناس يمدحونه ويصفّقون له، وكان ينحني بقميصه الأبيض وسرواله الأسود، بلياقة وتكلّف. قال الناس إنّ غودلاوغور كان طفلاً جميلاً، وسجّل أسطوانتين لأغانيه.

في الأساس لم يكن من هافنارفيوردور، إذ يرجع أصل الأسرة إلى الشمال، وقد عاشت في ريكيافيك لفترة من الزمن. قيل إنّ أباه هو ابن عازف أورغن تعلّم الغناء في الخارج عندما كان صغيراً. وتفيد الشائعة أنّه اشترى منزل هافنارفيوردور بما ورثه عن أبيه الذي جمع المال من التجارة مع العسكريين الأميركيين بعد الحرب. كما قيل إنّه ورث ما يكفي ليعيش مرتاحاً في ما بعد. غير أنّه لم يتفاخر بثروته قطّ، بل عاش في المجتمع بتواضع. كان يرفع قبّعته عندما يخرج للتنزّه مع زوجته ويحيّ الناس

بتهذيب. قيل إنّها ابنة مالك سفينة صيد، ولكنّ أحداً لا يعرف أين. لم يكن لديهم أصدقاء كثر في البلدة، بل كان معظم أصدقائهم في ريكيافيك، هذا إن كانوا يملكون أصدقاء على الإطلاق. فزوّارهم لم يكونوا كثراً على ما يبدو.

عندما كان أبناء البلدة وزملاء غودلاوغور يأتون لدعوته إلى مشاركتهم اللعب، كان الجواب المعتاد هو أنّه يجب عليه البقاء لإتمام واجباته، إمّا للمدرسة أو للغناء وعزف البيانو. في بعض الأحيان، كان يُسمح له بالخروج معهم، فيلاحظون أنّه لم يكن خشناً مثلهم، بل كان حسّاساً على نحو غريب. لم تكن ملابسه تتّسخ قطّ، ولم يكن يقفز في برك الوحل مطلقاً، كما كان ضعيفاً في لعبة كرة القدم، ويتكلّم بتهذيب شديد. كان يتحدّث شوبرت يدعى كشخص غريبة، أسماء ذوي أشخاص عن الأحيان بعض في ما أو يقرأونها التي الهزلية القصص آخر عن يكلّمونه كانوا وعندما . [5] ذلك أراد لأنّه ليس ربّما .الشعر يقرأ أنّه يخبرهم كان ،السينما في شاهدوه والده أنّ شعروا .له مفيدة الشعر قراءة إنّ قال أباه لأنّ بل ،بالضرورة واحدة قصيدة .ذلك حيال صارماً وكان تعلّمها؛ عليه دروساً له حدّد قد كلّ مساء.

كانت شقيقته مختلفة، أكثر قوّة وأقرب إلى أبيها. لم يبدُ أنّ الأب يمارس عليها ضغوطاً عظيمة كما فعل مع الصبيّ. كانت تتعلّم العزف على البيانو، وانضمّت مثل شقيقها إلى جوقة الأطفال عندما تمّ تأسيسها. روى أصدقاؤها كيف كانت تغار أحياناً من أخيها عندما يمدحه والدهما، كما بدا أنّ الأم تفضّل الابن هي أيضاً. ظنّ الناس أنّ غودلاوغور كان مقرّباً من أمّه، إذ كانت مثل طيفه الحارس.

في إحدى المرّات، أتى صديق غودلاوغور في الصفّ إلى منزل هذا الأخير بينما كانت العائلة تتجادل حول إمكانية السماح له بالخروج للعب. وقف الأب على الدرج، بنظّارته السميكة، وكان غودلاوغور عند أسفل السلّم، فيما وقفت أمّه قرب باب غرفة الجلوس وهي تقول إنّه لا مشكلة في خروجه للعب. فهو لا يملك الكثير من الأصدقاء، وهم لا يدعونه للعب غالباً. يمكنه متابعة تمارينه لاحقاً.

صاح الأب: "اذهب وتابع تمارينك! هل تعتقد أنّه شيء يمكنك إيقافه على هواك؟ أنت لا تفهم ما يشتمل عليه ذلك من تكريس للنفس، أليس كذلك؟ لن تفهم ذلك أبداً!".

قالت الأم معترضة: "إنه مجرّد طفل، ولا يملك الكثير من الأصدقاء. لا

يمكنك أن تحبسه في الداخل طيلة النهار، عليه أن يعيش طفولته أيضاً".

قال غودلاوغور: "لا بأس". ومشى نحو الصبيّ الذي أتى لزيارته وقال: "قد آتي لاحقاً، اذهب إلى بيتك وسأنضمّ إليك لاحقاً".

خرج الصبيّ، ولكن قبل أن يُغلق الباب خلفه، سمع والد غودلاوغور يصيح من أعلى السلّم: "لا تفعلي ذلك مجدّداً، لا تجادليني أمام الغرباء".

مع مرور الوقت، أصبح غودلاوغور أكثر انعزالاً في المدرسة، وبدأ الصبية يضايقونه. كان الأمر في غاية البراءة في البداية، فالجميع يضايقون بعضهم، وتندلع شجارات في الملعب، وتُرتَّب مقالب كما في جميع المدارس. ولكن، حين أصبح في الحادية عشرة، صار غودلاوغور بوضوح محور كلّ المضايقات والمزاح. لم تكن المدرسة كبيرة بالمقاييس المعاصرة. وكان الجميع يعرف أنّ غودلاوغور مختلف. فهو ضعيف وسقيم، ولا يبارح المنزل. توقّف الأولاد الذين يعيشون في الجوار عن زيارته، وبدأوا يزعجونه في المدرسة. فتضيع حقيبته مثلاً، أو يجدها خالية عندما يأتي لأخذها. يدفعه الأولاد، يمزّقون ملابسه، يضربونه، يشتمونه، ولا أحد يدعوه إلى احتفالات الميلاد.

لم يكن غودلاوغور يعرف كيف يقاوم، ولم يفهم ما يجري. اشتكى والده لدى مدير المدرسة، الذي وعد بوضع حدّ لتلك الممارسات، ولكن تبيّن أنّه عاجز عن السيطرة عليها، فظلّ غودلاوغور يعود من مدرسته كالسابق، مكسوًّا بالرضوض وحاملاً حقيبته الفارغة. فكّر والده بنقله من المدرسة، وحتّى بالانتقال من البلدة، ولكنّه كان رجلاً عنيداً ورفض الاستسلام، لا سيّما وأنّه شارك في تأسيس جوقة الأطفال. كان مسروراً بقائد الفرقة الشاب، وبما أنّ الجوقة مكان مناسب ليتمرّن فيه غودلاوغور ويلفت إليه الانتباه لاحقاً، شعر الأب أنّه يجب على الولد أن يتعايش ببساطة مع المضايقات التي يتعرّض لها.

هكذا تعامل الصبيّ مع الوضع باستسلام تامّ وأصبح وحيداً وحالماً. ركّز على الغناء والعزف وبدا أنّه يستمدّ منهما السلام الداخلي. في هذا المجال، سارت الأمور لصالحه. استطاع رؤية قدراته، ولكنّه لم يشعر بالرضى في معظم الوقت، وعندما ماتت أمّه أحسّ أنّه خسر كلّ شيء.

أمضى كلّ وقته بمفرده، وحاول الابتسام عند لقائه أطفالاً من المدرسة. سجّل أسطوانة كتبت عنها الصحف. بدا وكأنّ والده كان على حقّ طيلة الوقت، وأنّ لغودلاوغور مستقبلاً واعداً.

بعد فترة قصيرة، وبسبب سرّ مكتوم بعناية، أُطلق عليه اسم جديد في الحيّ.

سألها إرليندور: "ما كان ذلك الاسم؟".

أجابت إلينبورغ: "لم يعرفه مدير المدرسة. كما ادّعى زملاؤه أنّهم لا يذكرون أو رفضوا إخباري. ولكن، كان للاسم تأثير قويّ في الصبيّ، والكلّ وافق على ذلك".

سألها إرليندور فجأة كالمذعور: "كم الساعة الآن؟".

"أعتقد أنّها تجاوزت السابعة. هل ثمّة خطب ما؟".

"تباً، نمت طيلة النهار". وقف مضيفاً: "عليّ إيجاد هنري وابشوت. كان يفترض به إعطاء عيّنة من لعابه في وقت الغداء، ولكنّه لم يكن موجوداً".

نظرت إلينبورغ إلى الجهاز ومكبّرَي الصوت والأسطوانتَين.

سألته: "هل هو جيّد؟".

أجاب: "إنّه رائع، عليك سماعه".

وقفت قائلة: "أنا ذاهبة إلى البيت. هل ستُمضي ليلة الميلاد في الفندق؟ ألن تذهب إلى البيت؟".

قال إرليندور: "لا أدري، سأرى".

"يمكنك الانضمام إلينا، أنت تعرف ذلك. سأُعدّ اللحم البارد ولسان الثور".

قال إرليندور وهو يفتح الباب: "لا تقلقي كثيراً، اذهبي إلى بيتك، وأنا سأبحث عن وابشوت".

سألته إلينبورغ: "أين كان سيغوردور أولي طيلة النهار؟".

"ذهب ليرى ما إذا كان بمقدوره معرفة شيء عن وابشوت من شرطة لندن. لا بدّ من أنّه عاد إلى بيته الآن".

"لِمَ غرفتك باردة جداً؟".

قال إرليندور وهو يغلق الباب خلفهما: "جهاز التدفئة معطّل".

عندما وصلا إلى البهو، ودّعها، ووجد مدير الاستقبال في مكتبه. لم يرَ أحد هنري وابشوت في الفندق طيلة النهار. بطاقة المفتاح ليست في مكانها، وهو لم ينهِ حجزه. ما زال عليه أن يسدّد الفاتورة. عرف إرليندور أنّه سيلحق برحلة المساء إلى لندن، وأنّ لا شيء محدّد يمنعه من مغادرة البلاد. لم يأته أيّ خبر من سيغوردور أولي. بقيَ لبعض الوقت في البهو، ثم سأل مديرَ الاستقبال: "هل يمكنك إدخالي إلى غرفته؟".

هزّ المدير رأسه نافياً.

قال إرليندور: "ربّما فرّ هارباً. هل تعرف متى تُقلع الطائرة إلى لندن الليلة؟ في أيّ ساعة؟".

أجاب الرجل: "تمّ تأخير رحلة ما بعد الظهر. ستُقلع الطائرة قرابة الساعة السابعة، حسب اعتقادهم". فمعرفة جداول الرحلات جزء من عمله.

أجرى إرليندور اتّصالَين هاتفيَّين. وجد أنّ هنري وابشوت قد حجز مقعداً في الرحلة إلى لندن، ولكنّه لم يدفع بعد. اتّخذ إرليندور تدابير في قسم الجوازات لإيقافه في المطار وإعادته إلى ريكيافيك. كان بحاجة إلى سبب لكي يطلب من شرطة كيفلافيك اعتقاله، فتردّد للحظة وفكّر في اختراع سبب. كان يعرف أنّ الصحافة ستذيع النبأ لو قال الحقيقة، ولكنّه لم يجد كذبة معقولة على الفور، فقال في النهاية- وكان هذا صحيحاً- إنّ وابشوت مشتبه به في جريمة قتل.

سأل إرليندور المدير ثانية: "هل يمكنك إدخالي إلى غرفته؟ لن ألمس شيئاً. لا أريد سوى معرفة ما إذا كان قد هرب. فالاستحصال على مذكّرة تفتيش سيستغرق أياماً، ولا أريد سوى أن أطلّ من الباب".

قال المدير بعناد: "ما زال لديه الوقت لإنهاء الحجز قبل الرحيل. ما زال لديه كثير من الوقت للعودة، وتوضيب حقائبه، ودفع الفاتورة، وأخذ سيّارة إلى مطار كيفلافيك. لمَ لا تنتظر قليلاً؟".

فكّر إرليندور.

"ألا يمكنك إرسال شخص لتنظيف غرفته، وأنا أمرّ من أمام الباب وهو مفتوح؟ هل ثمّة مشكلة في ذلك؟".

قال المدير: "عليك أن تفهم وضعي. قبل كلّ شيء، نحن نحافظ على مصالح زبائننا. لديهم الحقّ بالخصوصيّة، كما لو أنهم في منازلهم. إن خرقتُ تلك القاعدة وأُذيع ذلك، فلن يثق بنا زبائننا بعد الآن. الأمر بهذه البساطة، عليك أن تفهم".

قال إرليندور: "نحن نحقّق في جريمة تمّ ارتكابها في هذا الفندق. ألا يسيء ذلك إلى سمعتكم أساساً؟".

"أحضر مذكّرة تفتيش وسيكون لك ما تريده".

ابتعد إرليندور عن مكتب الاستقبال متنهّداً. أخرج هاتفه واتّصل بسيغوردور أولي. رنّ الهاتف طويلاً قبل أن يردّ عليه، وسمع إرليندور أصواتاً أخرى.

سأله إرليندور: "أين أنت بالله عليك؟".

أجاب سيغوردور أولي: "أنا أعدّ الكعك".

"تعدّ الكعك؟".

"أحفر نقوشاً على الكعك، من أجل الميلاد، مع عائلة بيرغثورا. هذا

تقليد معتاد لدينا. هل عدتَ إلى البيت؟".

"ماذا وجدت لدى شرطة لندن عن هنري وابشوت؟".

"أنا بانتظار أنباء عنه، سأعرف صباح غد. هل حدث شيء معك؟".

قال إرليندور، وهو يرى مدير الاستقبال يخرج حاملاً ورقة بيده: "أظنّ أنّه يحاول تفادي إجراء اختبار اللعاب. أظنّ أنّه يحاول مغادرة البلاد من دون توديعنا. سأُكلّمك غداً، احترس من جرح أصابعك".

أعاد إرليندور الهاتف إلى جيبه. كان المدير واقفاً أمامه.

قال وهو يعطي إرليندور الورقة: "قرّرت إجراء بحث عن هنري وابشوت، لمساعدتك قليلاً. لا يجدر بي فعل ذلك، ولكن...".

سأله إرليندور وهو ينظر إلى الورقة: "ما هذا؟". رأى عليها اسم هنري وابشوت وبعض التواريخ.

قال المدير: "لقد أمضى الميلاد في هذا الفندق خلال السنوات الثلاث الماضية، إن كان هذا يساعدك".

حدّق إرليندور إلى التواريخ.

"قال إنّه لم يسبق له المجيء إلى أيسلندا".

قال الرجل: "لا أعرف شيئاً عن ذلك، ولكنّه أتى إلى هنا سابقاً".

"هل تذكره؟ هل ينزل في هذا الفندق بانتظام؟".

"لا أذكر أبداً أنّني حجزت له، فثمّة أكثر من مئتي غرفة في هذا الفندق، وهي تُحجز دائماً في فترة الميلاد، وبالتالي من الممكن أن يختفيَ بسهولة بين الناس، أضف إلى ذلك أنّه يأتي لفترات قصيرة. لمدّة يومين لا أكثر. لم أرَه هذه المرّة، ولكنّه لفت نظري عندما رأيت الورقة. فهو يُشبهك في أحد الأمور، لديه الطلبات الخاصّة نفسها".

"ماذا تعني بقولك إنه يشبهني؟ طلبات خاصّة؟". لم يتخيّل إرليندور ما هو القاسم المشترك الذي قد يجمعه بهنري وابشوت.

"يبدو أنّه مهتمّ بالموسيقى".

"ما الذي تتحدّث عنه؟".

أشار المدير إلى الورقة قائلاً: "كما ترى هنا، نحن نضع ملاحظة عن طلبات زبائننا الخاصّة، في معظم الحالات".

نظر إرليندور إلى اللائحة.

قال المدير: "أراد جهازاً لتشغيل الأسطوانات في غرفته. ليس جهازاً حديثاً لتشغيل الأسطوانات المدمجة، بل آلة قديمة، مثلك تماماً".

قال إرليندور بصوت منخفض: "الكاذب!". وأخرج هاتفه مجدّداً.

16

أُصدرت مذكّرة توقيف بحقّ هنري وابشوت في تلك الليلة، وتمّ اعتقاله عندما ذهب للحاق بالطائرة المقلعة إلى لندن. اقتيد وابشوت إلى سجن في مركز شرطة هفيرفيسغاتا، واستحصل إرليندور على مذكّرة لتفتيش غرفته. وصل فريق الطبّ الشرعي إلى الفندق قرابة منتصف الليل. مشّطوا الغرفة بحثاً عن سلاح الجريمة، ولكنّهم لم يجدوا شيئاً. كلّ ما عثروا عليه كان حقيبة تعمّد وابشوت تركها خلفه كما هو واضح، فضلاً عن عدّة الحلاقة في الحمّام، وجهاز قديم لتشغيل الأسطوانات شبيه بذاك الذي استعاره إرليندور من الفندق، وتلفاز، وجهاز فيديو، وبعض الصحف والمجلاّت البريطانية، بما فيها ريكود كولّيكتور (جامع الأسطوانات).

بحث خبراء البصمات عن أدّلة تشير إلى دخول غودلاوغور إلى غرفته، وذلك على أطراف الطاولة وإطار الباب. وقف إرليندور في الرواق يراقب فريق الطبّ الشرعي. رغب بسيجارة، كما رغب بكأس من الشراب لأنّ الميلاد اقترب، كما تاق إلى أريكته وكتبه. كان ينوي العودة إلى البيت، فهو لا يعرف حقاً ما الذي دفعه إلى البقاء في هذا الفندق المشؤوم. لا يعرف حقاً ماذا يفعل بنفسه.

لمع غبار أبيض من مواد فحص البصمات على الأرض.

رأى إرليندور مدير الفندق يمشي متهادياً في الرواق. كان يحمل منديله ويتنفّس بصعوبة. ألقى نظرة على الغرفة التي كان فريق الطبّ الشرعي يعمل فيها، ثمّ ملأت الابتسامة وجهه.

قال وهو يمسح عنقه: "سمعت أنّكم قبضتم عليه، وأنّه أجنبي".

سأله إرليندور: "أين سمعت ذلك؟".

أجاب المدير: "عبر المذياع". كان عاجزاً عن إخفاء مدى سعادته إزاء تلك الأنباء السارّة. تمّ العثور على الرجل، لم يكن من ارتكب الجريمة أيسلندياً ولا من موظّفي الفندق.

قال المدير: "قالوا في الخبر إنّ القبض عليه تمّ في مطار كيفلافيك، وهو في طريقه إلى لندن. أهو بريطانيّ؟".

بدأ هاتف إرليندور يرنّ.

قال وهو يتناول هاتفه: "لا نعرف بعد ما إذا كان هو الشخص الذي نبحث عنه".

قال سيغوردور أولي عندما ردّ إرليندور: "لستَ مضطرًّا إلى المجيء إلى

المركز، ليس في الوقت الحاضر".

سأله إرليندور وهو يبتعد عن المدير: "ألم تكن مشغولاً بإعداد كعك الميلاد؟".

قال سيغوردور أولي: "إنّه ثمل، أعني هنري وابشوت. لا جدوى من محاولة التكلّم معه. هل نتركه ينام ونتحدّث معه في الصباح؟".

"هل سبّب أيّ مشاكل؟".

"كلاّ، على الإطلاق. قالوا إنّه رافقهم من دون اعتراض. أوقفوه على الفور في قسم الجوازات ووضعوه في غرفة التفتيش. وعندما جاء رجال الشرطة، اقتادوه إلى السيّارة، وأحضروه إلى ريكيافيك. حدث ذلك بلا مشاكل. لم يتكلّم على ما يبدو واستغرق في النوم. وهو الآن نائم في زنزانته".

قال إرليندور: "سمعت أنّ خبر الاعتقال أُذيع عبر المذياع. يعتقد الناس أنّنا قبضنا على المجرم".

"لم يكن يحمل سوى حقيبة، حقيبة كبيرة".

"هل تحتوي على شيء؟".

"أسطوانات، أسطوانات قديمة، كالأسطوانتين اللتين وجدناهما في غرفة القبو".

"أتعني أسطوانتَي غودلاوغور؟".

" تبدو مثلها. ليست كثيرة، ولديه عدّة أسطوانات أخرى. يمكنك رؤيتها غداً".

"أتى بحثاً عن أسطوانتي غودلاوغور".

قال سيغوردور أولي: "ربّما تمكّن من زيادة مجموعته. هل نلتقي صباح غد هنا في المركز؟".

قال إرليندور: "نحتاج إلى عيّنة من لعابه".

قال سيغوردور أولي: "سأهتمّ بذلك". وأقفلا الخطّ.

أعاد إرليندور الهاتف إلى جيبه.

سأله مدير الفندق: "هل اعترف؟ هل اعترف؟".

"هل تذكر أنّك رأيت هنري وابشوت في الفندق من قبل؟ إنّه من ليفربول، ويبدو في الستّين من عمره تقريباً. قال إنّها زيارته الأولى إلى أيسلندا، ولكن تبيّن أنّه نزل في هذا الفندق من قبل".

"لا أذكر أحداً بهذا الاسم. هل لديك صورة له؟".

"سأجلب واحدة، أريد أن أعرف ما إذا كان بإمكان أحد الموظّفين أن يتعرّف عليه. ربّما ذكّرهم بشيء ما، فحتّى أدقّ التفاصيل قد تكون هامّة".

قال المدير بصوت خشن: "أتمنّى أن تُسوّى جميع الأمور. لقد ألغى البعض حجزهم بسبب الجريمة، ومعظمهم أيسلنديون. فالسيّاح لم يسمعوا الكثير عنها. مع ذلك، الناس قليلون في "البوفيه" والحجوزات انخفضت. لم يكن يُفترض بي أن أسمح له بالعيش في القبو. لطفي سيقتلني يوماً".

قال إرليندور: "أنت تنضح لطفاً".

نظر المدير إلى إرليندور، وهو غير واثق ممّا إذا كان يسخر منه. خرج رئيس فريق الطبّ الشرعي إلى الممرّ، وألقى التحيّة على المدير، ثم أخذ إرليندور جانباً.

قال: "يبدو كلّ شيء عاديًّا بالنسبة إلى سائح ينزل في غرفة مزدوجة في فندق في ريكيافيك. سلاح الجريمة ليس على طاولة قرب سريره، إن كان هذا ما تأمله، وما من آثار دماء على الملابس في حقيبته، لا شيء يربطه حقاً بالرجل الذي قُتل في القبو. الغرفة مليئة بالبصمات. ولكن من الواضح أنّه فرّ هارباً. فقد ترك غرفته كما لو كان نازلاً إلى المقهى. آلة الحلاقة الكهربائية ما زالت في القابس، ولديه حذاء آخر على الأرض، وخفّان أحضرهما معه. هذا كلّ ما نستطيع قوله في الوقت الحالي. كان الرجل على عجلة من أمره. كان هارباً".

عاد رئيس الفريق إلى الغرفة، وتوجّه إرليندور نحو المدير.

سأله: "من ينظّف هذا الممرّ؟ من يدخل إلى الغرف؟ ألا توزّع الطوابق على عمّال التنظيف؟".

قال المدير: "أعرف النساء المسؤولات عن تنظيف هذا الطابق. ولكن، ليس لدينا عمّال تنظيف ذكور".

قال ذلك بنبرة ساخرة، وكأنّ التنظيف ليس من عمل الرجال.

سأله إرليندور: "ومن هنّ إذاً؟".

"حسناً، الفتاة التي تكلّمتَ معها مثلاً".

"أيّ فتاة؟".

أجاب المدير: "الفتاة التي كانت في القبو، تلك التي وجدت الجثّة. الفتاة التي وجدت سانتا ميتاً، هذا طابقها".

عندما رجع إرليندور إلى غرفته التي تعلو غرفة وابشوت بطابقَين، كانت إيفا ليند تنتظره في الممرّ. وجدها جالسة على الأرض، وهي متّكئة على الجدار، وركبتاها تحت ذقنها، وبدت نائمة. عندما مشى نحوها، نظرت إليه وسوّت ملابسها.

قالت: "من الرائع المجيء إلى هذا الفندق. متى ستذهب إلى البيت؟".

أجابها: "أخطّط للقيام بذلك قريباً، فقد بدأت أملّ من هذا المكان أنا أيضاً".

أدخل بطاقته لفتح الباب. وقفت إيفا ولحقت به إلى الداخل. أغلق إرليندور الباب ورمت إيفا نفسها على السرير، أمّا هو فجلس على المكتب.

استلقت إيفا على بطنها، وأغمضت عينَيها وكأنّها تحاول النوم.

سألته: "هل توصّلت إلى شيء؟".

أجاب: "نحن نتقدّم ببطء".

ثم ابتسم وهو ينظر إلى ابنته الممدّدة على السرير. وتساءل أيّ أب كان سيكون لو ظلّ معهم. هل كان سيضغط عليها كثيراً؟ هل كان سيسجّلها في دروس باليه مثلاً؟ أو يتوقّع منها أن تكون عبقريّة صغيرة؟ هل كان سيضربها لو كسرت زجاجة شراب على الأرض؟

سألته، وعيناها ما زالتا مغمضتين: "أما زلت هنا؟".

أجابها متعباً: "أجل، أنا هنا".

"لماذا لا تقول شيئاً؟".

"وماذا يفترض بي أن قول؟ ماذا يقول الناس عادةً؟".

"حسناً، أخبرني ماذا تفعل في هذا الفندق مثلاً. أنا أسأل جديًّا".

"لا أدري. لم أرغب في العودة إلى الشقّة، أردت بعض التغيير".

"التغيير! وما الفرق بين الجلوس بمفردك في هذه الغرفة والجلوس بمفردك في البيت؟".

سألها إرليندور، محاولاً إبعاد الحديث عن نفسه: "هل ترغبين بسماع بعض الموسيقى؟". وبدأ يوجِز ملابسات القضية لابنته، نقطة تلو الأخرى، لكي يرسم صورة عنها لنفسه. أخبرها عن الفتاة التي عثرت على سانتا مطعوناً، ذاك الذي كان في ما مضى غلام جوقة يتمتّع بموهبة استثنائية، والذي سجّل أسطوانتَين يسعى وراءهما جامعو الأسطوانات. كان صوته فريداً من نوعه.

تناول الأسطوانة التي لم يسمعها بعد. كانت تحتوي على ترنيمتَين للميلاد كما يبدو. رأى على الغلاف صورة لغودلاوغور معتمراً قبّعة سانتا، وعلى وجهه ابتسامة عريضة تُظهر أسنانه، وفكّر إرليندور في أنّها سخرية القدر. شغّل الأسطوانة، وارتفع صوت غلام الجوقة في أرجاء الغرفة في أغنية جميلة. ففتحت إيفا ليند عينيها وجلست على السرير.

قالت: "هل تمزح؟".

"ألا تعتقدين أنّه رائع؟".

"لم يسبق لي أن سمعت ولداً يغنّي هكذا. لا أعتقد أنّني سأسمع أحداً يغنّي بهذا الصوت الرائع". جلسا بصمت واستمعا إلى الأغنية حتّى النهاية. مدّ إرليندور يدَه، وقلب الأسطوانة لسماع الترنيمة الموجودة على الجهة الأخرى. أصغيا إليها، وعندما انتهت طلبت منه إيفا ليند تشغيلها مجدّداً.

أخبرها إرليندور عن عائلة غودلاوغور، وعن الحفل الذي أُقيم في هافنارفيوردور، وعن أبيه وأخته اللذَين لم يتّصلا به لأكثر من ثلاثين عاماً. كما أخبرها عن جامع الأسطوانات البريطاني الذي لم يكن مهتمًّا سوى بغلمان الجوقات. قال لها أيضاً إنّ أسطوانتَي غودلاوغور قد تكونان قيّمتَين اليوم.

سألته إيفا ليند: "هل تعتقد أنّ هذا هو السبب الذي قُتل من أجله؟ بسبب الأسطوانتَين؟ لأنّهما أصبحتا قيّمتَين اليوم؟".

"لا أدري".

"أما زالت هناك نسخ منها مع أشخاص آخرين؟".

أجاب إرليندور: "لا أظنّ ذلك، ولهذا السبب على الأرجح يسعى وراءها جامعو الأسطوانات. فقد قالت إلينبورغ إنّ الجامعين يبحثون عن أشياء فريدة. ولكن، قد لا تكون للأسطوانتَين أيّ أهميّة في التحقيق، قد يكون القاتل شخصاً من الفندق، شخصاً لا يعرف شيئاً عن غلام الجوقة".

قرّر إرليندور إخبار ابنته كيف كان غودلاوغور عندما تمّ العثور عليه. كان يعرف أنّ ابنته مارست أعمالاً مشينة عندما كانت تتعاطى المخدّرات، كما يعرف كيف تسير هذه الأمور في ريكيافيك. ومع ذلك، أحجم عن بحث الموضوع معها. فقد عاشت حياتها الخاصّة على طريقتها من دون أن يكون له رأي فيها. ولكنّه يشكّ في احتمال أن يكون غودلاوغور قد دفع المال للقيام بأعمال مشينة في الفندق، لذا سألها ما إذا كانت تعرف شيئاً عن الأعمال المشينة التي تحصل هنا.

نظرت إيفا ليند إلى أبيها.

وقالت من دون أن تنظر إليه: "يا للمسكين!". كان ذهنها ما زال مشغولاً بغلام الجوقة. "كانت توجد في مدرستي فتاة مثله، في المدرسة الابتدائية. وقد سجّلت بعض الأسطوانات. كان اسمها فالا دوغ. هل تذكر شيئاً من أغانيها؟ كانت موهوبة حقاً. غنّت أغاني الميلاد، وكانت فتاة شقراء صغيرة وجميلة".

هزّ إرليندور رأسه نافياً.

"كانت نجمة صغيرة. غنّت للأطفال وفي البرامج التلفزيونية، وكانت جيّدة بالفعل. كان والدها مغنّي بوب غير معروف، ولكنّ أمّها كانت مختلّة بعض الشيء، إذ أرادت أن تجعل منها نجمة بوب. كانت لطيفة جداً، وغير متباهية بنفسها أو مدّعية على الإطلاق، ولكنّ الناس كانوا يضايقونها على الدوام. فالأيسلنديون يشعرون بالغيرة والانزعاج بسهولة. ولهذا، قرّرت ترك المدرسة وإيجاد وظيفة. التقيتها كثيراً عندما كنت أتعاطى المخدّرات، كانت في حالة مروّعة، أكثر منّي. منهكة ومنسيّة. قالت لي إنّ هذا أسوأ ما حدث معها".

"أتعنين نجوميتها وهي طفلة؟".

"لقد دمّرها ذلك، ولم تستطع الهروب منه قطّ. لم يُسمح لها قطّ أن تكون على طبيعتها، كانت أمّها متسلّطة جداً. لم تسألها مطلقاً عمّا تريده. صحيح أنّها أحبّت الغناء وأحبّت كونها محطّ الأنظار، ولكنّها لم تفهم ما يدور حولها. لم تستطع سوى أن تكون الفتاة الصغيرة الجميلة في برامج الأطفال، ولم تُمنَح سوى بُعدٍ واحدٍ. كانت فالا دوغ الصغيرة والجميلة. وتعرّضت للمضايقة بسبب ذلك، ولم تفهم السبب حتّى كبرت وأدركت أنّها لن تكون سوى الدمية الصغيرة التي تغنّي مرتدية ثوبها الجميل، ولن تكون أبداً نجمة البوب المشهورة كما قالت لها أمّها دائماً".

توقّفت إيفا ليند عن الكلام ونظرت إلى أبيها.

"لقد دُمّرَت تماماً. قالت إنّ المضايقات كانت أسوأ شيء عرفَته، وولّدت لديها شعوراً سيّئاً جداً. إذ يصبح رأيك بنفسك مثل رأي الناس الذين يضطهدونك".

قال إرليندور: "مرّ غودلاوغور على الأرجح بالتجربة نفسها، وترك المنزل في سنّ مبكرة. لا بدّ من أنّه يصعب على الأولاد تحمّل كلّ تلك المعاناة".

خيّم عليهما الصمت لبعض الوقت.

قالت إيفا ليند فجأة، وهي ترمي نفسها على السرير مجدّداً: "بالطبع ثمّة مومسات في هذا الفندق، هذا مؤكّد".

"ماذا تعرفين عن ذلك؟ هل تستطيعين مساعدتي؟".

"ثمّة مومسات في كلّ مكان. يمكنك طلب رقم لتجدهنّ بانتظارك في الفندق. وهنّ راقيات، لا يقبلن بتسميتهنّ مومسات، بل يقلن إنهن يقدّمن خدمات مرافقة ".

"هل تعرفين فتيات أو نساء يقدّمن خدمات كتلك في هذا الفندق؟".

"ليس من الضروريّ أن يكنّ أيسلنديات، ثمّة فتيات مستوردات أيضاً. يأتين كسائحات لأسبوعَين، ولا يحتجن إلى أيّ أوراق، ثمّ يعدن بعد بضعة أشهر".

نظرت إيفا ليند إلى أبيها.

"يمكنك التحدّث مع صديقتي ستينا، فهي تعرف قواعد اللعبة. هل تظنّ أنّ امرأة قتلته؟".

"لا فكرة لديّ".

خيّم عليهما الصمت مجدّداً. كانت حبّات الثلج تلمع في الخارج في الظلام وهي تتساقط على الأرض. تذكّر إرليندور جملة وردّدها: مع أنّ خطاياكَ قرمزية، يجب أن تكون بيضاء كالثلج.

قالت إيفا ليند: "أنا منهكة". لم يشعر بالحماسة في صوتها، ولا باللهفة.

قال إرليندور: "ربّما كنتِ غير قادرة على القيام بذلك". سبق أن حثّ ابنته على طلب المشورة. "ربّما كنتِ بحاجة إلى شخص غيري لمساعدتك".

قالت إيفا: "لا تبدأ بالحديث في علم النفس".

"لم تتجاوزي الأمر، ولا تبدين بحالة جيّدة، وقريباً ستعمدين إلى علاج الألم على طريقتك القديمة". ثمّ تعودين إلى الوضع المزري الذي كنتِ فيه.

كان إرليندور على وشك التفوّه بالجملة الأخيرة، ولكنّه لم يجرؤ على قولها لابنته بصوت عالٍ.

قالت إيفا ليند، التي توتّرت على الفور، ووقفت: "أنت تلقي العظات طيلة الوقت".

قرّر ردّ الهجوم.

"ستخذلين الطفلة التي ماتت".

حدّقت إيفا ليند إلى أبيها، واسودّت عيناها غضباً.

"خيارك الآخر هو التوصّل إلى مصالحة مع هذه الحياة المزرية، كما تسمّينها، وتحمّل عذابها، والصبر على العذاب الذي يجب علينا كلّنا تحمله دائماً لتجاوز محننا وبلوغ ما في الحياة من سعادة أيضاً، على الرغم من كوننا أحياء".

"تحدّث عن نفسك! أنت عاجز حتّى عن الذهاب إلى البيت في الميلاد لأنّك لن تجد شيئاً هناك! لا شيء، ولا يمكنك الذهاب إليه لأنّك تعرف أنّه مجرّد جحر خالٍ لم تعد ترغب بالزحف إلى داخله مجدّداً".

قال إرليندور: "أنا أمضي الميلاد في البيت دائماً".

نظرت إليه إيفا ليند مربكة.

"ما الذي تتحدّث عنه؟".

قال إرليندور: "هذا أسوأ ما في الميلاد، أنّني أذهب دائماً إلى البيت".

قالت إيفا ليند، وهي تفتح الباب: "لا أفهمك، لن أفهمك أبداً".

ثمّ صفقت الباب خلفها. وقف إرليندور ليلحق بها، ولكنّه توقّف. عرف أنّها سترجع. مشى إلى النافذة، وراقب انعكاس صورته على الزجاج، إلى أن أصبح قادراً على النظر من خلاله إلى الظلام وحبّات الثلج اللامعة.

نسيَ قراره بالذهاب إلى البيت، إلى جحره الخالي؛ كما قالت إيفا ليند. ابتعد عن النافذة وشغّل ترانيم غودلاوغور مجدّداً، ثمّ تمدّد على سريره وأصغى إلى غناء الغلام الذي تمّ العثور عليه بعد سنوات طويلة مقتولاً في غرفة صغيرة في أحد الفنادق، وفكّر بالخطايا البيضاء كالثلج.

اليوم الرابع

استفاق في الصباح الباكر، وكان لا يزال مرتدياً ملابسه وممدّداً فوق اللحاف. استغرق وقتاً طويلاً ليستيقظ تماماً. راوده حلم عن أبيه وتبعه إلى ذلك الصباح المعتم. جاهد ليتذكّره، ولكن لم تتبقَّ منه سوى مقتطفات. أبوه أكثر شباباً بعض الشيء، وأكثر نحولاً، ويبتسم له في غابة مقفرة.

كانت غرفة الفندق مظلمة وباردة. لن تشرق الشمس قبل بضع ساعات. تمدّد وهو يفكّر بالحلم، وبأبيه، وبضياع أخيه، وكيف خلّفت تلك الخسارة التي لا تُحتمل فجوة في عالمه، وظلّت تلك الفجوة تكبر وهو يبتعد عن حافّتها وينظر إلى الفراغ الذي كان جاهزاً لابتلاعه عندما يستسلم أخيراً.

نفض عنه أحلام اليقظة تلك، وفكّر بما عليه فعله اليوم. ما الذي كان هنري وابشوت يخبّئه؟ لماذا روى له أكاذيب وحاول الهرب بشكل يائس، وهو ثمل ومن دون أمتعة؟ سلوكه ذاك حيّر إرليندور. ثمّ توقفت أفكاره عند الصبيّ الممدّد على سرير المستشفى وأبيه: قضيّة إلينبورغ التي شرحتها له بالتفصيل.

شكّت إلينبورغ في أنّ الصبيّ قد تعرّض إلى سوء المعاملة من قبل، وثمّة مؤشّرات قويّة على أنّ ذلك قد حدث في المنزل. كان الأب موضع شبهة. أصرّت على أن يوضع في الحبس الاحتياطي في فترة التحقيق. فمُنحت أسبوعاً من الحبس الاحتياطي، أمام اعتراضات صاخبة من الأب ومحاميه. عندما صدرت المذكّرة، ذهبت إلينبورغ لإحضاره مع أربعة عناصر من الشرطة، ورافقته إلى هفيرفيسغاتا. قادته عبر ممرّ السجن، وأقفلت باب زنزانته بنفسها. فتحت نافذة الباب الصغيرة، ونظرت إلى الرجل الواقف في البقعة نفسها، وظهره إليها محنيّ وعاجز نوع ما، كأيّ شخص يُنتزع من المجتمع البشري ويُسجن في قفص مثل حيوان.

استدار ببطء ونظر إلى عينَيها من الجانب الآخر من الباب الفولاذي، فأغلقت الفتحة في وجهه.

بدأت باستجوابه في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي. شارك إرليندور في الاستجواب، ولكنّ إلينبورغ كانت هي المكلّفة به. جلسا أمامه في غرفة الاستجواب. كانت ثمّة منفضة سجائر مثبّتة على الطاولة بينهم. لم يكن الأب قد حلق ذقنه، وكان يرتدي بذلة مغضّنة وقميصاً أبيض مهلهلاً،

أزراره مغلقة حتّى العنق، حيث وضع ربطة عنق معقودة بعناية، وكأنّها تمثّل آخر معاقل احترامه لذاته.

شغّلت إلينبورغ آلة التسجيل وسجّلت المقابلة، وأسماء الموجودين، ورقم القضية. كانت قد استعدّت جيّداً. فقد قابلت مدير مدرسة الطفل الذي أخبرها عن معاناته من صعوبة في النطق، وقلّة انتباه، وضعف في الأداء المدرسي. كما تحدّثت مع أخصّائية في علم النفس، وهي صديقة لها، كلّمتها عن الخيبة، والتوتّر، والإهمال. والتقت أصدقاء الصّبي، والجيران، والأقارب، وكلّ من خطر لها أن تسأله عن الولد وأبيه.

لم يستسلم الرجل، بل اتّهمهما بالاضطهاد وأعلن أنّه سيقاضيهما، كما رفض الإجابة عن أسئلتهما. نظرت إلينبورغ إلى إرليندور، ثمّ ظهر آمر السجن ودفع الرجل إلى زنزانته مجدّداً.

بعد يومَين، تمّ إحضاره مجدّداً للاستجواب. كان محاميه قد أحضر له ملابس مريحة من المنزل، فارتدى سروال جينز وقميصاً قطنيًّا يحمل جيبه رمز المصمّم، الذي بدا وكأنّه ميداليّة نالها على إسرافه. كانت حالته الذهنية مختلفة في تلك المقابلة. فثلاثة أيّام أمضاها في السجن جعلته يتخلى عن تكبّره، فلقد رأى أنّ بقاءه في الزنزانة أو خروجه منها يعتمد عليه وحده.

حرصت إلينبورغ على مجيئه إلى الاستجواب حافي القدمَين. فقد تمّ خلع حذائه وجوربه من دون تفسير. عندما جلس أمامهما، حاول إخفاء قدمَيه تحت كرسيّه.

جلست إلينبورغ وإرليندور أمامه بتصميم، وراحت آلة التسجيل تصدر صوتاً خافتاً.

قالت إلينبورغ: "تكلّمت مع مدرّسة ابنك. ومع أنّ ما يجري بين الأهل والمدرّس يُعتبر سريًّا، وكانت حازمة في هذا الموضوع، إلاّ أنّها أرادت مساعدة الصبيّ، وتقديم العون في التحقيق الجنائي. فأخبرتني أنّك تهجّمت عليه مرّة أمامها".

"تهجّمت عليه! صفعته على خدّه بخفّة. بالكاد يمكن تسمية ذلك تهجّماً. كان قد أساء التصرّف، هذا كلّ شيء. راح يتململ، فهو صعب المراس. أنت لا تعرفين الضغوط التي يتعرّض لها الأهل".

"إذاً، يحقّ لك أن تعاقبه؟".

"نحن صديقان، أنا وابني. أنا أحبّه، ومسؤول عنه بمفردي. فأمّه...".

قالت إلينبورغ: "أعرف وضع أمّه. وبالطبع ليس من السهل أن تربّي

طفلاً بمفردك. ولكنّ ما فعلتَه وتفعله به... لا يوصَف".

جلس الأب ولم يقل شيئاً.

أخيراً قال: "لم أفعل شيئاً".

شبكت إلينبورغ ساقَيها وارتطمت ساقها بساق الأب في أثناء ذلك.

فقالت: "أنا آسفة".

أجفل الأب، وهو غير واثق ما إذا كان ما حدث متعمّداً.

قالت بهدوء: "قالت المدرّسة إنّك تطلب من ابنك أموراً غير منطقيّة. أهذا صحيح؟".

"ما هو الشيء غير المنطقي؟ أريده أن يحصل على تعليم جيّد وأن يكون شخصاً مميّزاً".

قالت إلينبورغ: "هذا مفهوم، ولكنّه لم يتجاوز الثامنة، وهو يعاني من صعوبة في النطق، كما أنّه مفرط النشاط. أنت نفسك لم تنهِ دراستك".

"أنا أملك شركة خاصّة بي وأديرها".

"وهي مفلسة. أنت تخسر منزلك، وسيّارتك الجميلة، والثروة التي منحتك مركزاً اجتماعيًّا. لن ينظر الناس إليك بإعجاب بعد الآن، وعندما يجتمع أصدقاؤك القدامى، لن تكون محطّ الأنظار. رحلات الغولف مع الأصدقاء ستنتهي هي أيضاً. أنت تخسر كلّ شيء. كم هذا مثير للغيظ، لا سيّما إن كانت زوجتك في مستشفى للأمراض النفسيّة، وابنك متأخّراً في المدرسة. أمام كلّ ذلك، يتصاعد غضبك، وينفجر في النهاية عندما يوُقع آدي زجاجة شراب على الأرض، مع أنّه يوقع الحليب ويكسر الأطباق طيلة حياته".

نظر إليها الأب، ولم يتبدّل تعبيره.

سبق لإلينبورغ أن زارت زوجته في مستشفى الأمراض العقليّة في كليبور. كانت مصابة بانفصام في الشخصيّة، وكان يتمّ إدخالها عندما تبدأ بالهلوَسة وتُربكها الأصوات. عندما التقتها إلينبورغ، كانت تتعاطى دواءً قويًّا إلى حدّ أنّها بالكاد استطاعت التكلّم. جلست وهي تتأرجح إلى الأمام والخلف وطلبت من إلينبورغ سيجارة. ولم تعرف لماذا تزورها.

قال الأب في غرفة الاستجواب: "أحاول تربيته بأفضل طريقة ممكنة".

"بوخز يدَيه بالإبر".

"اصمتي".

تكلّمت إلينبورغ مع شقيقة الرجل، التي قالت إنّها شعرت في بعض الأحيان أنّ تربية الصبيّ قاسية. ذكرت زيارة قامت بها إلى منزلهما حين

كان الصبيّ في الرابعة من عمره. اشتكى يومها من أنّه ليس بخير، وبكى قليلاً، واعتقدت أنّه مصاب بالزكام. ففقد الأب صبره لأنّ الصبيّ كان يبكي لبعض الوقت، فحمله وسأله بعنف: "هل لديك مشكلة؟".

أجاب آدي بصوت منخفض وبعصبيّة، وكأنّه يستسلم: "لا".

"لا يجب أن تبكي".

"لا".

"إن لم تكن لديك مشكلة، توقّف عن البكاء".

"حاضر".

"إذاً، هل ثمّة خطب ما؟".

"لا".

"إذاً كلّ شيء على ما يرام؟".

"نعم".

"جيّد. لا يجب أن تنتحب بلا سبب".

روت إلينبورغ هذه القصّة للأب، ولكنّ تعبيره لم يتبدّل.

قال: "أنا وشقيقتي لا نتّفق، لا أذكر تلك الحادثة".

سألته إلينبورغ: "هل تهجّمت على ابنك بشكل استلزم إدخاله إلى المستشفى؟".

نظر الأب إليها.

كرّرت إلينبورغ السؤال.

أجاب: "لا، لم أفعل. هل تظنّين أنّ الأب يفعل ذلك بابنه؟ ابني تعرّض للضرب في المدرسة".

تمّ إخراج الطفل من المستشفى. ووجدت له وكالة رعاية الأطفال منزلاً، فذهبت إلينبورغ لرؤيته عندما انتهى الاستجواب. جلست قربه وسألته عن حاله. لم يكن قد قال لها كلمة واحدة منذ أن التقيا للمرّة الأولى، ولكنّه نظر إليها وكأنّه أراد قول شيء.

تنحنح قليلاً، ثمّ تردّد.

قال وهو يقاوم البكاء: "أنا مشتاق إلى أبي".

كان إرليندور جالساً إلى الطاولة في قاعة الطعام عندما وصل سيغوردور أولي يتبعه هنري وابشوت. جلس الشرطيّان اللذان يرافقانهما إلى طاولة أخرى خلفهما. كان مظهر جامع الأسطوانات البريطاني مزرياً أكثر من ذي قبل، وشعره الأشعث منتصباً في جميع الاتّجاهات، فيما علت نظرة

عذاب وجهه الذي كان يعبّر عن شعور عميق بالذلّ أمام معركة خاسرة مع السكر والسجن.

سأل إرليندور سيغوردور أولي وهو يقف: "ما الذي يجري؟ لماذا أحضرته إلى هنا؟ ولماذا لم تكبّلوه؟".

"نكبّله؟".

"بالأصفاد".

"هل يبدو لك ذلك ضرورياً؟".

نظر إرليندور إلى وابشوت.

قال سيغوردور أولي: "لم أستطع انتظارك، فنحن نستطيع احتجازه حتّى المساء وحسب، لذا عليك أن تتّخذ قراراً بخصوص التهم الموجّهة إليه بأسرع ما يمكن. كما أنّه أراد لقاءك هنا، رفض التكلّم معي وأراد التكلّم معك أنت، وكأنّكما صديقان قديمان. لم يصرّ على الكفالة، ولم يطلب مساعدة قانونية ولا مساعدة من سفارته. قلنا له إنّنا نستطيع الاتّصال بالسفارة، ولكنّه رفض".

قال إرليندور وهو يلقي نظرة على وابشوت الواقف خلف سيغوردور أولي وقد أحنى رأسه: "هل عرفت شيئاً عنه من شرطة لندن؟".

قال سيغوردور أولي، الذي لم يفعل شيئاً بهذا الخصوص: "سأبحث في هذا الأمر بعد تسليّمك إيّاه. سأُخبرك بما أعرفه".

ودّع سيغوردور أولي وابشوت، ثمّ توقّف قليلاً وتحدّث مع الشرطيّين قبل أن يغادر. دعا إرليندور الرجل البريطاني إلى الجلوس. جلس وابشوت على كرسيّ، وهو ينظر على الأرض.

قال بصوت منخفض: "لم أقتله، لا يمكن أن أقتله. أنا لم أتمكّن يوماً من قتل أيّ شيء، ولا حتّى ذبابة، فما بالك بغلام الجوقة الرائع ذاك".

نظر إرليندور إلى وابشوت.

"هل تتحدّث عن غودلاوغور؟".

أجاب وابشوت: "أجل، بالطبع".

"ولكن، مضى زمن طويل على كونه غلام جوقة. كان غودلاوغور في الخمسين من عمره ويؤدّي دور سانتا في حفلات الميلاد".

قال وابشوت: "أنت لا تفهم".

"كلاّ. ربّما تستطيع أن تشرح لي".

قال وابشوت: "لم أكن في الفندق عندما تعرّض للاعتداء".

"أين كنت؟".

نظر إليه وابشوت وعبرت وجهه ابتسامة معذَّبة: "كنت أبحث عن أسطوانات، أفتّش بين الأشياء التي ترمونها أنتم الأيسلنديون، أبحث عن صيد ثمين في مصنع التكرير ذاك. سمعت أنّ تركة رجل ميت وصلَتهم ليتخلّصوا منها، بما في ذلك أسطوانات غراموفون".

"من؟".

"ماذا تعني؟".

"من أخبرك عن تركة الميت؟".

"أخبرني الموظّفون، فأنا أعطيهم بقشيشاً حين يخبرونني. لديهم بطاقتي، أخبرتك بذلك. أذهب إلى محلاّت الجامعين، وألتقي جامعين آخرين، وأذهب جميع يفعله ما أفعل أنا اسمها؟ هذا أليس ، [6] كولابورتيد الأسواق. إلى .''الامتلاك يستحقّ ما إيجاد أحاول ،القديمة الأشياء جمع هواة

"هل كنت مع شخص آخر في وقت الاعتداء؟ شخص يمكننا التحدّث معه؟".

أجاب وابشوت: "كلاّ".

"ولكن لا بدّ من أنّهم يذكرونك في تلك الأماكن".

"بالطبع".

"وهل وجدت ما يستحقّ الامتلاك؟ شيئاً يخصّ غلمان جوقات جدداً؟".

"لا شيء، لم أجد شيئاً في تلك الجولة".

سأله إرليندور: "لماذا كنت تهرب منّا؟".

"أردت العودة إلى بيتي".

"وتركت كلّ أمتعتك في الفندق؟".

"أجل".

"باستثناء بعض أسطوانات غودلاوغور".

"أجل".

"لماذا قلت لي إنّه لم يسبق لك المجيء إلى أيسلندا من قبل؟".

"لا أدري. لم أشأ لفت الانتباه إليّ من دون داعٍ، فالجريمة لا علاقة لها بي".

"من السهل جداً إثبات العكس. كان عليك أن تعرف أنّني سأكتشف كذبك، وسأعرف أنّك أتيت إلى هذا الفندق من قبل".

"ليس لي علاقة بالجريمة".

"ولكنّك أقنعتني الآن بأنّ للأمر علاقة بك. ما كان بإمكانك أن تلفت الانتباه إليك أكثر من ذلك".

"أنا لم أقتله".

"ما علاقتك بغودلاوغور؟".

"أخبرتك تلك القصّة ولم أكن أكذب. بدأت أهتمّ بغنائه، وبأسطوانات قديمة سجّلها عندما كان غلام جوقة، وعندما سمعت أنّه ما زال حيًّا، اتّصلت به".

"لماذا كذبت؟ لقد سبق لك المجيء إلى أيسلندا والمكوث في هذا الفندق، ولقاء غودلاوغور حتماً".

"لا علاقة لي بهذا الأمر، بالجريمة. عندما سمعت بها، خفت أن تكتشف أنّني أعرفه. شعرت بالخوف وضبطت نفسي قدر الإمكان لكي لا أهرب على الفور، وأبدو وكأنّني أنا المجرم. كان عليّ البقاء لبضعة أيّام، ولكنّني لم أطق صبراً وقرّرت الهرب. لم تعد أعصابي تحتمل، ولكنّني لم أقتله".

"كم كنت تعرف عن ماضي غودلاوغور؟".

"ليس الكثير".

"أليس جمع المعلومات جزءاً من جمع الأسطوانات؟ هل فعلت ذلك؟".

"لا أعرف الكثير. أعرف أنّه خسر صوته في إحدى الحفلات، وأنّه لم يتمّ إصدار سوى أسطوانتَين له، قبل أن يتشاجر مع أبيه...".

"انتظر، كيف سمعت بكيفيّة وفاته؟".

"ماذا تعني؟".

"لم نخبر النزلاء بأنّها كانت جريمة قتل، بل قلنا إنّه مات نتيجة حادث أو ذبحة قلبية. لذا، كيف عرفت أنّه قُتل؟".

"كيف عرفت؟ أنت أخبرتني".

"أجل، أخبرتك وفوجئتَ جداً، ولكنّك قلتَ الآن، إنّك عندما سمعتَ بالجريمة خفتَ أن نربط بينك وبينه. بعبارة أخرى، عرفتَ ذلك قبل لقائنا، قبل أن نربط بينك وبينها".

حدّق إليه وابشوت. يعرف إرليندور عندما يبدأ الناس بالمماطلة، وقد أعطى وابشوت كلّ الوقت الذي يريده. جلس الشرطيّان بهدوء على بعد مسافة مناسبة. كان إرليندور قد تأخّر على موعد الفطور وكان ثمّة عدد قليل من الأشخاص في قاعة الطعام. لمح رئيس الطهاة الضخم الذي ثارَ غاضباً عندما طُلب منه إعطاء عيّنة من لعابه. تحوّلت أفكار إرليندور إلى فالغردور، خبيرة التقنية الأحيائية. ماذا تفعل الآن؟ تعطي حقناً للأطفال الذين يقاومون دموعهم أو يحاولون ركلها؟

قال وابشوت: "لم أشأ التورّط في هذه القضية".

"ماذا تُخبّئ؟ لماذا لا ترغب بالتكلّم مع السفارة البريطانية؟ لماذا لا تريد محامياً؟".

"سمعت شخصين يتكلمان هنا، من نزلاء الفندق، كانا يتحدّثان عن شخص تعرّض للقتل. إنهما أميركيان، هكذا سمعتُ بالخبر. وخفتُ أن تربط بيني وبينه وأنتهي إلى الوضع الذي أنا فيه الآن. لهذا السبب هربت، الأمر بهذه البساطة".

تذكّر إرليندور الأميركيَّين هنري بارتليت وزوجته التي قالت لسيغوردور أولي مع ابتسامة إنّ اسمها سيندي.

"ما هي قيمة أسطوانتَي غودلاوغور؟".

"ماذا تعني؟".

"لا بدّ من أنّ قيمتهما كبيرة لكي تجتاز كلّ هذه المسافة إلى الشمال البارد في منتصف فصل الشتاء من أجل الحصول عليهما. كم تبلغ قيمتهما؟ كم تبلغ قيمة الأسطوانة الواحدة؟".

"إن أردتَ بيعها عليك عرضها في مزاد علني، ولا يمكن معرفة السعر الذي ستجنيه في النهاية".

"ولكن حسب تقديرك، بكم يمكن أن تباع؟".

"لا أعرف".

"هل التقيت غودلاوغور قبل وفاته؟".

تردّد هنري وابشوت، ثم أجاب أخيراً: "أجل".

"الملاحظة التي وجدناها، 18:30، كانت موعد اللقاء؟".

"كان ذلك قبل اليوم الذي عُثر عليه فيه ميتاً. جلسنا في غرفته واجتمعنا لمدّة قصيرة".

"حول ماذا؟".

"حول أسطوانتَيه".

"وماذا عن أسطوانتَيه؟".

"أردتُ أن أعرف منذ وقت طويل ما إذا كانت لديه أسطوانات أخرى، وما إذا كانت النسخ التي أعرفها، ضمن مجموعتي ولدى أشخاص آخرين، هي النسخ الوحيدة في العالم. لسبب ما، لم يُجبني. سألته في البداية في رسالة كتبتها له قبل عدّة سنوات، وكان ذلك أحد الأسئلة الأولى التي طرحتها عليه عندما التقينا".

"إذاً، هل كانت لديه أسطوانات أخرى؟".

"رفض الإجابة".
"وهل كان يعرف كم تساوي أسطواناته؟".
"أعطيته صورة واضحة".
"وكم تساوي تلك الأسطوانات فعلاً؟".
لم يجب وابشوت على الفور.
قال: "عندما التقيته في المرّة الأخيرة، استسلم. أراد التحدّث عن أسطواناته. أنا...".
تردّد وابشوت مجدّداً، ونظر خلفه ورأى الشرطيّين اللذَين يحرسانه.
"دفعتُ له نصف مليون".
"نصف مليون؟".
"كرونور، كدفعة أولى أو -".
"ولكنّنا لا نتكلّم عن مبالغ طائلة على حدّ قولك".
هزّ وابشوت كتفَيه وظنّ إرليندور أنّه رأى ابتسامة عابرة.
قال إرليندور: "تلك كذبة أخرى إذاً".
"أجل".
"دفعة أولى لقاء ماذا؟".
"الأسطوانات التي يملكها، هذا إن كان لديه أيّ منها".
"وهل أعطيتَه المال في لقائكما الأخير من دون أن تعرف ما إذا كان يملك أسطوانات؟".
"أجل".
"ثمّ ماذا حصل؟".
"ثمّ قُتل".
"ولكنّنا لم نجد معه مالاً".
"لا أعرف شيئاً عن ذلك. أعطيته نصف مليون في اليوم الذي سبق وفاته".
تذكّر إرليندور أنّه طلب من سيغوردور أولي التحقّق من حساب غودلاوغور المصرفي. عليه أن يتذكّر سؤاله عمّا وجده.
"هل رأيت الأسطوانتَين في غرفته؟".
"كلاّ".
"لماذا أصدّق ذلك؟ فقد كذبتَ في كلّ شيء آخر. لماذا أصدّق ما تقوله؟".
هزّ وابشوت كتفَيه.

"إذاً، كان معه نصف مليون عندما تعرّض للاعتداء".

"لا أعرف. كلّ ما أعرفه هو أنّني أعطيته المال ثمّ قُتل بعد ذلك".

"لماذا لم تخبرني عن المال منذ البداية؟".

أجاب وابشوت: "أردت أن تتركني وشأني. لم أشأ أن أثير الظنون بأنّني قد قتلته بسبب المال".

"وهل فعلت؟".

"كلاّ".

صمتا.

سأله وابشوت: "هل ستوجّه إليّ التهمة؟".

قال إرليندور: "أظنّ أنّك ما زلت تخفي شيئاً. سأحتجزك حتّى المساء، ثمّ سنرى".

"لا يمكنني أن أقتل غلام الجوقة، فأنا أحبّه كثيراً. لم أسمع يوماً غلاماً يغنّي بصوت كصوته".

نظر إرليندور إلى هنري وابشوت.

وقال قبل أن يدرك ذلك: "غريب كم أنت وحيد في كلّ هذا".

"ماذا تعني؟".

"أنت وحيد جداً في العالم".

قال وابشوت: "لم أقتله، لم أقتله".

18

غادر وابشوت الفندق برفقة الشرطيَّين، بينما اكتشف إرليندور أنّ أوسب، الفتاة التي وجدت الجثّة، تعمل حاليًّا في الطابق الرابع. استقلّ المصعد، وعندما وصل، رآها تضع الغسيل المتّسخ في عربة خارج إحدى الغرف. لم تلاحظ وجوده إلى أن مشى نحوها ولفظ اسمها. نظرت إليه، وعرفته على الفور.

سألته بلا اكتراث: "آه، هذا أنت؟".

بدت أكثر تعباً واكتئاباً ممّا كانت عليه عندما رآها في مقهى الموظّفين، وفكّر إرليندور في أنّ الميلاد لم يكن موسم فرح بالنسبة إليها هي أيضاً على الأرجح. سألها عن ذلك من دون أن يشعر.

"هل يسبّب لك الميلاد الإحباط؟".

من دون أن تجيبه، دفعت العربة إلى الباب التالي. طرقت عليه، وانتظرت للحظة، قبل أن تخرج مفتاحها وتفتح الباب. نادت في الداخل لتتأكّد من عدم وجود أحد، ثمّ دخلت وبدأت تعمل. رتّبت السرير، وجمعت المناشف من أرض الحمّام، ورشّت سائل التنظيف على المرآة. تجوّل إرليندور في الغرفة خلفها وراقبها وهي تعمل، وبعد قليل لاحظت أنّه ما زال معها.

قالت: "لا ينبغي لك دخول الغرفة، فهذا مكان خاصّ".

قال إرليندور: "أنتِ تهتمّين بالغرفة 312 في الطابق الأسفل. ثمّة بريطاني غريب الأطوار ينزل فيها، يُدعى هنري وابشوت. هل لاحظت شيئاً غير معتاد في غرفته؟".

ألقت عليه نظرة وكأنّها لم تفهم ما يعنيه.

أضاف محاولاً الابتسام: "كسكّين ملوّثة بالدماء، مثلاً".

قالت أوسب، وقد توقّفت عن التفكير: "كلاّ، أيّ سكّين؟ هل قتل سانتا؟".

"لا أذكر تماماً كيف عبّرتِ عن ذلك في المرّة الأخيرة التي تكلّمنا فيها، ولكنّك قلتِ إنّ بعض النزلاء يضايقونكِ. ظننت أنّك تتحدّثين عن التحرّش الجنسي. هل كان واحداً منهم؟".

"كلاّ، لم أره سوى مرّة واحدة".

"ولم يحدث ما -".

قالت: "ثار غضبه، عندما دخلتُ إلى غرفته".

"ثار غضبه؟".

"أزعجته فطردني. ذهبت للتحقّق ممّا يجري، وتبيّن أنّه طلب من مكتب الاستقبال عدم تنظيف غرفته، ولكنّ أحداً لم يخبرني بذلك. لا أحد من بين ذلك الطاقم اللعين يُخبرنا شيئاً. هكذا دخلتُ غرفته، وعندما رآني، فقد أعصابه تماماً، وصبّ جام غضبه عليّ، ذلك العجوز الحقير، وكأنّني مسؤولة عمّا حدث. كان عليه أن يشتكي لدى مدير الفندق".

"أجده غامضاً بعض الشيء".

"إنّه غريب الأطوار".

"أعني وابشوت".

"أجل، كلاهما غريبا الأطوار".

"إذاً، أنتِ لم تلاحظي شيئاً غير اعتياديّ في غرفته؟".

"كانت عبارة عن فوضى حقيقية، ولكنّ هذا الأمر عادي".

توقّفت أوسب عن العمل، ووقفت ساكنة للحظة وهي تنظر إلى إرليندور شاردة.

"هل توصّلتم إلى شيء؟ بخصوص سانتا؟".

قال: "قليلاً، ماذا؟".

قالت أوسب، وهي تخفض صوتها وتُلقي نظرة على الممرّ: "هذا فندق غريب".

"غريب؟". شعر إرليندور فجأة بأنّها ليست واثقة تماماً من نفسها. "هل أنتِ خائفة من شيء ما؟ شيء ما هنا في الفندق؟".

لم تجبه.

"هل أنتِ خائفة من خسارة وظيفتك؟".

نظرت إلى إرليندور.

"أجل، صحيح، هذا هو نوع العمل الذي لا يرغب المرء بخسارته".

"إذاً، ما الأمر؟".

تردّدت، ثمّ بدا أنّها اتّخذت قراراً، وكأنّها أرادت قول شيء لم يعد ثمّة داعٍ لكتمانه.

قالت: "إنّهم يسرقون من المطبخ، كلّ ما تقع عليه أيديهم. لا أظنّ أنّنا كنا سنحتاج إلى شراء أدوات جديدة لسنوات".

"يسرقون؟".

"كلّ ما ليس مثبّتاً بالأرض".

"من هم؟".

"لا تقل إنّني أخبرتك، رئيس الطهاة، كبداية".
"وكيف عرفت؟".
"غولي هو الذي أخبرني. كان يعرف كلّ ما يدور في هذا الفندق".
تذكّر إرليندور عندما سرق لسان الثور من "البوفيه" ورآه رئيس الطهاة ووبّخه على ذلك. تذكّر نبرة الاستنكار في صوته.
"متى أخبرك بذلك؟".
"منذ شهرَين".
"ماذا إذاً؟ هل أقلقه ذلك؟ هل كان سيُخبر أحداً؟ لماذا أخبرك أنت؟ فهمتُ أنّك لا تعرفينه".
"لم أكن أعرفه". صمتت أوسب، ثمّ تابعت: "كانوا يضايقونني في المطبخ. يتفوّهون بكلام مبتذل، من ذاك النوع الذي يخطر في بال الحمقى المثيرين للشفقة أمثالهم. سمعهم غولي وتكلّم معي. طلب منّي ألاّ أقلق بسبب ذلك. قال إنّهم جميعاً لصوص، وإنّه قادر على التبليغ عنهم لو أراد".
"هل هدّد بالتبليغ عنهم؟".
"لم يهدّد بشيء، بل قال ذلك للتخفيف عنّي".
سألها: "ماذا يسرقون؟ هل ذكر شيئاً معيّناً؟".
"قال إنّ المدير يعرف بأمرهم ولكنّه لا يفعل شيئاً، فهو متورّط معهم أيضاً. فهو يشتري حاجيات المقهى من السوق السوداء، على حدّ قول غولي، ورئيس النُدُل مشترك معه في ذلك".
"غودلاوغور هو الذي أخبرك بذلك؟".
"ثمّ يحتفظون بالفرق".
"ولماذا لم تخبريني عندما تكلّمت معك من قبل؟".
"وهل لذلك علاقة بالجريمة؟".
"ربّما".
هزّت أوسب كتفَيها.
"لم أعرف. ولم أكن بكامل وعيي عندما عثرتُ عليه، على غودلاوغور، مع الواقي، والطعنات في جسده".
"هل رأيت مالاً في غرفته؟".
"المال؟".
"قبض مؤخّراً مبلغاً من المال. ولكنّني لا أدري ما إذا كان معه عندما تعرّض للقتل".

"لم أرَ قرشاً واحداً".

قال إرليندور: "ألم تأخذي المال؟ عندما عثرتِ عليه؟".

توقّفت أوسب عن العمل، ووضعت يدَيها على خصرها.

"هل تعني أنّني سرقته؟".

"هذه الأمور تحدث".

"تظنّ أنّني -".

"هل أخذته؟".

"كلاّ".

"كانت لديك الفرصة".

"وكذلك القاتل".

قال إرليندور: "هذا صحيح".

"لم أرَ قرشاً واحداً".

"كلاّ، حسناً".

استأنفت أوسب عملها. رشّت المعقّم على كرسيّ الحمام وحفّته بالفرشاة، وكأنّ إرليندور غير موجود. راقبها لبعض الوقت وهي تعمل، ثمّ شكرها.

توقّف عند الباب وسألها: "ماذا عنَيتِ بقولك إنّك أزعجته؟ أعني هنري وابشوت؟ من غير المعقول أن تكوني قد دخلتِ بعيداً في غرفته، ما دمتِ قد نادَيتِ أوّلاً كما فعلتِ للتوّ".

"لم يسمعني".

"ماذا كان يفعل؟".

"لا أدري إن كنتُ أستطيع...".

"لن يسبّب لك ذلك المشاكل".

أجابت: "كان يشاهد التلفاز".

همس إرليندور: "ولم يشأ أن يعرف أحد ذلك".

قالت: "أو شريط فيديو. فقد كان ما يشاهده من النوع الذي لا يجب أن يُشاهَد، ومقزّزاً".

"هل يعرضون أفلاماً لا يجب أن تعرض في الفندق؟".

"ليس ذلك النوع من الأفلام، فهي ممنوعة في كلّ مكان".

"أيّ نوع من الأفلام؟".

"كان يشاهد فيلماً عن الأطفال. أخبرت المدير".

"فيلماً عن الأطفال؟ أيّ نوع من الأفلام هو هذا؟".

"أيّ نوع، هل تريد منّي وصفه؟".

"في أيّ يوم حدث ذلك؟".

"يا للفاسد القذر!".

"متى كان ذلك؟".

"في اليوم الذي عثرتُ فيه على غولي".

"وماذا فعل المدير؟".

"لا شيء. طلب منّي أن أبقي فمي مقفلاً".

"هل تعرفين من كان غودلاوغور؟".

"ماذا تعني، الحارس؟ كان حارساً. هل كان شيئاً آخر؟".

"أجل عندما كان صغيراً. كان غلام جوقة، ويتمتّع بصوت جميل جداً. لقد سمعتُ أسطوانتيه".

"غلام جوقة؟".

"كان نجماً صغيراً، بالفعل. ثمّ ساءت الأمور في حياته فجأة، كبر وانتهى كلّ شيء".

"لم أعرف ذلك".

قال إرليندور: "كلاّ، لم يعد أحد يعرف شيئاً عن غودلاوغور".

غرقا في الصمت وشردا بعيداً في أفكارهما. مرّت بضع دقائق.

سألها إرليندور مجدّداً: "هل يحبطك الميلاد؟". شعر وكأنّه وجد شخصاً يفهمه.

التفتت إليه قائلة: "الميلاد للسعداء".

نظر إرليندور إلى أوسب وعبرت وجهه ابتسامة ساخرة.

قال وهو يخرج هاتفه: "أنت تتّفقين مع ابنتي".

فوجئ سيغوردور أولي عندما أخبره إرليندور عن المال الذي كان غودلاوغور يحتفظ به في غرفته على الأرجح.

ناقشا ضرورة التأكّد من ادّعاء وابشوت بأنّه كان يتجوّل في أسواق الأسطوانات عندما تمّ ارتكاب الجريمة. كان سيغوردور أولي واقفاً أمام زنزانة وابشوت عندما اتّصل به إرليندور، ووصف له الظروف التي أُخذت فيها عيّنة اللعاب.

كانت الزنزانة التي زُجّ فيها قد آوت أنواعاً كثيرة من التعساء: من المشرّدين البائسين، إلى السفّاحين والقتلة الذين تركوا آثارهم على الجدران، وخدشوا الطلاء لترك علامات تشير إلى ظروفهم البائسة في السجن.

كان في الزنزانة كرسي حمّام، وسرير مثبّت في الأرض. وعلى السرير فراش رقيق ووسادة قاسية. لم تكن الزنزانة تحتوي على نوافذ، بل كان ثمّة مصباح قويّ لا ينطفئ أبداً، ما يجعل من الصعب على السجين أن يميّز الليل من النهار.

وقف هنري وابشوت بصلابة قرب الجدار، مواجهاً الباب الفولاذي المتين. أمسك به حارسان.كانت إلينبورغ وسيغوردور أولي معه في الزنزانة مع مذكّرة تأمر بإجراء الاختبار، وكانت فالغردور هناك أيضاً، حاملة بيدها عوداً من القطن، وجاهزة لأخذ العيّنة.

حدّق إليها وابشوت وكأنّها الشرّ مجسّداً. جحظت عيناه، وأبعد رأسه عنها قدر الإمكان، ومهما حاولوا، لم يتمكّنوا من جعله يفتح فمه.

أخيراً، مدّدوه على الأرض، وأغلقوا أنفه إلى أن استسلم وفتح فمه للتنفّس. فاستغلّت فالغردور الفرصة وأقحمت عود القطن في فمه، ومرّرته فيه إلى أن أوشك على التقيّؤ، ثمّ سحبته وأسرعت خارجة من الزنزانة.

19

عندما عاد إرليندور إلى البهو في طريقه إلى المطبخ، رأى ماريون بريم واقفاً عند مكتب الاستقبال، مرتدياً معطفاً بالياً، ومعتمراً قبّعة، وهو يتململ من كثرة الانتظار. لاحظ كم شاخ رئيسه القديم في السنوات الأخيرة منذ أن التقيا لآخر مرّة، ولكنّه ما زال يتمتّع بعينَين فضوليتَين، ولا يُضيع الوقت أبداً في الرسميّات.

سأله ماريون وهو يجلس: "تبدو بحالة مزرية، ما الذي يحبطك؟". وأخرج سيجاراً من معطفه فجأة، مع علبة كبريت.

قال إرليندور: "التدخين ممنوع هنا، على ما يبدو".

قال ماريون وهو يشعل السيجار: "لم يعد بالإمكان التدخين في أيّ مكان".

بدا تعبير ألم على وجه ماريون، ببشرته الرمادية المرتخية والمجعّدة. أحاطت شفتاه الشاحبتان بالسيجار، ومدّ أصابعه النحيلة ذات الأظفار الصفراء لإمساك السيجار مجدّداً حالما امتلأت رئتاه.

خلال تاريخهما الطويل والمليء بالأحداث، لم يتّفق ماريون وإرليندور على نحو خاصّ. كان ماريون رئيس إرليندور لسنوات وحاول تعليمه المهنة. ولكنّ إرليندور كان عنيداً ولم يقبل الانصياع له عن طيب خاطر. لم يكن قادراً على احتمال رؤسائه في تلك الأيّام ولم يتغيّر شيء. كان ماريون يستاء من سلوكه، وغالباً ما كانا يتصادمان، ولكنّه كان يعرف أنّه من الصعب إيجاد تحرّي أفضل من إرليندور، لا سيّما وأنّه لم يكن مرتبطاً بعائلة والتزامات تأخذ من وقته. كان إرليندور متفرّغاً للعمل. وكذلك كان ماريون شخصاً منعزلاً طيلة حياته.

سأله ماريون، وهو ينفث دخان سيجاره: "ما جديدك؟".

"لا شيء".

"هل يسبّب لك الميلاد الملل؟".

أجاب شارداً وهو يحدّق إلى المطبخ، بحثاً عن قبّعة رئيس الطهاة: "لم أفهم قطّ مغزى الميلاد".

قال ماريون: "الكثير من البهجة والمرح، على ما أظنّ. لماذا لا تجد لنفسك صديقة؟ أنت لست كبيراً على ذلك. الكثير من النساء قد يرغبن برفقة عجوز طائش مثلك".

"حاولت ذلك. ماذا عرفتَ -".

"هل تعني زوجتك؟".

لم يرغب إرليندور بإضاعة الوقت في الحديث عن حياته الخاصّة.

"هلاّ كففت عن ذلك؟".

"سمعتُ أنّ -".

قاطعه إرليندور بغضب: "قلت كفى".

قال ماريون: "حسناً، حياتك الخاصّة ليست من شأني. كلّ ما أعرفه هو أنّ الوحدة تجعل الحياة بطيئة ومؤلمة". صمت ماريون ثمّ أضاف: "ولكن، بالطبع لديك ولداك، أليس كذلك؟".

قال إرليندور: "ألا يمكننا التغاضي عن هذا الموضوع بكلّ بساطة. أنت -".

"ماذا عنّي؟".

"ماذا تفعل هنا؟ ألم يكن بإمكانك الاتّصال؟".

نظر ماريون إلى إرليندور، وظهر أثر ابتسامة على وجهه العجوز.

"سمعت أنّك تنام في هذا الفندق، وأنّك لن تذهب لتمضية الميلاد في بيتك. ما خطبك؟ لماذا لا تذهب إلى البيت؟".

لم يجب إرليندور.

"هل سئمتَ من نفسك إلى هذا الحدّ؟".

"ألا يمكننا تغيير الموضوع؟".

"أعرف هذا الشعور، أن تسأم من نفسك، أن تسأم من هذا الشخص اللعين الذي يصدف أنّه أنت، والذي لا يمكنك إخراجه من رأسك. يمكنك التخلّص منه لبعض الوقت، ولكنّه يعود دائماً ويبدأ بإزعاجك بالهراء نفسه من جديد. يمكنك أن تحاول نسيانه، فتغيّر الأماكن، وتقيم في الفنادق عندما تسوء الأمور".

ناشده إرليندور: "ماريون، توقّف رجاءً".

قال ماريون مغيّراً الموضوع فجأة: "كلّ من يملك نسخاً عن أسطوانتي غودلاوغور إجيلسون يجلس على منجم ذهب".

"ما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟".

"إنّها كنز دفين اليوم. صحيح أنّ قلّة من الناس تملكها أو تعرف بأمرها، ولكنّ الأشخاص الذين يعرفون ذلك مستعدّون لدفع مبالغ طائلة لقاء الحصول عليها. فأسطوانات غودلاوغور تُعتبر سلعاً نادرة في عالم هواة جمع الأسطوانات، كما أنّها مرغوبة جداً".

"كم هي هذه المبالغ الطائلة؟ عشرات الآلاف؟".

أجاب ماريون: "قد تكون مئات الآلاف للنسخة الواحدة".

اعتدل إرليندور في جلسته: "مئات الآلاف؟ أنت تمزح". فكّر بهنري وابشوت، وأدرك لماذا أتى إلى أيسلندا بحثاً عن غودلاوغور؛ بحثاً عن أسطواناته. لم يكن إعجابه بغلمان الجوقات هو الذي أثار اهتمامه فقط كما جعله يعتقد. فهِم إرليندور لماذا دفع لغودلاوغور نصف مليون قبل أن يتأكّد حتّى من وجود الأسطوانات.

قال ماريون بريم: "ممّا عرفتُه حتّى الآن، لم يُسجّل الصبيّ سوى أسطوانتَين. وما يزيد من قيمتهما، إلى جانب صوت الغلام الرائع، هو أنّ نسخاً قليلة جداً صُنعت، وبالكاد بيعت. فقلّة من الناس يملكون تلك النسخ اليوم".

"وهل لغنائه أهميّة؟".

"يبدو ذلك، ولكنّ القاعدة هي أنّ نوعيّة الموسيقى ونوعيّة محتوى الأسطوانة أقلّ أهميّة من حالتها. فقد تكون الموسيقى سيّئة، ولكن إن احتوت على المغنّي المناسب مع الأغنية المناسبة والصنف المناسب في الوقت المناسب، فإنّها لا تقدّر بثمن. لا أحد يهتمّ بالناحية الفنيّة وحسب".

"وماذا حدث للنسخ؟ هل تعرف؟".

"ضاعت. ضاعت على مرّ السنوات أو تمّ التخلّص منها ببساطة. فهذا يحدث. على الأرجح، لم يكن ثمّة أكثر من مئتي نسخة منها. فما يزيد من قيمة تلك الأسطوانات هو وجود عدد قليل منها في العالم. كما أنّ مدّة حياته المهنية القصيرة تساهم في ذلك. فكما فهمت، خسر صوته ولم يعد يغنّي مجدّداً".

قال إرليندور: "حدث ذلك خلال حفلة موسيقية، لسوء حظّ الصبيّ".

"وبعد عقود من الزمن عُثر عليه مقتولاً".

"إن كانت تلك الأسطوانات تساوي مئات الآلاف...".

"ماذا؟".

"ألا يعتبر ذلك دافعاً كافياً لقتله؟ فقد وجدنا نسخة عن كلّ أسطوانة في غرفته، ولم يكن ثمّة شيء آخر".

قال ماريون بريم: "إذاً فالشخص الذي طعنه لم يدرك قيمتهما".

"وإلاّ لكان سرقهما؟".

"ما نوع تينك النسختين؟".

أجاب إرليندور: "إنهما أصليتان، لا توجد أيّ بقعة أو تغضّن على غلافيهما، ويبدو أنّهما لم تستعملا قط...".

ثم نظر إلى ماريون بريم.

"هل من الممكن أن يكون غودلاوغور قد احتفظ بجميع النسخ؟".

سأله ماريون: "لِمَ لا؟".

"عثرنا على مفتاحين في غرفته، ولكننا لم نعرف ماذا يفتحان. أين يمكن أن يكون قد احتفظ بالنسخ الباقية؟".

قال ماريون: "قد لا تكون كثيرة، ربّما احتفظ بعدد منها فقط. فمن يمكن أن يملكها غير غلام الجوقة نفسه؟".

أجاب إرليندور: "لا أدري. اعتقلنا جامع أسطوانات أتى من بريطانيا لمقابلة غودلاوغور. إنّه عجوز أبله وغامض، حاول الهرب منّا، وهو يقدّر غلام الجوقة السابق. يبدو أنّه الشخص الوحيد الذي يدرك قيمة أسطوانات غودلاوغور".

سأله ماريون بريم: "أهو مجنون؟".

"يقوم سيغوردور أولي بالتأكّد من ذلك". أضاف: "كان غودلاوغور سانتا الفندق". وكأنّها وظيفة رسميّة هنا.

ظهرت ابتسامة على وجه ماريون العجوز.

"عثرنا أيضاً على ملاحظة في غرفة غودلاوغور كُتب عليها هنري والساعة 18:30، وكأنّه موعد ذهب إليه أو يتعيّن عليه الذهاب إليه في ذلك الوقت. قال هنري وابشوت إنّه التقاه عند الساعة السادسة والنصف من اليوم الذي سبق الجريمة".

صمت إرليندور وغرق في أفكاره.

سأله ماريون: "ما الذي تفكّر فيه؟".

"قال لي وابشوت إنّه دفع لغودلاوغور نصف مليون كرونور ليُثبِت له أنّه جادّ في الصفقة، أو شيء من هذا القبيل. ربّما كان المال موجوداً في الغرفة عندما تعرّض للاعتداء".

"هل تعني أنّ القاتل شخص يعرف تفاصيل الصفقة التي تمّت بين وابشوت وغودلاوغور؟".

"هذا محتمل".

"جامع أسطوانات آخر؟".

"ربّما، لا أعرف. فوابشوت غريب الأطوار. أعرف أنّه يُخفي شيئاً عنّا، يتعلّق إمّا به أو بغودلاوغور".

"وبالطبع لم يكن المال موجوداً عندما عثرتم عليه".

"صحيح".

"عليّ الذهاب". وقف ماريون، وكذلك إرليندور. "بالكاد أستطيع احتمال نصف نهار في الخارج، أنا منهك. كيف حال ابنتك؟".

"إيفا؟ لا أعرف، لا أظنّ أنّها بخير".

"ربّما يجدر بك تمضية الميلاد معها".

"أجل، ربّما".

"وماذا عن حياتك العاطفية؟".

"توقّف عن الحديث عن حياتي العاطفية". قال إرليندور ذلك وتحوّلت أفكاره إلى فالغردور. أراد الاتّصال بها، ولكنّه لم يجد الشجاعة للقيام بذلك. ماذا يفترض به أن يقول؟ ما شأنها بماضيه؟ ما شأن أيّ كان بحياته؟ من السخيف أن يطلب منها الخروج معه هكذا، لا يعرف ما الذي دهاه.

قال ماريون: "سمعت أنّك تناولت العشاء مع امرأة، وهذا لم يحدث منذ سنوات على حدّ علمنا".

سأله إرليندور مذهولاً: "من أخبرك بذلك؟".

سأله ماريون بدوره من دون أن يجيب: "من هي تلك المرأة؟ سمعت أنّها جذّابة".

أجابه بفظاظة: "لا توجد امرأة". ثمّ مشى مبتعداً. راقبه ماريون بريم، ثمّ خرج ببطء من الفندق وهو يكتم ضحكه.

في الطريق إلى البهو، راح إرليندور يتساءل كيف يمكنه اتّهام رئيس الطهاة بالسرقة بشكل لائق، ولكنّ ماريون شتّت تفكيره. لذا، أخذ الرجل جانباً في المطبخ، ولم تعد لديه ذرّة من التعقّل.

سأله مباشرة: "هل أنت لصّ؟ وجميع من في المطبخ؟ هل تسرقون كلّ ما ليس مثبّتاً في الأرض؟".

"ماذا تعني؟".

"أعني أنّ سانتا قد يكون طُعن حتّى الموت لأنّه اكتشف أمر عمليّة اختلاس كبيرة تدور في هذا الفندق. ربّما طُعن لأنّه عرف من يدير عمليّة الاحتيال، ربّما زحفت إلى غرفته في القبو وطعنته حتّى الموت لكي لا ينكشف أمركم. ما رأيك بهذه النظريّة؟ وسرقتَه في أثناء القيام بذلك".

حدّق الطاهي إلى إرليندور، واحتجّ قائلاً: "أنت مجنون".

"هل تسرق من المطبخ؟".

سأله الطاهي بصوت جدّي: "مع من كنتَ تتحدّث؟ من ملأ رأسك بالأكاذيب؟ هل هو شخص من الفندق؟".

"هل أخذوا عيّنة من لعابك؟".

"من قال لك؟".

"لماذا لم توافق على إعطاء عيّنة؟".

"فعلتُ ذلك في النهاية. أعتقد أنّك متخلّف، كيف تأخذ عيّنات من جميع موظّفي الفندق؟ لماذا؟ لجعلنا نبدو جميعنا وكأنّنا عصبة من المجرمين؟ ثمّ تأتي وتنعتني باللصّ. أنا لم أسرق قطّ، ولا حتّى زهرة قرنبيط من هذا المطبخ! من أخبرك بتلك الأكاذيب؟".

"إن كان سانتا يملك شيئاً ضدّكم، ويعرف بأعمال السرقة، فهل من الممكن أن يكون قد ابتزّك لتقديم خدمات له؟ مثل -".

صاح رئيس الطهاة: "اصمت! أهو القوّاد؟ من أخبرك بهذه الأكاذيب؟".

شعر إرليندور أنّ الطاهي على وشك ضربه. اقترب منه إلى أن أوشك وجهاهما على التلامس، ومالت قبّعة الطاهي إلى الأمام.

همس الطاهي: "أهو ذلك القوّاد الحقير؟".

"من تقصد؟".

أجاب الطاهي وهو يصرّ على أسنانه: "ذلك المدير الحقير البدين".

بدأ هاتف إرليندور يرنّ في جيبه. نظرا إلى بعضهما، ولم يكن أيّ منهما مستعداً للتراجع. أخيراً، أخرج إرليندور هاتفه، بينما ابتعد الطاهي وهو يغلي غضباً.

كان رئيس فريق الطبّ الشرعي هو المتّصل.

قال لإرليندور: "أتّصل بخصوص اللعاب".

"أجل، هل عرفتم صاحبه؟".

"كلاّ، ما زلنا بعيدين عن ذلك، ولكنّنا فحصناه بدّقة أكبر، أعني التركيبة، ووجدنا آثار تبغ".

"تبغ؟ هل تعني تبغ الغليون؟".

"حسناً، إنّه أقرب إلى مضغة التبغ".

"مضغة؟ لا أفهم".

"إنّها التركيبة الكيميائية. كان من الممكن شراء مضغة التبغ من المتاجر في الماضي ولكنّني لست واثقاً من أنّ هذا الأمر ما زال ممكناً. ربّما في محلاّت الحلوى، ولكنّني لا أعرف إن كان بيعه ما زال مسموحاً. نحتاج إلى التحقّق من ذلك. يوضَع تحت الشفة، إمّا في كتلة أو في قطعة شاش، لا بدّ من أنّك سمعتَ به".

ركل الطاهي باب خزانة وراح يشتم.

قال إرليندور: "أنت تتحدّث عن مضغ التبغ. هل ثمّة آثار لتبغ ممضوغ في العيّنة التي أخذتموها".

أجاب الصوت: "تماماً".

"ماذا يعني ذلك إذاً؟".

"أنّ الشخص الذي كان مع سانتا يمضغ التبغ".

"وماذا نكسب من معرفة ذلك؟".

"لا شيء. ومع ذلك، ظننت أنّك ترغب بالمعرفة. وثمة أمر آخر، كنتَ تسأل عن نسبة الكورتيزول في اللعاب".

"أجل".

"ليست مرتفعة، في الواقع هي طبيعيّة تماماً".

"ماذا يعني ذلك؟ كان كلّ شيء هادئاً على تلك الجبهة؟".

"تشير معدّلات الكورتيزول المرتفعة إلى ارتفاع في ضغط الدم ناتج عن الإثارة أو التوتّر. والشخص الذي كان مع الحارس كان هادئاً طيلة الوقت. لا توتّر، ولا إثارة. لم يكن هناك ما يخشيانه".

قال إرليندور: "إلى أن حدث شيء ما".

"أجل، إلى أن حدث شيء ما".

أنهيا المكالمة وأعاد إرليندور الهاتف إلى جيبه. وقف رئيس الطهاة يحدّق إليه.

سأله إرليندور: "هل تعرف شخصاً هنا يمضغ التبغ؟".

صاح الطاهي: "اغرب عن وجهي!".

أخذ إرليندور نفساً عميقاً، ثمّ راح يفرك وجهه متعباً. فجأة رأى صورة أسنان هنري وابشوت المشوّهة ببقع التبغ.

20

سأل إرليندور عن مدير الفندق في مكتب الاستقبال، فقيل له إنّه خرج لبعض الوقت. رفض رئيس الطهاة شرح السبب الذي دفعه إلى نعت المدير بصفات بذيئة. لم يسبق لإرليندور أن التقى شخصاً بمثل هذه الطباع من قبل سوى نادراً. لا بدّ من أنّ الطاهي قد أدرك أنّ شيئاً ما أفلت منه في أثناء موجة غضبه. كلّ ما استطاع إرليندور معرفته منه هو بعض الملاحظات عن الخداع والاستغلال، بما أنّ الرجل كان على أرضه في المطبخ. لكي يتعادل معه ويغيظه أكثر، فكّر إرليندور بالطلب من أربعة من عناصر الشرطة المجيء إلى الفندق وأخذه لاستجوابه في مركز الشرطة في هفيرفيسغاتا.

ولكنه بعدما قلّب الفكرة في ذهنه لبعض الوقت، قرّر وضعها جانباً في الوقت الحاضر.

عوضاً عن ذلك، صعد إلى غرفة هنري وابشوت، وكسر الختم الذي وضعته الشرطة على الباب. حرص فريق الطبّ الشرعي على عدم تحريك أيّ شيء. وقف إرليندور ساكناً لوقت طويل، وهو يُجري مسحاً بصرياً على المكان. كان يبحث عن غلاف ما لعلبة تبغ مخصّص للمضغ.

كانت غرفة مزدوجة مع سريرَين مفردَين. كان كلاهما غير مرتّبَين، وكأنّ وابشوت نام على الاثنين أو استقبل ضيفاً في الليل. كان على إحدى الطاولات جهاز قديم لتشغيل الأسطوانات مرتبط بمكبّرَين صغيرَين للصوت، وعلى الأخرى تلفاز بحجم 14 إنشاً وجهاز فيديو، مع شريطَي فيديو قربه. وضع إرليندور واحداً منهما في الجهاز وشغّل التلفاز، ولكنّه أطفأه حالما ظهرت الصورة. كانت أوسب محقّة بخصوص ذلك.

فتح الدرج الموجود في الطاولة المحاذية للسرير، وألقى نظرة متفحّصة على حقيبة وابشوت، ثمّ تفحّص الخزانة ودخل إلى الحمّام، ولكنّه لم يجد تبغاً للمضغ في أيّ مكان. نظر إلى سلّة المهملات، ووجدها خالية.

قال سيغوردور أولي، الذي ظهر في الغرفة فجأة: "كانت إلينبورغ على حقّ".

التفت إليه إرليندور، وسأله: "ماذا تعني؟".

قال سيغوردور أولي وهو ينظر إلى الغرفة: "أرسلت لنا شرطة لندن بعض المعلومات حوله أخيراً".

قال إرليندور: "أنا أبحث عن مُضَغ تبغ، فقد وجدوا آثاراً لها في

تحليل اللعاب".

"أظنّ أنّني أعرف لماذا لا يريد منّا الاتّصال بالسفارة أو بمحامٍ، ويتمنّى انتهاء هذا الأمر بأسرع ما يمكن". ثمّ بدأ يخبره بالمعلومات التي حصل عليها من شرطة لندن عن جامع الأسطوانات.

هنري وابشوت، أعزب من دون أطفال، وُلد عشية الحرب العالمية الثانية، عام 1938، في ليفربول. تملك أسرة أبيه عدّة عقارات قيّمة في المدينة. تعرّض بعضها للقصف خلال الحرب، ثمّ أعيد بناؤها كمنازل سكنيّة ومكاتب فخمة، وهذا ما أمّن له درجة من الثراء. لم يحتج وابشوت إلى العمل مطلقاً. كان طفلاً وحيداً، تلقّى أفضل تعليم، في إيتون وأوكسفورد، ولكنّه لم يحصل على شهادته. عندما توفّي والده تولّى أعمال العائلة. ولكن خلافاً للرجل العجوز، لم يهتمّ بإدارة الأملاك، ولم يعد يحضر سوى الاجتماعات الهامّة، إلى أن توقّف عن ذلك أيضاً وسلّم جميع أعماله إلى المديرين العاملين لديه.

عاش دائماً في منزل أبوَيه، واعتبره الجيران شخصاً شديد الانغلاق على نفسه. فهو لطيف ومهذّب ولكنّه غريب ومنعزل. انصبّ اهتمامه الوحيد على جمع الأسطوانات، وملأ منزله بألبومات اشتراها من تركات الأموات أو من الأسواق. سافر كثيراً بسبب هوايته تلك، ويقال إنّه يملك أكبر مجموعات الأسطوانات الخاصّة في بريطانيا.

أُدين مرّتَين في قضايا جنائيّة، واسمه مدوّن في سجلّ المجرمين لدى شرطة لندن. في المرّة الأولى، سُجن بتهمة الاعتداء على صبيّ في الثانية عشرة من عمره. كان الولد جاراً لوابشوت، وعرفا بعضهما من خلال ولعهما المشترك بجمع الأسطوانات. وقعت الحادثة في منزل أهل وابشوت، وعندما عرفت الأم بسلوك ابنها، أُصيبت بانهيار عصبي. فقد انتشر النبأ في وسائل الإعلام البريطانية، لا سيّما في المجلاّت التي صوّرت وابشوت، ابن الطبقة الثريّة، كوحش آدميّ. وكشفت التحقيقات أنّه كان يدفع مبالغ كبيرة للأولاد والشباب لقاء خدمات مشينة.

عندما أنهى مدّة سجنه، كانت أمّه قد توفّيت. فباع منزل أبوَيه، وانتقل إلى حيّ آخر. بعد بضع سنوات، عادت الصحف للتحدّث عنه عندما كشف ولدان في أوائل سنّ المراهقة كيف عرض عليهما وابشوت المال. عندما عُرفت تلك المسألة، كان وابشوت في بادن بادن في ألمانيا، وتمّ اعتقاله في فندق بريئرز.

لم يتمّ إثبات التهمة الثانية، وانتقل وابشوت إلى تايلاند، ولكنّه احتفظ

بجنسيّته البريطانية وبمجموعة من أسطواناته في المملكة المتّحدة، التي غالباً ما كان يزورها في أثناء رحلاته لجمع الأسطوانات. وكان يستعمل هناك شهرة والدته، وابشوت. أمّا اسمه الحقيقي فهو هنري ويلسون. لم تُوّجه إليه أيّ تهمة منذ أن هاجر بريطانيا، ولكنّ ما يفعله في تايلاند ليس معروفاً.

قال إرليندور عندما أنهى سيغوردور أولي تقريره: "ليس من المستغرب إذاً عدم رغبته في إعطاء تفاصيل عن حياته".

قال سيغوردور أولي: "يبدو شخصاً بالغ الانحراف، لا عجب في أنّه اختار تايلاند".

سأله إرليندور: "هل لديهم شيء ضدّه في الوقت الحالي؟ أعني شرطة لندن؟".

قال سيغوردور أولي: "كلاّ، ولكنّني واثق من أنّهم سعداء بالتخلّص منه".

كانا قد رجعا إلى الطابق الأرضي ودخلا المقهى الصغير.

كانت طاولة "البوفيه" مليئة بالأطعمة. وغصّت القاعة بالسيّاح المبتهجين الذين بدا عليهم السرور بكلّ ما رأوه وفعلوه، وكانت خدودهم متورّدة، وهم يرتدون الملابس الأيسلندية التقليدية.

سأل إرليندور: "هل وجدت حساباً مصرفيًّا باسم غودلاوغور؟". أشعل سيجارة ونظر حوله ليلاحظ أنّه المدخّن الوحيد في المقهى.

أجاب سيغوردور أولي وهو يرتشف شرابه: "لم أسأل عن ذلك بعد".

ظهرت إلينبورغ عند الباب، فلوّح لها سيغوردور أولي. هزّت رأسها وشقّت طريقها بين الموجودين نحوهما. اشترت كوباً من الشراب وجلست معهما. أعطى سيغوردور أولي إلينبورغ ملخّصاً عن تقرير شرطة لندن، فابتسمت.

قالت: "عرفتُ ذلك".

"ماذا؟".

"أنّ دافعه للاهتمام بغلمان الجوقات مشين، وكذلك اهتمامه بغودلاوغور بالتأكيد".

قال سيغوردور أولي: "هل تعنين أنّه كان يمرح مع غودلاوغور في الأسفل؟".

قال إرليندور: "ربّما أُجبر غودلاوغور على المشاركة، فأحدهم كان يحمل سكّيناً".

تنهّدت إلينبورغ قائلة: "يا لها من طريقة مسلّية لتمضية الميلاد! فيما نحن نحاول جمع أجزاء هذه الأحجية".

قال إرليندور وهو ينهي شرابه: "هذا ليس حديثاً ملائماً لفتح الشهيّة". أراد كأساً أخرى. نظر إلى ساعته. لو كان في مكتبه لكان قد أنهى عمله الآن. كان المقهى أقلّ ازدحاماً، فلوّح للنادل.

"لا بدّ من أنّه كان ثمّة شخصان على الأقلّ معه هناك". نظر سيغوردور أولي إلى إلينبورغ وأدرك أنّه ذهب بعيداً بعض الشيء.

قالت إلينبورغ: "الأمور تتحسّن مع الوقت".

قال إرليندور: "وتُفسد طعم كعك الميلاد".

قال سيغوردور أولي: "حسناً، ولكن لماذا طعن غودلاوغور؟ ليس مرّة، بل تكراراً، وكأنّ القاتل فقد السيطرة على نفسه. لا بدّ من أنّ أمراً ما قد حدث أو قيل في غرفة القبو؛ مما جعل ذلك الفاسد يخرج عن طوعه".

كان إرليندور على وشك أن يطلب الطعام، ولكنّ زميلَيه رفضا، ونظرا إلى ساعتيهما؛ الميلاد يقترب.

قال سيغوردور أولي: "أظنّ أنّ امرأة كانت معه هناك".

قال إرليندور: "تمّ فحص معدّل الكورتيزول في اللعاب، وتبيّن أنّه طبيعي. إن كانت هناك امرأة مع غودلاوغور، فلا بدّ من أنّها قد ذهبت في الوقت الذي قُتل فيه".

قالت إلينبورغ: "لا أظنّ أنّ هذا محتمل، نظراً إلى الوضع الذي وجدناه فيه".

قال إرليندور: "أيًّا يكن الشخص الذي كان بصحبته في الغرفة، فهو لم يُجبَر على فعل شيء، أظنّ أنّ هذا مؤكّد. لو أنّ معدّل الكورتيزول كان مرتفعاً، لدلّ ذلك على إثارة أو توتّر في الجسد".

قال سيغوردور أولي: "إذاً، كانت مومساً تقوم بعملها".

سألته إلينبورغ: "ألا يمكننا التحدّث في موضوع آخر؟".

قال إرليندور: "ربّما كانوا ينهبون الفندق واكتشف سانتا أمرهم".

سأله سيغوردور أولي: "ولهذا السبب قُتل؟".

"لا أدري. ربّما يشكّل الفندق مسرحاً لعمليات مشينة في الخفاء، وبالتواطؤ مع المدير. لم أكتشف بعد جميع الحقائق، ولكنّنا بحاجة إلى التأكّد من هذه الأمور".

سألته إلينبورغ: "وهل لغودلاوغور علاقة بها بأيّ شكل من الأشكال؟".

قال سيغوردور أولي: "نظراً إلى الحالة التي عُثر عليه فيها، لا يمكننا استبعاد هذا الاحتمال".

سألها إرليندور: "كيف تسير الأمور في قضيّتك؟".

أجابت إلينبورغ، وهي ترتشف شرابها: "لم يكشف وجهه شيئاً في قاعة المحكمة".

سألها سيغوردور أولي، الذي كان مطّلعاً هو الآخر على ملابسات القضيّة: "لم يشهد الطفل بعد ضدّ أبيه، أليس كذلك؟".

قال إرليندور: "ما زال الطفل المسكين صامتاً، وذاك النذل لم يغيّر أقواله. ما زال يُنكر أنّه اعتدى بالضرب على ابنه، ولديه محامون ماهرون أيضاً".

"إذاً، سيستعيد ابنه؟".

"هذا محتمل".

سألها إرليندور: "وماذا عن الولد؟ هل يريد العودة؟".

أجابت إلينبورغ: "هذا أغرب جزء في القصّة، فهو ما زال متعلّقاً بأبيه، ويشعر وكأنّه يستحقّ ما حدث".

صمت الثلاثة.

سألته إلينبورغ: "هل ستمضي الميلاد في هذا الفندق يا إرليندور؟". كان في صوتها نبرة اتّهام.

قال إرليندور: "كلاّ، أعتقد أنّني سأعود إلى البيت. سأمضي بعض الوقت مع إيفا ليند وأعدّ وجبة من لحم الحمل المسلوق".

سألت إلينبورغ: "كيف حالها؟".

أجاب إرليندور: "لا بأس، إنها بحال جيّدة على ما أظنّ". شعر أنّهما عرفا أنّه يكذب، فهما يدركان المشاكل التي وقعت فيها ابنته ولكنّهما نادراً ما يتناقشان فيها معه. فهما يعرفان أنّه لا يحبّ مناقشتها ولا يسألانه أبداً عن التفاصيل.

قال إرليندور: "أتساءل عن جامع الأسطوانات ذاك".

قالت إلينبورغ: "ماذا عنه؟".

قال: "ألا يبدأ هذا المَيل منذ الصغر؟ صحيح أنّني لا أعرف عنه شيئاً، فأنا لم أجمع أيّ شيء في حياتي، ولكن ألا يظهر هذا الاهتمام منذ الطفولة، عندما يبدأ المرء بجمع البطاقات والطوابع وبرامج المسرح والأسطوانات؟ معظم الناس يقلعون عن هذه العادة، ولكنّ بعضهم يستمرّون بجمع الكتب والأسطوانات حتى آخر حياتهم".

"ماذا تحاول أن تقول؟".

"أتساءل عن جامعي الأسطوانات أمثال وابشوت، مع أنّهم ليسوا جميعاً منحرفين مثله بالطبع، وما إذا كانت هواية الجمع تلك مرتبطة بتوق إلى شباب ضائع، وبحاجة إلى الاحتفاظ بشيء كان سيختفي من حياتهم ولكنّهم أرادوا استبقاءه لأطول مدّة ممكنة. أليس جمع الأشياء محاولة للاحتفاظ بشيء من الطفولة؟ بشيء له علاقة بالذكريات، وهم لا يريدون التخلّي عنه بل يواصلون تنميته وتغذيته بهذا الهوس؟".

سألته إلينبورغ: "تعني أنّ جمع وابشوت لأسطوانات، وغلمان الجوقات، نوع من الحنين إلى الشباب؟".

قال سيغوردور أولي: "وعندما يظهر الحنين إلى الشباب أمام عينَيه بلحمه ودمه في هذا الفندق، يثور شيء في داخله؟ الصبيّ الذي تحوّل إلى كهل، أهذا ما تعنيه؟".

"لا أدري".

راقب إرليندور السيّاح قرب المشرب بشرود، ولاحظ كهلاً آسيوي المظهر وأميركي اللهجة. كان يحمل كاميرا فيديو جديدة ويصوّر أصدقاءه. خطر لإرليندور فجأة أنّه لا بدّ من وجود كاميرات مراقبة في الفندق، ولكنّ مدير الفندق لم يأتِ على ذكر ذلك، لا هو ولا مدير الاستقبال. نظر إلى سيغوردور أولي وإلينبورغ.

سألهما: "هل سألتما ما إذا كانت هناك كاميرات مراقبة في هذا الفندق؟".

نظرا إلى بعضهما.

سألها سيغوردور أولي: "أما كنتِ تنوين ذلك؟".

أجابت إلينبورغ: "لقد نسيت، في زحمة الميلاد وكلّ هذا. غاب الأمر عن ذهني تماماً".

نظر مدير الاستقبال إلى إرليندور وهزّ رأسه. قال إنّ الفندق يملك سياسة حازمة جداً في هذه المسألة. لم تكن هناك كاميرات مراقبة في مبنى الفندق، لا في البهو، ولا في المصاعد، ولا في الأروقة، ولا في الغرف؛ وبالتأكيد ليس في الغرف.

قال المدير بجدّية: "وإلاّ لما كان لدينا نزلاء على الإطلاق".

قال إرليندور بشيء من الخيبة: "أجل، خطر لي ذلك". كان يأمل أن تكون الكاميرات قد التقطت شيئاً لا ينسجم مع الروايات والإفادات، وما

اكتشفته الشرطة حتّى الآن.

ابتعد عن مكتب الاستقبال متوجّهاً إلى المقهى عندما ناداه المدير مجدّداً.

"ثمّة مصرف في الجناح الجنوبي، في الجهة الأخرى من المبنى. توجد هناك محالّ لبيع التذكارات ومصرف، ويمكن دخول الفندق من هناك. القليل من الناس يستعملون ذلك الباب للدخول. وللمصرف كاميرات أمان، ولكنّها بالكاد تصوّر أشخاصاً آخرين غير زبائن المصرف".

كان إرليندور قد لاحظ المصرف ومحالّ التذكارات، فذهب مباشرة إلى هناك، ولكنّ المصرف كان مقفلاً. نظر إلى الأعلى، ورأى عيناً خفيّة لكاميرا فوق الباب. كان المصرف خالياً من الموظّفين. طرق على الباب الزجاجي بقوّة إلى أن اهتزّ، ولكنّ أحداً لم يجبه. وفي النهاية، تناول هاتفه وأصرّ على إحضار مدير المصرف.

وبانتظار وصوله، راح إرليندور يتأمّل التذكارات التي تباع بأسعار باهظة: إذ كانت هناك أطباق رُسم عليها شلال غولفوس ونبع جيسير الحارّ، ورسم منحوت لتور مع مطرقته، وحلقات مفاتيح مع فراء ثعلب، وملصقات تصوّر حيتان على الشاطئ الأيسلندي، وسترة من جلد الفقمة يبلغ ثمنها راتب شهر. فكّر بشراء تذكار لأيسلندا السياحية التي لا تتواجد سوى في أذهان الأجانب الأثرياء، ولكنّه لم يرَ شيئاً يباع بثمن بخس.

كانت مديرة المصرف، وهي امرأة في الأربعين من عمرها تقريباً، ذاهبة إلى حفلة ميلاد، ولم تسرّ لقطع رحلتها. في البداية، ظنّت أنّ المصرف تعرّض للسرقة. لم يقل لها أحد ما الذي يجري عندما طرق شرطيّان يرتديان الزيّ الرسمي باب منزلها وطلبا منها مرافقتهما. حدّقت إلى إرليندور الواقف أمام المصرف وهو يشرح لها أنّه يحتاج إلى مشاهدة أفلام كاميرات المراقبة. أشعلت سيجارة جديدة بعقب سيجارتها القديمة وفكّر إرليندور أنّه لم يلتقِ منذ سنوات بمدخّنة متمرّسة مثلها.

"ألم يكن بالإمكان تأجيل هذا الأمر حتّى الصباح؟". طرحت سؤالها ببرود، وشعر وكأنّه يسمع قطع الثلج تتساقط من كلماتها. فكّر أنّه لا يتمنّى أن يدين بالمال لهذا المرأة.

قال إرليندور مشيراً إلى السيجارة: "هذه الأشياء ستقتلك".

أجابت: "لم تقتلني بعد. لماذا جررتني إلى هنا؟".

أجاب: "بسبب الجريمة التي وقعت في الفندق".

"وماذا إذاً؟". لم يبدُ أنها تأثّرت بوقوع جريمة.

أجاب: "نحاول تسريع التحقيق". ولكن، لم يكن لكلامه أيّ جدوى.

قالت: "يا لها من مسرحيّة سخيفة!". وأمرَت إرليندور باللحاق بها إلى الداخل. كان الشرطيّان قد رحلا، وبدا بوضوح أنّهما سعيدان بالتخلّص من المرأة التي أرهقَتهما بشكواها طوال الطريق. قادته عبر مدخل الموظّفين، واستخدمت بطاقتها لفتح الباب طالبة منه الإسراع.

كان فرعاً صغيراً، وكان يوجد في مكتبها أربع شاشات مرتبطة بكاميرات المراقبة: واحدة خلف كلّ أمينَي صندوق، وفي قاعة الانتظار، وفوق المدخل. شغّلت الشاشات وشرحت لإرليندور أنّ الكاميرات تعمل ليلاً ونهاراً، وأنّه يتمّ الاحتفاظ بالأشرطة لمدّة ثلاثة أسابيع قبل أن يتمّ التسجيل عليها مجدّداً. كانت أجهزة التسجيل في غرفة صغيرة تحت المصرف.

كانت المديرة قد بدأت بسيجارتها الثالثة عندما قادته إلى الطابق السفلي وأشارت إلى الأشرطة التي تحمل التواريخ وأماكن الكاميرات، والموضوعة في خزنة مقفلة.

قالت: "يأتي حارس إلى هنا من المصرف يوميًّا ويهتمّ بكلّ ذلك. لا أعرف كيفيّة استخدامها وأرجو منك عدم العبث بشيء لا يعنيك".

قال إرليندور بتواضع: "شكراً. أريد البدء من يوم ارتكاب الجريمة".

قالت، وهي ترمي عقب سيجارتها على الأرض وتدوس عليه بمهارة: "تفضّل".

وجد التاريخ الذي يريده على شريط يحمل عنوان المدخل فوضعه في جهاز الفيديو الموصول بتلفاز صغير. فهو لا يظنّ أنّه بحاجة إلى مشاهدة أشرطة أميني الصندوقين.

نظرت مديرة المصرف إلى ساعتها الذهبية، وقالت محتجّة: "سُجّل على كلّ شريط لمدة أربع وعشرين ساعة كاملة".

سألها إرليندور: "كيف تتدبّرين أمرك في العمل؟".

"ماذا تعني، كيف أتدبّر أمري؟".

"مع التدخين؟ ماذا تفعلين؟".

"وما شأنك أنت؟".

أجابها بسرعة: "لا شأن لي على الإطلاق".

سألته: "لماذا لا تأخذ الأشرطة وحسب؟ لا وقت لديّ لذلك. كان يفترض بي أن أكون في مكان آخر منذ وقت طويل، ولا أنوي البقاء هنا بينما تشاهد كلّ هذه الأشرطة".

قال إرليندور: "أنت محقّة". نظر إلى الأشرطة الموضوعة في الخزانة.

"سآخذ الأسبوع السابق للجريمة، وهذا يعني أربعة عشر شريطاً".
"هل تعرفون من قتل الرجل؟".
أجاب: "ليس بعد".
قالت: "أذكره جيّداً، أعني الحارس. فأنا مديرة هنا منذ سبع سنوات". أضافت ذلك من باب التفسير. "لطفه البالغ لفت انتباهي".
"هل تحدّث معك مؤخّراً؟".
"لم أتحدّث معه إطلاقاً، ولو كلمة واحدة".
"هل هذا مصرفه؟".
"كلاّ، لم يكن يملك حساباً هنا، ليس على حدّ علمي. فأنا لم أرَه قطّ في هذا الفرع. هل كان يملك مالاً؟".

أخذ إرليندور الأشرطة الأربعة عشر إلى غرفته، وطلب إحضار تلفاز وجهاز فيديو. كان قد بدأ بمشاهدة الشريط الأوّل قبيل المساء عندما رنّ هاتفه. كان سيغوردور أولي هو المتّصل.
قال: "علينا إمّا اتّهامه أو إطلاق سراحه. نحن حقاً لا نملك شيئاً ضدّه".
"هل اشتكى؟".
"لم يتفوّه بكلمة".
"هل طلب محامياً؟".
"كلاّ".
"اتّهِمه بمشاهدة أفلام لا يجب أن تعرض أبطالها أطفال".
"هل قلت أفلاماً أبطالها أطفال؟".
"لديه أشرطة في غرفته تحتوي على أفلام أبطالها أطفال. امتلاكها ليس قانونيًّا، ولدينا شاهدة رأته وهو يشاهد تلك القذارة. سنتّهمه بذلك ثمّ نرى. لا أريد أن أتركه يعود إلى تايلاند الآن، فنحن نريد أن نعرف ما إذا كان يتجوّل في المدينة بالفعل يوم مقتل غودلاوغور. دعه يتعفّن في تلك الزنزانة قليلاً، حتّى نرى ماذا سيحدث".

21

جلس إرليندور يشاهد الأشرطة طيلة الليل تقريباً.

وسرعان ما بدأ يسرّع الشريط في الفترات التي لا يمرّ فيها أحد أمام الكاميرا. وكما توقّع، كانت الحركة أمام الفندق تتضاعف في الفترة المتراوحة بين التاسعة صباحاً والرابعة من بعد الظهر، لتنخفض كثافة المرور بقوّة بعد ذلك، كما تصبح أكثر ندرة عندما تغلِق محالّ التذكارات أبوابها عند الساعة السادسة. كان المدخل المؤدّي إلى الفندق مفتوحاً على مدار الساعة. وكان ثمّة صرّاف آلي، ولكنّ الحركة حوله تصبح خفيفة جداً في الليل.

لم يرَ شيئاً يستحقّ الذكر في اليوم الذي قُتل فيه غودلاوغور. كانت وجوه الناس الذين دخلوا إلى البهو واضحة تماماً، ولكنّ إرليندور لم يتعرّف على أيّ منها. عندما عجّل تسجيلات الليل، رأى أشخاصاً يسرعون عبر الباب، ويتوقفون عند الصرّاف الآلي قبل أن يخرجوا بسرعة مجدّداً. وكان ثمّة أشخاص يدخلون الفندق من وقت إلى آخر. أمعن النظر إليهم ولكنّه لم يستطع ربط أيّ منهم بغودلاوغور.

لاحظ أنّ موظّفي الفندق يستخدمون مدخل المصرف. رأى مدير مكتب الاستقبال، ومدير الفندق البدين، وأوسب يُسرعون عبره. وفكّر: لا بدّ من أن أوسب تشعر بالراحة وهي تغادر الفندق بعد يوم كامل من العمل. في لحظة من اللحظات، رأى غودلاوغور يعبر البهو، فأوقف الشريط. كان ذلك قبل ثلاثة أيّام من مقتله. مشى غودلاوغور بمفرده بخطوات بطيئة أمام الكاميرا، نظر إلى داخل المصرف، ثمّ التفت ونظر إلى محالّ التذكارات قبل أن يقفل عائداً إلى الفندق. أعاد إرليندور الشريط وشاهد غودلاوغور ثانية، وثالثة، ورابعة. أحسّ أنّه من الغريب رؤيته حيًّا. أوقف الشريط عندما نظر غودلاوغور إلى المصرف وراقب وجهه الجامد على الشاشة. كان غلام الجوقة بلحمه ودمه، الرجل الذي تمتّع في ما مضى بذلك الصوت الجميل، السوبرانو بصوته الرائع والمؤثّر. لقد أجبر الغلام إرليندور على استرجاع أكثر ذكرياته إيلاماً عندما استمع إليه.

سمع طرقة على الباب، فأطفأ الفيديو وفتح لإيفا ليند.

سألته وهي تمرّ من أمامه: "هل أنت نائم؟ ما هذه الأشرطة؟".

أجاب: "إنّها تتعلّق بالقضية".

"هل توصّلتم إلى شيء؟".

"كلاّ، إطلاقاً".

"هل تكلّمت مع ستينا؟".

"ستينا؟".

"الفتاة التي أخبرتك عنها، ستينا! التي أخبرتك عنها حين كنتَ تسأل عن المومسات والفنادق".

"كلاّ، لم أتكلّم معها. أخبريني، هل تعرفين فتاة في مثل سنّك تدعى أوسب وتعمل في هذا الفندق؟ رأيها في الحياة مشابه لرأيك".

"ماذا تعني؟". عرضت إيفا ليند سيجارة على أبيها، وأشعلتها له، ثمّ ارتمت على السرير. جلس إرليندور أمام المكتب ونظر عبر النافذة إلى ظلام الليل. فكّر أنّه بقيَ يومان للميلاد، وبعدها سيعود إلى حياته الطبيعية.

قال: "إنها سلبيّة جداً".

سألته: "هل تظنّ أنّني سلبيّة حقاً؟".

لم يقل إرليندور شيئاً، فضحكت إيفا ليند ساخرة، وخرج الكثير من الدخان من أنفها.

"وماذا تعتبر نفسك، تجسيداً للسعادة؟".

ابتسم إرليندور.

قالت إيفا: "لا أعرف أحداً يدعى أوسب، ما علاقتها بالقضية؟".

"لا علاقة لها بالقضية، على الأقلّ لا أظنّ ذلك. هي التي عثرت على الجثّة، ويبدو أنّها تعرف بعض الأشياء عمّا يدور في هذا المكان. إنها فتاة ذكيّة، كادحة وسليطة اللسان. تذكّرني بك بعض الشيء".

قالت إيفا: "لا أعرفها". ثمّ غرقت في الصمت، وشردت إيفا ليند في أفكارها، بينما راح ينظر إليها صامتاً هو الآخر، ومرّ الوقت. في بعض الأحيان، لا يجدان ما يقولانه. وفي أحيان أخرى يتجادلان بعنف. إنهما لا يتحدّثان أبداً أحاديث بسيطة عن الطقس، أو الأسعار في المتاجر، أو السياسة، أو الرياضة، أو الملابس، أو أيّ موضوع آخر يتحدّث عنه الناس لتمضية الوقت، فهما يعتبران ذلك ثرثرة تافهة. إنهما لا يتحدّثان إلاّ عن بعضهما، ماضيهما وحاضرهما، عن العائلة التي لم يكن لها وجود قطّ لأنّ إرليندور رحل عنها، وعن حياة إيفا وشقيقها سندري المأساويّة، وحقد أمّهما على إرليندور، تلك كانت الأحاديث المهمّة التي لوّنت كلّ اتّصال بينهما.

كسر إرليندور الصمت فجأة قائلاً: "ماذا تريدين للميلاد؟".

"للميلاد؟".

"أجل".

"لا أريد شيئاً".

"لا بدّ من أنك ترغبين بشيء".

"علام كنتَ تحصل في الميلاد؟ عندما كنتَ صغيراً؟". فكّر إرليندور وتذكّر زوجاً من القفّازات حصل عليه مرّة.

قال: "أشياء صغيرة".

قالت إيفا ليند: "ظننت دائماً أنّ أمّي كانت تشتري لسيندري هدايا أجمل من هداياي. ثمّ توقّفَت عن تقديم الهدايا لي، قالت إنّني أبيعها لشراء المخدّرات. فقد اشترت لي خاتماً مرّة وبعته. هل كان شقيقك يحصل على هدايا أجمل من هداياك؟".

شعر إرليندور بالطريقة الحذرة التي تطرّقت بها إلى الموضوع. فمن عادتها التكلّم مباشرة ومفاجأته بصراحتها. غير أنّها في بعض الأوقات القليلة تحبّ أن تكون حذرة.

عندما كانت إيفا ليند في العناية المركّزة بعد إجهاضها، بسبب إصابتها بالغيبوبة، طلب الطبيب من إرليندور أن يحاول البقاء معها قدر الإمكان والتكلّم معها. ومن المواضيع التي حدّثها عنها كان اختفاء شقيقه ونجاته هو. عندما استعادت إيفا وعيَها وانتقلت للعيش معه، سألها ما إذا كانت تذكر ما قاله لها، ولكنّها لم تكن تذكر شيئاً. أثار سؤاله فضولها فألحّت عليه إلى أن كرّر لها القصّة التي لم يخبر بها أحداً من قبل. فهو لم يكلّمها قطّ عن ماضيه، وهي لم تكلّ من سؤاله عنه، فشعرت أنّها أصبحت أقرب إليه، وعرفته أكثر بقليل، وإن كانت تدرك أنّها لم تفهمه تماماً بعد. فثمّة سؤال واحد لاحَق إيفا دوماً وولّد لديها حقداً وغضباً عليه، وأثّر على علاقتهما أكثر من أيّ شيء آخر. فقد كانت تدرك أنّ الطلاق شائع. فمن الطبيعي أن ينفصل الأزواج، وبعض حالات الطلاق تكون أسوأ من غيرها، وذلك عندما يمتنع الشريكان عن التحدّث مع بعضهما مجدّداً. كانت تدرك ذلك، ولم تلمه عليه. ولكنّها عجزت تماماً عن فهم السبب الذي دفع إرليندور إلى أن يطلّق ولدَيه أيضاً. لماذا لم يهتمّ بهما بعدما رحل. لماذا أهملهما إلى أن بحثت عنه إيفا بنفسها ووجدته وحيداً في مبنًى سكني معتم. سألت أباها عن ذلك، ولكنّه لم يعطها بعد إجابات عن تساؤلاتها.

قال: "هدايا أفضل؟ كانت كلّها متشابهة، كما في أغنية الميلاد القديمة: شمعة ومجموعة من البطاقات. كنّا نرغب في بعض الأحيان بهدايا أكثر إثارة، ولكنّ عائلتنا كانت فقيرة. كان كلّ الناس فقراء في تلك الأيّام".

"وماذا حدث بعدما مات أخوك؟".

لم يقل إرليندور شيئاً.

"إرليندور؟".

قال: "اختفى الميلاد معه".

لم تعد الأسرة تحتفل بالميلاد بعد موت أخيه. مرّ أكثر من شهر على اختفائه، واختفى معه الفرح من المنزل الذي لم تعد تدخله الهدايا والزوّار. كانت أسرة والدة إرليندور معتادة على زيارتهم ليلة الميلاد، فيجتمعون ويغنّون معاً. كان المنزل صغيراً. لذا، كانوا يجلسون فيه قرب بعضهم، ويعمّهم الدفء والنور. ولكنّ أمّه رفضت استقبال الزوّار في ذلك الميلاد. فقد غرق أبوه في حالة اكتئاب عميق، وأمضى معظم أيّامه في الفراش. لم يشارك في البحث عن ابنه، وكأنّه أدرك عدم جدوى ذلك، وكأنّه أدرك فشله. فقد مات ابنه ولم يعد قادراً على فعل شيء، لا هو ولا أيّ شخص آخر، وتلك كانت غلطته وحده.

أمّا أمّه فلم تعرف الكلل. اعتنت جيّداً بإرليندور، وشاركت في عمليّات البحث بنفسها. كانت آخر من يرجعون من الجبال. كانت ترجع منهكة عندما يحلّ الظلام، ولا يعود البحث مجدياً. وكانت تنطلق إلى التلال منذ شروق الشمس. وحتّى عندما أصبح مؤكّداً أنّ ابنها قد فارق الحياة، واصلت البحث بالإصرار نفسه. ولم تُجبَر على الاستسلام إلاّ عندما حلّ الشتاء تماماً وأصبح الثلج مرتفعاً والطقس غدّاراً. حينها فقط واجهت حقيقة موت ابنها في البراري، وأصبح عليها الانتظار حتّى الربيع للبحث عن بقاياه. فكانت تلتفت إلى الجبال كلّ يوم، وتلعنها لأنّها أخذت منها ابنها.

كان مجرّد تخيّل جثّته الممدّدة هناك لا يُحتمل بالنسبة إلى إرليندور الذي بدأ يراه في كوابيس يستيقظ منها وهو يصرخ ويبكي. إذ كان يراه يصارع العاصفة الثلجيّة، مغموراً بالثلج، وظهره الصغير يواجه عويل الرياح والموت إلى جانبه.

لم يفهم إرليندور كيف تمكّن أبوه من البقاء بلا حراك في المنزل بينما اجتهد الجميع في البحث. بدا أنّ الحادثة قصمت ظهره وتركته بلا حياة. فكّر إرليندور بقوّة الحزن، لأنّ أباه كان رجلاً قويًّا ومفعماً بالنشاط، ولكنّ موت ابنه سلبه حبّه للحياة ولم يُشفَ منه قطّ.

لاحقاً، عندما انتهى كلّ شيء، تجادل أبواه للمرّة الأولى والوحيدة حول ما حدث، واكتشف إرليندور أنّ أمّهما لم تشأ أن يذهب الأب إلى الجبل في ذلك اليوم، ولكنّه لم يُصغِ إليها. فقالت له: "بما أنّك ذاهب على أيّ

حال، اترك الولدَين في البيت". ولكنّه لم يعرها أيّ انتباه.

هكذا، لم يعد الميلاد كما كان مطلقاً، وتوصّل الأبوان إلى اتّفاق مع الوقت. لم تذكر أمّه قطّ أنّه تجاهل رغباتها، ولم يذكر الأب مطلقاً أنّ العناد قد استبدّ به ودفعه إلى عدم الإصغاء إليها وهي تناشده بعدم الذهاب، وبعدم أخذ الولدَين. فقد كان الطقس صافياً، وشعر حينها أنّها تتدخّل في ما لا يعنيها. قرّرا عدم التكلّم في ما حدث بينهما، وكأنّ كسر الصمت سيقطع كلّ رابط بينهما. وفي ظلّ هذا الصمت، غذّى إرليندور شعور الذنب الذي لازمه لأنه هو الذي بقيَ على قيد الحياة.

سألته إيفا ليند وهي تلفّ معطفها حول جسدها: "لمَ الجوّ بارد هنا؟".

أجاب: "بسبب جهاز التدفئة، فهو لا يعمل. هل من جديد بشأنك؟".

"لا شيء. أمّي تخرج مع أحد الرجال. التقته في حفلة راقصة في أولفر. لا يمكنك أن تتخيّل كم هو مقرف. أظنّ أنّه ما زال يستعمل بريلكريم، ويسرّح شعره على شكل دائرة، ويرتدي قمصان ذات ياقات ضخمة، ويُطقطق بأصابعه كلّما سمع أغنية سخيفة قديمة تبث عبر المذياع".

ابتسم إرليندور. فأكثر ما تكون ابنته سليطة اللسان هو عندما تصف الرجال الذين تواعدهم أمّها، إذ يبدو أنّهم يصبحون أكثر إثارة للشفقة مع مرور الأعوام.

صمتا مجدّداً.

قالت إيفا فجأة: "أحاول أن أتذكّر كيف كنتُ في الثامنة من عمري. لا أذكر الكثير باستثناء ذكرى مولدي. لا أذكر الحفلة، بل يوم ذكرى مولدي. كنتُ واقفة في المرأب خارج المبنى وعرفتُ أنّه يوم ذكرى مولدي وأنّني بلغتُ الثامنة، وبشكل ما علقَت هذه الذكرى في ذهني، من دون أن أفهم السبب. كلّ ما أذكره هو أنّه كان يوم مولدي وكنتُ في الثامنة".

نظرت إلى إرليندور.

"قلتَ إنّه كان في الثامنة من عمره، عندما مات".

"احتفلنا بذكرى مولده في ذلك الصيف".

"لماذا لم يتمّ العثور عليه مطلقاً؟".

"لا أدري".

"ولكنّه هناك في الجبل؟".

"أجل".

"هيكله العظمي".

"أجل".

"ثماني سنوات".

"أجل".

"هل كان موته ذنبك أنت؟".

"كنتُ في العاشرة من عمري".

"أجل، ولكن...".

"لم يكن ذنب أحد".

"ولكن لا بدّ من أنّك ظننت...".

"ما الذي ترمين إليه؟ إيفا، ماذا تريدين أن تعرفي؟".

قالت إيفا ليند: "لماذا لم تحاول قطّ الاتّصال بي أنا وسيندري عندما رحلتَ عنّا، لماذا لم تحاول أن تكون معنا؟".

"إيفا...".

"لم نكن نستحقّ، أليس كذلك؟".

نظر إرليندور من النافذة بصمت. كان الثلج قد بدأ يتساقط من جديد.

قال أخيراً: "هل تحاولين الجمع بين الأمرَين؟".

"لم أفهم السبب مطلقاً، فخطر لي...".

"أنّ للأمر علاقة بأخي، وبالطريقة التي مات بها. تريدين الجمع بين الاثنين؟".

قالت إيفا: "لا أعلم، فأنا لا أعرفك إطلاقاً. التقيتك منذ عامَين، وكنتُ أنا من عثر عليك. مسألة موت أخيك هي الشيء الوحيد الذي أعرفه عنك باستثناء كونك شرطيًّا. لم أفهم قطّ كيف تمكّنت من التخلّي عنّا أنا وسيندري، نحن ولدَيك".

"تركتُ القرار لأمّكما. ربّما كان يجدر بي التصرّف بحزم أكبر حيال مسألة رؤيتكما، ولكن...".

أنهت إيفا جملته قائلة: "لم تكن مهتمًّا بذلك".

"هذا غير صحيح".

"بلى، بالطبع. لماذا إذاً لم تهتمّ بولدَيك كما كان يجدر بك؟".

لم يقل إرليندور شيئاً بل حدّق إلى الأرض. أشعلت إيفا سيجارتها الثالثة، ثمّ وقفت وتوجّهت نحو الباب وفتحته.

قالت: "ستُقابلك ستينا هنا في الفندق غداً، في وقت الغداء. ستعرفها

حتماً من جراء عمليات التجميل التي قامت بها مؤخراً".

"شكراً على اتّصالك بها".

قالت إيفا: "لا داعي للشكر".

تردّدت عند الباب.

سألها: "ماذا تريدين؟".

"لا أعرف".

"كلاّ، أعني للميلاد".

نظرت إيفا إلى أبيها.

قالت: "أتمنّى لو أنّني أستطيع استعادة طفلتي". وأغلقت الباب خلفها بهدوء.

تنهّد إرليندور وجلس على طرف السرير لوقت طويل قبل أن يستأنف مشاهدة الأفلام. تسارع الناس الذين خرجوا لشراء هدايا الميلاد عبر الشاشة، وكان الكثيرون منهم يحملون الأكياس والحاجيات.

وصل إلى اليوم الخامس قبل مقتل غودلاوغور، وعندما رآها. أغفلها في البداية، ولكنّ صورة لمعت في ذهنه، فأوقف الشريط وأعاد المشهد. لم يكن وجهها هو الذي لفت انتباه إرليندور، بل مشيتها وغطرستها. ضغط على زرّ التشغيل مجدّداً ورآها بوضوح وهي تدخل الفندق. سرّع الشريط، فظهرت بعد نصف ساعة على الشاشة وهي تغادر الفندق وتمرّ من أمام المصرف ومحالّ التذكارات من دون أن تلتفت يميناً أو يساراً.

وقف وحدّق إلى الشاشة.

كانت شقيقة غودلاوغور.

تلك التي لم تقع عيناها على أخيها منذ عقود.

اليوم الخامس

22

كان الوقت متأخرًا عندما أيقظ الضجيج إرليندور في صباح اليوم التالي. استغرق وقتاً طويلاً لينهض بعد ليلة أمضاها بلا أحلام، ولم يعرف في البداية مصدر الجلبة الفظيعة التي تتردّد في غرفته الصغيرة. كان قد أمضى معظم الليل وهو يشاهد عدّة أشرطة، ولكنّه لم يرَ شقيقة غودلاوغور إلاّ في تلك المرّة. لم يصدّق إرليندور أنّها ذهبت إلى الفندق بمحض الصدفة، ولسبب غير لقاء أخيها، الذي ادّعت أنّها لم تلتقِهِ منذ عقود.

لقد اكتشف إرليندور كذبة، وهو أمر قيّم جداً في تحقيق جنائي.

لم يتوقّف الضجيج، إلى أن أدرك إرليندور تدريجيًّا أنّه صادر عن هاتفه. أجاب عليه وسمع صوت مدير الفندق.

قال المدير: "عليك أن تنزل إلى المطبخ، فثمّة شخص يجب أن تتحدّث معه".

سأله إرليندور: "من هو؟".

"شابّ كان في إجازة مرضيّة يوم العثور على غودلاوغور، عليك المجيء".

نهض إرليندور من السرير، وهو ما زال مرتدياً ملابسه. دخل إلى الحمّام، ونظر إلى المرآة، مرّر يدَه على لحيته التي لم تُحلق منذ أيّام، فسمع صوتاً مثل صوت ورق الزجاج عندما يُحفّ على الخشب الخشن. كانت لحيته كثيفة وخشنة مثل لحية أبيه. قبل النزول من غرفته، اتّصل بسيغوردور أولي وطلب منه الذهاب مع إلينبورغ إلى هافنارفيوردور لأخذ شقيقة غودلاوغور للاستجواب. قال إنّه سيلاقيهما في وقت لاحق من ذلك النهار، ولكنّه لم يشرح لماذا أراد التحدّث معها. لم يكن يريد أن يكشف لها شيئاً، بل أراد رؤية تعبير وجهها عندما تكتشف أنّه اكتشف كذبها.

عندما دخل إرليندور إلى المطبخ، رأى مدير الفندق واقفاً مع رجل نحيل جداً في العقد الثاني من عمره. تساءل ما إذا كان تناقضه مع المدير يؤثّر في رأيه به، فمقارنة به يبدو الجميع نحيلي الأجساد.

قال المدير: "ها أنت ذا. سيظنّ الجميع أنّني أتدّخل في التحقيق وأبحث لك عن شهود".

ثمّ نظر إلى موظّفه.

"أخبره بما تعرفه".

بدأ الشابّ يروي الحكاية. كان دقيقاً جداً في التفاصيل، وقال إنّه بدأ

يشعر بالمرض عند الظهيرة تقريباً من اليوم الذي وُجد فيه غودلاوغور في غرفته. أخيراً تقيّأ وبالكاد تمكّن من إيجاد كيس للنفايات في المطبخ.

ألقى الشابّ نظرة مربكة على المدير.

سُمح له بالذهاب إلى البيت، فأوى إلى السرير وهو يعاني من الحمّى والأوجاع. وبما أنّه يعيش وحيداً ولا يشاهد نشرات الأخبار، لم يذكر ما يعرفه لأيّ كان حتّى هذا الصباح، عندما أتى إلى العمل وسمع عن موت غودلاوغور. وبالطبع فوجئ بسماع ما حدث، ومع أنّه لا يعرف الرجل جيّداً، فهو يعمل في الفندق منذ عام تقريباً، وكان يتحدّث معه أحياناً، حتّى إنّه نزل إلى غرفته و -

قاطعه المدير بنفاد صبر: "أجل، أجل، أجل، لا يهمّنا ذلك، داني. تابع القصّة".

"قبل أن أذهب إلى البيت في ذلك الصباح، أتى غولي إلى المطبخ وطلب منّي سكّيناً".

سأله إرليندور: "هل طلب استعارة سكّين من المطبخ؟".

"أجل. في البداية أراد مقصًّا، ولكنّني لم أجد مقصّات، فطلب سكّيناً".

"ولماذا يحتاج إلى مقصّ أو سكّين، هل أخبرك؟".

"أراد إصلاح شيء في زيّ سانتا".

"زيّ سانتا؟".

"لم يذكر التفاصيل، قال فقط إنّه أراد فكّ بعض القطب".

"هل أعاد السكّين؟".

"كلاّ، ليس في أثناء وجودي هنا، فقد تركتُ عند الظهيرة، وهذا كلّ ما أعرفه".

"أيّ نوع من السكاكين أعطيتَه؟".

أجاب داني: "قال إنّه يريد سكّيناً حادّة".

قال المدير وهو يمدّ يدَه إلى أحد الأدراج ويُخرج سكّيناً صغيرة لقطع اللحم، ذات قبضة خشبية ونصل حادّ: "كانت من هذا النوع. فنحن نعطيها للزبائن الذين يطلبون شرائح اللحم التي نعدّها. هل جرّبتها؟ إنّها شهيّة. والسكاكين تمرّ عبرها كالزبدة".

تناول إرليندور السكّين، وتفحّصها، وفكّر في أنّ غودلاوغور قد زوّد قاتله بالسلاح الذي استخدمه للقضاء عليه. تساءل ما إذا كان فكّ قطب البذلة مجرّد حجّة. ربّما كان غودلاوغور يتوقّع مجيء أحد إلى غرفته وأراد الاحتفاظ بالسكّين أو ربّما كانت السكّين موضوعة على الطاولة لأنّه أراد

إصلاح البذلة، وحدث الهجوم بشكل مفاجئ، من دون سابق تصميم، بسبب شيء حدث في الغرفة الصغيرة؟ في تلك الحالة، لم يذهب المجرم إلى غرفة غودلاوغور مسلحاً، أو بهدف قتله.

قال: "أريد أخذ السكّين. علينا أن نعرف ما إذا كان حجمها، ونوع نصلها مطابقين للطعنات. هل هذا ممكن؟".

هزّ مدير الفندق رأسه بالإيجاب.

قال: "أليس ذاك البريطاني هو الفاعل؟ هل وجدتم غيره؟".

قال إرليندور من دون أن يجيبه: "أودّ التحدّث مع داني قليلاً".

هزّ المدير رأسه مجدّداً ولازم مكانه، إلى أن استوعب التلميح وألقى على إرليندور نظرة غاضبة. فهو معتاد على أن يكون محطّ الاهتمام، وعندما وصلته الرسالة، اخترع بصخب مشاغل عليه الاهتمام بها في مكتبه، ثمّ اختفى. ارتاح داني عندما غادر مديره المكان، ولكنّ راحته لم تدم طويلاً.

سأله إرليندور: "هل نزلتَ إلى القبو وطعنتَه؟".

نظر داني إليه مصعوقاً، وأجاب متردّداً وكأنّه غير واثق تماماً من نفسه: "كلاّ". ثمّ أتى السؤال التالي ليسبّب له إرباكاً أكبر.

سأله إرليندور: "هل تمضغ التبغ؟".

"كلاّ، أمضغ التبغ؟ ماذا...".

"هل أعطيتَ عيّنة؟".

"ماذا؟".

"هل تستخدم واقيات؟".

سأله داني، وقد ضاع تماماً: "واقيات؟".

"أليس لديك صديقة؟".

"صديقة؟".

"صديقة تحرص على ألاّ تُصبح حاملاً؟".

لم يقل داني شيئاً.

أخيراً أجاب: "ليست لديّ صديقة". شعر إرليندور بشيء من الأسف في نبرته. "لماذا تطرح عليّ كلّ هذه الأسئلة؟".

"لا تقلق بشأن ذلك. كنتَ تعرف غودلاوغور، أيّ نوع من الرجال كان؟".

"كان رائعاً".

قال داني إنّ غودلاوغور كان مرتاحاً في الفندق ولم يشأ مغادرته، لا

بل خاف من الانتقال منه بعدما صُرف من العمل. كان يستخدم جميع خدمات الفندق، وكان الموظّف الوحيد الذي تمكّن من الاستمرار بذلك لسنوات. إذ كان يأكل طعامه في الفندق من دون أن يتكلّف، ويغسل ملابسه مع "غسيل" الفندق، ولم يدفع قرشاً واحداً لقاء إقامته في غرفة القبو الصغيرة. كانت الوفرة صدمة بالنسبة إليه، ولكنّه قال إنّه قادر على تدبّر أموره إن عاش باقتصاد حتّى إنّه قد لا يضطرّ إلى العمل بعد الآن.

سأله إرليندور: "ماذا عنى بذلك؟".

هزّ داني كتفَيه.

"لا أعلم، فقد كان غامضاً جداً في بعض الأحيان. قال الكثير من الأشياء التي لم أفهمها".

"مثل ماذا؟".

"لا أعرف، أشياء عن الموسيقى. كان يثرثر أحياناً عندما يشرب، ولكنّه كان طبيعيًّا في معظم الوقت".

"هل كان يُكثر من الشراب؟".

"كلاّ، إطلاقاً. فقط في آخر الأسبوع أحياناً. فهو لم يفوّت قطّ يوم عمل، وكان فخوراً بذلك مع أنّ وظيفته ليست مميّزة. فهو مجرّد حارس".

"ماذا قال لك عن الموسيقى؟".

"كان يحبّ الموسيقى الجميلة، لا أذكر تماماً ما قاله".

"برأيك لماذا قال إنّه لم يعد مضطرًّا إلى العمل؟".

"بدا أنّه يملك المال، كما أنّه لا يدفع ثمن أيّ شيء، وهذا يسمح له بالادّخار على الدوام. أظنّ أنّ هذا ما كان يعنيه، أنّه ادّخر مالاً كافياً".

تذكّر إرليندور أنّه طلب من سيغوردور أولي التحقّق من حساب غودلاوغور المصرفي وقرّر تذكيره بذلك. ترك داني في المطبخ في حالة ارتباك، وهو يتساءل عن مضغ التبغ والواقيات والصديقات. وفي أثناء مروره في البهو، وقع نظره على شابّة تتجادل بصخب مع مدير الاستقبال. بدا أنّه يطلب منها الخروج من الفندق، ولكنّها رفضت. خطر لإرليندور أنّها المرأة التي طلبت مالاً من هذا الرجل لقاء الليلة التي أمضاها معها، وكان على وشك متابعة طريقه عندما رأته الشابّة وحدّقت إليه.

نادَته قائلة: "هل أنت الشرطيّ؟".

صاح بها مدير الاستقبال بفظاظة غير معتادة: "اخرجي من هنا".

قالت وهي تتفحّص إرليندور: "تبدو تماماً كما وصفتك إيفا ليند. أنا ستينا، طلبَت منّي التحدّث معك".

جلسا في المقهى، وطلب إرليندور فنجانَين من القهوة. حاول تجاهل مفاتنها، ولكن عبثاً. كانت ترتدي معطفاً طويلاً عسليّ اللون مع ياقة من الفراء، خلعته ووضعته على الكرسيّ ليكشف عن قميص أحمر ضيّق بالكاد يغطّي بطنها، وسروال أسود يكشف أكثر مما يستر. كانت تضع الكثير من مستحضرات التجميل، مع طبقة سميكة من أحمر الشفاه، وكلّما ابتسمت بدت أسنانها الجميلة.

قالت وهي تحكّ جسدها بحذر تحت ثديها الأيمن: "ثلاثمئة ألف، هل كنت تتساءل عن مفاتني؟".

سألها: "هل أنت بخير؟".

أجابت وقد تقلّص وجهها: "إنّها القطب، لا ينبغي لي حكّها كثيراً".

"ماذا -؟".

قاطعته قائلة: "إنّه السيليكون، فقد أجريت عملية تجميل منذ عدّة أيّام".

حاول إرليندور عدم النظر إلى صدرها.

سألها: "كيف تعرّفتِ على إيفا ليند؟".

"قالت إنّك ستسألني عن ذلك، وطلبت منّي القول إنّك لا تريد أن تعرف. وهي على حقّ، ثق بي. قالت لي أيضاً إنّك ستساعدني في مسألة صغيرة، ومن ثمّ أساعدك أنا، هل تعرف ماذا أعني؟".

أجاب: "كلاّ، لا أعرف ماذا تعنين".

"قالت إيفا إنّك ستفعل".

"كانت تكذب. عمّ تتكلّمين؟ مسألة صغيرة، من أيّ نوع؟".

تنهّدت ستينا.

"تمّ اعتقال صديقي مع بعض الحشيش في مطار كيفلافيك. لم يكن يحمل الكثير، ولكنّ الكميّة كانت كافية للحكم عليه بثلاث سنوات ربّما. يعاقبونهم وكأنّهم مجرمون، أولئك الأنذال. القليل من الحشيش، وبعض الأقراص! قال إنّه سيُمضي ثلاث سنوات في السجن. ثلاث سنوات! يحصل المعتدون على الأطفال على ثلاثة أشهر، مع وقف التنفيذ. يا لهم من أوغاد!".

لم يعرف إرليندور كيف يمكن أن يساعدها. كانت أشبه بطفل لا يدرك مدى تعقيد العالم.

"هل تمّ القبض عليه في المطار؟".

"أجل".

قال: "لا أستطيع مساعدته، ولا تشعري أنّه يجب عليك ذلك. هذه ليست صحبة جيّدة. تهريب المخدّرات وأعمال المومسات، ماذا عن وظيفة مكتبيّة مستقيمة؟".

سألته: "ألن تحاول؟ تكلّم مع أحدهم. لا يجب أن يُحكم عليه بثلاث سنوات".

قال إرليندور وهو يهزّ رأسه: "فلنوضح أمراً، هل أنت مومس؟".

قالت ستينا وهي تخرج سيجارة من حقيبة سوداء صغيرة معلّقة بكتفها: "مومس، مومس. أنا أرقص في الماركيز". انحنت إلى الأمام وهمست لإرليندور: "ولكنّ العمل الآخر يدرّ عليّ مالاً أكثر".

"وهل كان لديك زبائن في هذا الفندق؟".

"القليل من الزبائن".

"هل كنتِ تعملين في هذا الفندق؟".

"لم أعمل هنا قطّ".

"أعني هل تختارين زبائنك من هنا أو تحضرينهم من المدينة؟".

"حسبما يحلو لي. كانوا يسمحون لي بالدخول إلى هنا، إلى أن طردني فاتسو".

"لماذا؟".

بدأت ستينا تحكّ تحت ثديَيها مجدّداً بحذر. تقلّص وجهها، وأجبرت نفسها على الابتسام لإرليندور، ولكن من الواضح أنّها لم تكن بخير تماماً.

قالت: "أعرف فتاة خضعت لعملية غير ناجحة، فأصبح ثدياها مثل كيسَين فارغَين".

لم يستطع منع نفسه من السؤال: "هل أنت بحاجة حقاً إلى كلّ هذا؟".

سألته متباهية: "ألا يعجبك؟". ثمّ أضافت وهي تئنّ: "هذه القطب تقتلني".

أقرّ إرليندور قائلاً: "في الواقع، إنّهما... كبيران".

قالت متفاخرة: "وجديدان".

رأى إرليندور مدير الفندق يدخل إلى المقهى مع مدير الاستقبال، ويتوجّه نحوهما مباشرة بكلّ عظمته. التفت حوله ليتأكّد من عدم وجود شخص آخر في المقهى، ثمّ همس لستينا عندما أصبح على بُعد بضعة أمتار منها.

"اخرجي! اخرجي أيّتها الفتاة! اخرجي حالاً!".

نظرت ستينا من خلف كتفها إلى المدير، ومن ثمّ إلى إرليندور، ورفعت رأسها بسأم قائلة: "ربّاه".

صرخ المدير: "لا نريد فتيات مثلك في هذا الفندق".

وأمسك بها وكأنّه ينوي رميَها في الخارج.

قالت ستينا: "اتركني وشأني، أنا أتكلّم مع هذا الرجل".

صاح إرليندور: "انتبه!". نظر إليه مدير الفندق مصدوماً. فأضاف من باب التفسير: "إنّهما جديدان".

وقف في طريق المدير وحاول إبعاده، ولكن بدون جدوى. بذلت ستينا جهدها لتحمي نفسها، بينما وقف مدير مكتب الاستقبال على مسافة منهم، وهو يراقب ما يجري. وفي النهاية، هبّ لمساعدة إرليندور وتمكّنا من إبعاد مدير الفندق الغاضب عن ستينا.

قال وهو يتنفّس بصعوبة: "كلّ شيء... كلّ ما... قالته... عنّي... كذب...!". كان يبدو أنه يبذل مجهوداً كبيراً. فقد تصبّب وجهه عرقاً وأخذ يلهث مع كلّ حركة.

قال إرليندور محاولاً تهدئته: "لم تقل شيئاً عنك".

"أريدها... أن... تخرج... من هنا". وتهاوى مدير الفندق على أحد الكراسي، ثمّ أخرج منديله وبدأ يجفّف وجهه.

قالت ستينا: "اهدأ، فاتسو. إنّه تاجر لحم، هل تعرف ذلك؟".

لم يفهم إرليندور ما تعنيه على الفور، فسألها: "تاجر لحم؟".

أجابت: "يأخذ شريحة من كلّ منّا عندما نعمل في هذا الفندق".

قال إرليندور: "شريحة؟".

"شريحة، عمولته! يقتطع حصّة من عمولتنا".

صاح مدير الفندق: "هذا كذب! اخرجي من هنا أيّتها الحقيرة!".

تابعت ستينا وهي تسوّي قميصها بحذر: "أراد أكثر من النصف له ولرئيس النُدل، وعندما رفضتُ طردني ومنعني من العودة".

قال المدير، وقد أصبح أكثر هدوءاً بعض الشيء: "إنّها تكذب. كنتُ أطرد دائماً أولئك الفتيات، وهي واحدة منهنّ. لا نريد مومسات في هذا الفندق".

سألها إرليندور: "رئيس النُدل؟". وراح يتذكّر شاربه الخفيف. ظنّ أنّ اسمه كان روزانت.

"يطردنا دائماً". ضحكَت ستينا ساخرة وهي تلتفت نحو إرليندور. "هو

من يتّصل بنا، فعند مجيء زوّار مناسبين أو يملكون المال، يتّصل بنا لإخبارنا بذلك، ويزرعنا في المقهى. يقول إنّ هذا يزيد من شعبيّة الفندق. يكون هؤلاء الزبائن من ضيوف المؤتمرات وما شابه. فهم أجانب وأشخاص وحيدون وكبار في السنّ. كما يتّصل بنا عند انعقاد مؤتمرات كبيرة".

سألها إرليندور: "هل أنتنّ كثيرات؟".

قالت ستينا: "بضع فتيات ممّن يقدّمن خدمات مرافقة للطبقة الثرية".

أعطته ستينا الانطباع بأنّ لا شيء يبعث الفخر في نفسها بقدر كونها مومساً، باستثناء منطقة عملياتها ربّما.

قال المدير، وقد عاد تنفّسه إلى طبيعته: "إنهنّ لا يقدّمن خدمات مرافقة، بل يتسكّعن في الفندق ويحاولن اصطياد الزبائن واصطحابهم إلى الغرف، وهي تكذب بخصوص اتّصالي بهنّ. أيّتها القذرة!".

رأى إرليندور أنّه من غير المستحسن متابعة الحديث مع ستينا في المقهى، فقال إنّه بحاجة إلى استعارة مكتب مدير الاستقبال لبعض الوقت، وإلاّ سيذهب الجميع إلى مركز الشرطة لمتابعة التحقيق هناك. صدرت أنّة عن مدير الفندق الذي نظر شذراً إلى ستينا. تبعها إرليندور وهي تخرج من المقهى وتدخل المكتب. ظلّ مدير الفندق في الخلف، وبدا عليه الإنهاك التامّ، وأبعد مدير الاستقبال عندما اقترب منه لمساعدته.

صاح خلفهما: "إنّها تكذب، إرليندور. كلامها مجرّد كذب!".

جلس إرليندور على مكتب المدير بينما وقفت ستينا وأشعلت سيجارة، متجاهلة قرار منع التدخين في الفندق باستثناء المقهى.

سألها إرليندور: "هل كنتِ تعرفين الحارس في هذا الفندق؟ غودلاوغور؟".

"كان لطيفاً حقاً. كان يجمع حصّة فاتسو منّا، ثمّ قُتل".

"كان -".

قاطعته ستينا: "هل تظنّ أنّ فاتسو قتله؟ إنّه أكبر مخادع عرفته. هل تعرف لماذا لم يعد يسمح لي بدخول فندقه القذر؟".

"كلاّ".

"لم يكن يريد حصّة ممّا نجنيه وحسب، بل، أنت تعرف...".

"ماذا؟".

"أرادنا أن نقدّم خدمات له هو أيضاً، خدمات شخصيّة، أنت تعرف...".

"وماذا حدث؟".

"رفضتُ. ثمّة طبقات هائلة من الدهون على ذلك الوغد، إنّه بدين.

بإمكانه أن يقتل غودلاوغور، أستطيع أن أراه وهو يفعل ذلك، أنا واثقة من أنّه قد جلس عليه".

"ولكن، ما هي علاقتك بغودلاوغور؟ هل كنتِ تقدّمين له خدمات؟".

"أبداً، لم يكن مهتمًّا".

أجابها إرليندور، وهو يتخيّل جثّة غودلاوغور في الغرفة الصغيرة: "أنا واثق من أنّه كان مهتمًّا. أخشى أنّه لم يكن غير مهتمّ تماماً".

قالت ستينا، وهي تسوّي ثديَيها بحذر: "لم يهتمّ بي إطلاقاً على أيّ حال، ولا بأيّ منّا نحن الفتيات".

"هل رئيس النُدل مشترك في ذلك مع المدير؟".

"روزانت؟ أجل".

"وماذا عن مدير الاستقبال؟".

"إنّه لا يريدنا، لا يريد أيّ مومسات هنا. ولكنّ الآخرَين هما اللذان يقرّران. يريد مدير الاستقبال التخلّص من روزانت، ولكنّ فاتسو يجني من ورائه مالاً وفيراً".

"أخبريني شيئاً، هل تمضغين التبغ؟ في شاش، مثل أكياس الشاي الصغيرة، يضعها الناس تحت شفاههم ويضغطونها على اللثّة".

أجابت: "ربّاه، كلاّ، هل جُننت؟ أنا أعتني بأسناني جيّداً".

"هل تعرفين أحداً يمضغ التبغ؟".

"كلاّ".

لم يقولا المزيد إلى أن شعر إرليندور بالرغبة في نُصح الفتاة. كان يتخيّل إيفا ليند أمامه، وكيف قُبض عليها بتهمة تعاطي المخدّرات ولا شكّ في أنّها قامت بأعمال مشينة لكسب المال اللازم، مع أنّ ذلك لم يحدث على الأرجح في أيّ من الفنادق الفخمة في المدينة. فكّر كم هو فظيع أن تبيع المرأة جسدها لرجل عجوز، مهما يكن السبب أو الزمان والمكان.

سألها محاولاً إخفاء نبرة الاتّهام في صوته: "لماذا تفعلين ذلك؟ تحقنين ثديَيك بالسيليكون وتنامين مع ضيوف المؤتمرات في الفنادق، لماذا؟".

"قالت إيفا ليند إنّك ستسأل عن ذلك أيضاً. لا تحاول فهم السبب، إيّاك أن تحاول". قالت ذلك وأطفأت سيجارتها على الأرض.

صدف أن التفتت إلى الباب المفتوح ورأت أوسب تمرّ في البهو.

سألته: "أما زالت أوسب تعمل هنا؟".

"أوسب؟ هل تعرفينها؟". بدأ هاتف إرليندور يرنّ في جيبه.

"ظننتُ أنّها تركَت العمل، فقد كنتُ أتكلّم معها أحياناً عندما أكون

هنا".

"كيف تعرفينها؟".

"كنّا معاً في -".

"لم تكن تقوم بأعمال مشينة معكِ، أليس كذلك؟". أخرج إرليندور الهاتف من جيبه، وكان على وشك الإجابة.

أجابت: "كلاّ، فهي ليست مثل شقيقها الصغير".

سألها: "شقيقها؟ هل لديها أخ؟".

"نعم، وهو أسوأ منّي".

23

حدّق إرليندور إلى ستينا محاولاً أن يفهم ملاحظتها بخصوص شقيق أوسب. تردّدت ستينا أمامه.

سألته: "ماذا؟ ما الخطب؟ ألن تجيب على الهاتف؟".

"لماذا ظننتِ أنّ أوسب تركَت عملها؟".

"لأنّه عمل مزرٍ".

أجاب إرليندور على الهاتف بشيء من الشرود.

قالت إلينبورغ: "ولِمَ العجلة؟".

أخبرته أنها قد ذهبت هي وسيغوردور أولي إلى هافنارفيوردور لإحضار شقيقة غودلاوغور واستجوابها في مركز الشرطة في ريكيافيك، ولكنّها رفضت الذهاب معهما. وعندما سألتهما عن السبب، رفضا الشرح، ثمّ قالت إنّها لا تستطيع ترك أبيها في كرسيّه المدولب. عرضا عليها تأمين شخص يعتني به، كما اقترحا عليها التكلّم مع محامٍ ليكون حاضراً في أثناء الاستجواب، ولكن لا يبدو أنّها أدركت خطورة المسألة. لم تتقبّل فكرة الذهاب إلى مركز الشرطة، فاقترحت عليها إلينبورغ حلاًّ وسطاً، خلافاً لرغبات سيغوردور أولي. قالت إنّهما سيصطحبانها إلى إرليندور في الفندق، وبعد أن يتكلّم معها سيقرّرون الخطوة التالية. فكّرت بالأمر، ولكنّ سيغوردور أولي بدأ يفقد صبره، وكان على وشك أن يجرّها بالقوّة عندما وافقت. اتّصلت بأحد الجيران الذي أتى على الفور، وبدا واضحاً أنّه معتاد على العناية بالعجوز عند الحاجة. ثمّ بدأت تتهرّب مجدّداً، ممّا أثار غضب سيغوردور أولي.

قالت إلينبورغ عبر الهاتف: "إنّه في طريقه إليك معها، وهو يفضّل لو أنّه سجنها. فهي لم تكفّ عن سؤالنا عن سبب رغبتك باستجوابها، ولم تُصدّق عندما أخبرناها أنّنا لا نعرف. لماذا تريد التكلّم معها على أيّ حال؟".

"لقد أتت إلى الفندق قبل بضعة أيّام من مقتل أخيها ولكنّها أفادت أنّها لم تره منذ عقود. أريد أن أعرف لماذا لم تخبرنا بذلك، ولماذا كذبَت. أريد رؤية تعبير وجهها".

قالت إلينبورغ: "ستجدها مشاكسة على الأرجح، لم يكن سيغوردور أولي مسروراً بسلوكها".

"ماذا حدث؟".

"سيُخبرك بنفسه".

أغلق إرليندور الخطّ.

قال لستينا: "ماذا تعنين بقولك إنّه كان أسوأ منك؟". كانت تحدّق إلى حقيبتها وتتساءل ما إذا كانت تستطيع إشعال سيجارة أخرى.

"في ما يتعلّق بشقيق أوسب، ما الذي كنتِ تتحدّثين عنه؟".

"ماذا؟".

"شقيق أوسب، قلتِ إنّه أسوأ منك".

قالت: "اسألها".

"سأفعل. ولكن، ما أعنيه، ماذا... هل قلتِ إنّه شقيقها الأصغر؟".

"أجل، وهو... أنت تعرف".

"ماذا؟ هل تعنين...؟".

"غير سويّ".

سألها إرليندور: "وهل يقوم بأعمال شائنة مثلك؟".

"ما رأيك؟ دائماً ثمّة شخص ما يرغب بضربه لأنّه يدين له بالمال".

"وماذا عن أوسب؟ هل تعرفينها؟".

"كنّا في المدرسة معاً، وكذلك هو. لا يصغرها إلاّ بعام واحد، نحن بالسنّ نفسها. كنّا في الصفّ نفسه، ولكنّها لم تكن لامعة". أشارت ستينا إلى رأسها مضيفة: "لا يوجد دماغ هنا. تركت المدرسة في الخامسة عشرة من عمرها، ورسبت في معظم الصفوف. أمّا أنا فنجحتُ فيها كلّها، وأنهيتُ المرحلة الثانويّة".

ارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة.

رمقها إرليندور.

"أعرف أنّك صديقة ابنتي وقد ساعدتني. ولكن، لا يجدر بك مقارنة نفسك بأوسب. أوّلاً، هي لا تملك قُطَباً تسبّب لها الحكاك".

نظرت إليه ستينا، وظلّت ابتسامتها عالقة عند إحدى زاويتي فمها، ثمّ غادرت المكتب من دون أيّ كلمة ومرّت عبر البهو. في طريقها، ارتدت معطفها ذا الياقة المصنوعة من الفراء، ولكنّ حركاتها كانت تفتقد إلى الاعتزاز. التقت سيغوردور أولي وأخت غودلاوغور وهما يدخلان البهو وجهاً لوجه، ورأى إرليندور كيف فغر سيغوردور أولي فاه دهشة لدى رؤيته ثدييَها، وفكّر في أنّ النتيجة استحقّت ما دفعته من مال.

وقف مدير الفندق في الجوار وكأنّه ينتظر انتهاء اجتماع إرليندور. كانت أوسب واقفة قرب المصعد، وشاهدت ستينا وهي تغادر الفندق. من الواضح أنّ أوسب قد عرفَتها. وعندما مرّت من أمام مدير مكتب الاستقبال

الجالس في مكتبه، نظر إليها وشاهدها وهي تخرج من الباب، ثم نظر إلى مدير الفندق الذي انصرف باتّجاه المطبخ، بينما دخلت أوسب المصعد وأُغلق الباب خلفها.

سمع إرليندور أخت غودلاوغور تقول وهي تقترب منه: "هل لي أن أعرف ما هذه السخافة؟ ما معنى كلّ تلك الوقاحة والفظاظة؟".

قال إرليندور بنبرة متسائلة: "الوقاحة والفظاظة؟ لا يبدو هذا مألوفاً".

قالت، وبدا واضحاً أنها لا تعرف اسم سيغوردور أولي: "كان هذا الرجل- وأشارت إلى سيغوردور أولي- فظًّا معي، وأنا أطلب اعتذاراً".

قال سيغوردور أولي: "هذا مستحيل".

"لقد دفَعني وأخرجني من منزلي وكأنّني مجرمة".

قال سيغوردور أولي: "كبّلتها، ولا أعتذر عن ذلك، فلتنسَ الأمر. شتمتني أنا وإلينبورغ وقاومتنا. في الواقع، أريد سجنها. كانت تعيق ضابط شرطة في أثناء تنفيذه مهمّته".

نظرت ستيفانيا إجيلسدوتّير إلى إرليندور بصمت، وقالت أخيراً: "أنا غير معتادة على هذه المعاملة".

قال إرليندور لسيغوردور أولي: "خذها إلى المركز، وضعها في الزنزانة المجاورة لهنري وابشوت، سنتكلّم معها غداً". ثم نظر إلى المرأة مضيفاً: "أو بعد غد".

قالت ستيفانيا، وشعر إرليندور أنّها أجفلت: "لا يمكنك فعل ذلك، أنت لا تملك سبباً لمعاملتي على هذا النحو. لماذا تظنّ أنّك تستطيع أن ترميَ بي في السجن؟ ماذا فعلت؟".

قال إرليندور: "كنتِ تكذبين. مع السلامة". ثمّ التفت إلى سيغوردور أولي: "سنبقى على اتّصال".

ابتعد عنهما، وانطلق بالاتّجاه الذي ذهب فيه مدير الفندق. أمسك سيغوردور أولي ستيفانيا من ذراعها، وكان على وشك أن يقودها إلى الخارج. ولكنّها تسمّرت في مكانها، وحدّقت إلى إرليندور وهو يبتعد.

نادته قائلة: "حسناً". وحاولت إبعاد يد سيغوردور أولي. "هذا ليس ضروريًّا، يمكننا الجلوس ومناقشة الأمر كما يفعل البشر".

توقّف إرليندور والتفت نحوها.

قالت: "أخي، لنتكلّم عن أخي إن شئت. ولكن، لا أدري بماذا سيفيدك ذلك".

جلسا في غرفة غودلاوغور الصغيرة. قالت إنّها تريد الذهاب إلى هناك. سألها إرليندور ما إن كانت قد دخلتها من قبل، ولكنّها أنكرت. وعندما سألها ما إن كانت قد التقت أخاها خلال تلك السنوات، كرّرت ما قالته من قبل، وأنّها لم تكن على اتّصال به. كان إرليندور مقتنعاً بأنّها تكذب، وأنّ مجيئها إلى الفندق قبل خمسة أيّام من مقتل غودلاوغور يتعلّق به، ولم يكن بمحض الصدفة.

نظرت إلى ملصق شيرلي تمبل بدور الأميرة الصغيرة من دون أن يطرأ أيّ تغيير على تعابيرها، ومن دون أن تتفوّه بكلمة أو بتعليق. فتحَت الخزانة، ورأت بزّة الحارس. جلست أخيراً على الكرسيّ الوحيد في الغرفة، فيما استند إرليندور إلى الخزانة. كان لدى سيغوردور أولي اجتماعات في هافنارفيوردور مع مزيد من زملاء غودلاوغور القدامى في المدرسة، فتركهما عندما نزلا إلى القبو.

"لقد مات هنا". قالت الأخت ذلك من دون أيّ أسف في صوتها، وتساءل إرليندور، تماماً كما فعل من قبل، عن سبب غياب العاطفة تماماً لدى هذه المرأة تجاه أخيها.

قال: "وُجِدَ مطعوناً في قلبه، بسكّين من المطبخ على الأرجح. ثمّة دم على الفراش".

قالت وهي تنظر إلى الغرفة: "كم هذا غريب! أعني أن يعيش هنا كلّ تلك الأعوام. بماذا كان يفكّر ذلك الرجل؟".

"كنتُ آمل معرفة الجواب منك".

نظرت إليه من دون أن تقول شيئاً.

تابع: "لا أعرف، اعتبرَها كافية. بعض الأشخاص لا يستطيعون العيش سوى في فيلاّ مساحتها خمسمئة متر مربّع. فهمتُ أنّه استفاد من العيش في الفندق والعمل فيه، فقد وجد فيه كثيراً من المسرّات".

سألته: "هل عثرتم على سلاح الجريمة؟".

"كلاّ، عثرنا ربّما على شيء يشبهه". ثمّ توقّف وانتظر أن تتكلّم، ولكنّها لم تتفوّه بأيّ كلمة، ومضى بعض الوقت قبل أن تكسر الصمت.

"لماذا قلتَ إنّني كذبت عليك؟".

"لا أعرف مدى كذبك عليّ، ولكنّني أعرف أنّك لم تخبريني كلّ شيء. أنت لا تقولين الحقيقة، والأهمّ أنّك لا تقولين لي شيئاً. وأنا مندهش من ردّة فعلك أنت وأبيك تجاه وفاة غودلاوغور، وكأنّه ليس مهمًّا بالنسبة إليكما".

نظرت مطّولاً إلى إرليندور، ثمّ بدا أنّها اتّخذت قراراً.

قالت فجأة: "تفصل بيننا ثلاث سنوات. وعلى الرغم من صغر سنّي، ما زلت أذكر أوّل يوم أحضروه فيه إلى المنزل. أظنّ أنّها من أولى ذكرياتي في الحياة. أصبح قرّة عين أبي منذ اليوم الأوّل. فقد كرّس نفسه لابنه، وأظنّ أنّه وضع له مخطّطات عظيمة منذ البداية. كانت لديه دائماً مخطّطات كبيرة عندما كبر غودلاوغور".

سألها: "وماذا عنك؟ ألم يكن يراك عبقريّة؟".

"كان لطيفاً معي، ولكنّه عشق غودلاوغور".

"وضغط عليه إلى أن انهار".

قالت: "تريد أن تبسّط الأمور، ولكنّها ليست كذلك. كنتُ أظنّ أنّ ضابط شرطة مثلك يُدرك هذا".

قال إرليندور: "لا أظنّ أنّ الأمر يتعلّق بي".

"لا، بالطبع لا".

"كيف انتهى الأمر بغودلاوغور وحيداً ومهمَلاً في هذه الغرفة الصغيرة؟ لماذا كرهتماه إلى هذا الحدّ؟ أستطيع أن أفهم قليلاً موقف والدك إن كان غودلاوغور قد سلبه صحّته. ولكن، لا أفهم لماذا تتّخذين منه هذا الموقف القاسي".

سألت ستيفانيا متفاجئة: "سلبه صحّته؟".

"عندما دفعه من أعلى السلّم، سمعتُ هذه الرواية".

"ممّن؟".

"لا يهمّ، أهي صحيحة؟ هل تسبّب بشلل أبيك؟".

"لا أظنّ أنّ هذا من شأنك".

"كلاّ بالتأكيد، إلاّ إن كان يتعلّق بالتحقيق، عندها أخشى أنّه يصبح من شأن أشخاص آخرين غيركما".

لم تقل ستيفانيا شيئاً، بل نظرت إلى الدم على السرير، بينما راح إرليندور يتساءل لماذا طلبَت التكلّم معه في الغرفة التي قُتل فيها أخوها. فكّر بسؤالها عن السبب، ولكنّه لم يستطع.

قال عوضاً عن ذلك: "لم تكن الأمور هكذا دائماً بالتأكيد. فقد أخبرني أحدهم أنّك هُرعت لنجدة أخيك عندما فقد صوته على المسرح. كنتما مقرّبَين في وقت ما، وكنت تشعرين نحوه بعاطفة الأخوّة".

"كيف عرفتَ بما حدث؟ من أين جئت بهذه المعلومات؟ مع من تحدّثت؟".

"نحن نجمع المعلومات. ثمّة أناس في هافنارفيوردور يذكرون تلك الحادثة جيّداً. لم تكوني غير مبالية تجاهه عندما كنتما طفلين".

بقيَت ستيفانيا صامتة، وقالت أخيراً: "كان الأمر كلّه كابوساً، كابوساً فظيعاً".

أمضَوا معظم اليوم في منزلهم في هافنارفيوردور يتطلّعون بحماسة إلى الحفل الذي سيُغنّي فيه. استيقظَت باكراً، وأعدَّت طعام الفطور. فكّرَت بأمّها، وشعرت بالفخر بالدور الذي تولّته في المنزل. فقد ذكر أبوها كم ساعدَت في العناية بهما بعد وفاة الأم، وكيف كبرت وتصرّفت بمسؤوليّة في كلّ ما تقوم به. عادة، لم يكن يقول عنها شيئاً، بل يتجاهلها دائماً.

افتقدَت إلى أمّها كثيراً. آخر ما قالته الأم لها في المستشفى هو أنّ عليها أن تعتنيَ الآن بأخيها وأبيها، وألاّ تتخلّى عنهما. قالت لها: "عديني بذلك، لن تكون الأمور سهلة دائماً، فهي لم تكن كذلك. أبوك عنيد وصارم جداً ولا أعرف ما إذا كان غودلاوغور قادراً على الاحتمال. ولكن، إن حدث شيء ما، عليك أن تقفي إلى جانب غودلاوغور، عديني بذلك أيضاً". فهزّت رأسها ووعدتها بذلك أيضاً. أمسكت بيدَي أمّها إلى أن نامت، ثمّ مرّرت يدها على شعرها وقبّلت جبينها.

بعد يومَين، فارقت أمّها الحياة.

قال أبوها عندما نزل إلى المطبخ: "سنترك غودلاوغور ينام قليلاً بعد، فهذا يوم هامّ بالنسبة إليه".

يوم هامّ بالنسبة إليه.

لم تذكر يوماً هامًّا بالنسبة إليها، فكلّ شيء يدور حوله. حول غنائه، وجلسات التسجيل، والأسطوانتَين اللتين أصدرهما، والدعوة إلى جولة في سكاندينافيا، والحفلات النهائيّة في هافنارفيوردور، وحفلة الليلة، وصوته، وتمارينه التي تُضطرّ في أثنائها إلى التنقّل خلسة في المنزل لكي لا تزعجهما، بينما يجلس هو إلى البيانو ويعزف أبوها على آلةٍ مرافِقة؛ يعلّمه ويشجّعه ويُظهر له حبّه وتفهّمه إن أبلى حسناً، ولكنّه يكون قاسياً وحازماً إن شعر أنّه لا يركّز بما فيه الكفاية. كان في بعض الأحيان يفقد أعصابه ويوبّخه، وفي أحيان أخرى يحتضنه ويثني على أدائه الرائع.

فقط لو أنّها حصلَت على جزء من الاهتمام الذي انصبّ عليه، والتشجيع الذي نالَه كلّ يوم بفضل صوته الجميل. شعرَت أنّها غير مهمّة، وخالية من أيّ موهبة يُمكن أن تجذب اهتمام أبيها. كان يقول في بعض

الأحيان إنّه من العار أنّها لا تملك صوتاً جميلاً. اعتبر أنّ تعليمها الغناء بلا جدوى، ولكنّها عرفَت أنّ هذا ليس صحيحاً. عرفَت أنّه لم يتكبّد عناء تعليمها لأنّها لا تملك صوتاً مميّزاً، فهي ليست موهوبة مثل أخيها. كانت تستطيع الغناء في جوقة، وعزف مقطوعة على البيانو، ولكنّ أباها ومعلّم البيانو الذي أرسلها إليه لأنّه لم يكن يملك الوقت للاهتمام بها بنفسه، قالا إنّها تفتقر إلى الموهبة الموسيقيّة.

أمّا أخوها، فكان يملك صوتاً رائعاً، وحسًّا موسيقيًّا عميقاً، إلاّ أنّه يظلّ ولداً عاديًّا كما هي فتاة عاديّة. لم تدرك ما الذي ميّز أحدهما عن الآخَر، فهو لم يكن مختلفاً عنها. إلى حدّ ما كانت مكلَّفة بتربيته، لا سيّما بعد إصابة أمّهما بالمرض. فكان يطيعها، وينفّذ أوامرها، ويحترمها. وهي كذلك أحبّته، ولكنّها شعرَت بالغيرة من الثناء الذي حصل عليه. خافت من هذا الإحساس ولم تبُح به لأحد.

سمعَت غودلاوغور وهو ينزل السلّم، ثمّ دخل إلى المطبخ وجلس قرب أبيها.

قال وهو يرى أخته تصبّ القهوة في فنجان أبيهما: "تماماً كما كانت أمّي تفعل".

غالباً ما كان يتحدّث عن أمّهما، وكانت تعرف أنّه يفتقد إليها كثيراً. كان يلجأ إليها عندما يواجه المشاكل: عندما يضايقه الأولاد، أو يثور غضب أبيه، أو ببساطة عندما يحتاج إلى شخص يضمّه من دون أن يكون ذلك مكافأة على أداء جيّد.

سادت مشاعر التوقّع والحماسة في المنزل طيلة النهار، وبلغت أوجها قبَيل المساء عندما ارتدَوا أجمل ملابسهم وانطلقوا إلى المسرح. رافق الاثنان غودلاوغور إلى خلف الكواليس، وحيّا والده قائد الجوقة، قبل أن يخرجا إلى القاعة التي بدأت تمتلئ بالحضور. خفتت الأضواء في القاعة، ثمّ رُفعت الستارة. بدا كبيراً بالنسبة إلى سنّه، ووسيماً، ومصمِّماً على النجاح وهو يقف على خشبة المسرح، وبدأ بالغناء أخيراً بصوت السوبرانو الحزين.

أمسكت أنفاسها وأغمضت عينيها.

فجأة، قبض أبوها على ذراعها بشدّة سبّبت لها الألم، وسمعَته يئنّ قائلاً: "ربّاه!".

فتحت عينَيها ورأت وجه أبيها، كان شاحباً كالأموات، وعندما نظرت إلى المسرح رأت غودلاوغور يحاول الغناء، ولكنّ شيئاً ما حدث لصوته. بدا وكأنّه ينتقل من طبقة إلى أخرى. وقفت، ونظرت إلى القاعة خلفها ورأت

الناس وهم يبتسمون، بينما راح بعضهم يضحك. هرعت إلى المسرح نحو أخيها وحاولت إبعاده. أتى قائد الجوقة لمساعدتها وتمكّنا أخيراً من سحبه إلى الكواليس. ثمّ رأت أباها واقفاً بجمود في الصفّ الأمامي، وهو يحدّق إليها بغضب عارم.

وعندما تمدّدت على سريرها في تلك الليلة، وفكّرَت بتلك اللحظةَ الرهيبة، تسارع نبض قلبها، ليس بسبب الخوف أو فظاعة ما حدث أو ما شعر به أخوها، بل بسبب فرحة غامضة لم تستطع تفسيرها، وكبتَتها وكأنّها جريمة شنيعة.

سألها إرليندور: "هل كنتِ تشعرين بالذنب بسبب تلك الأفكار؟".

أجابت ستيفانيا: "كانت غريبة تماماً بالنسبة إليّ، فأنا لم أفكّر بشيء كهذا من قبل".

قال: "لا أظنّ أنّه من غير الطبيعي أن نشمت بمصائب الآخرين، حتّى المقرّبين منّا. فهذه المشاعر قد تكون غريزيّة، أو آليّة دفاع لمواجهة الصدمات".

"ما كان يجب عليّ أن أخبرك بهذه التفاصيل، فهي لا تعطي عنّي صورة جيّدة. وربّما كنتَ محقاً، فكلّنا صُدمنا، على نحو خطير، كما تتخيّل".

"كيف كانت علاقتهما بعد ذلك؟ أعني كيف كانت علاقة غودلاوغور بأبيه".

تجاهلت ستيفانيا سؤاله.

سألته عوضاً عن ذلك: "هل تعرف ما يشعر به المرء حين لا يكون مفضّلاً؟ ما يشعر به حين يكون عاديًّا ولا يجذب أيّ اهتمام خاصّ؟ يشعر وكأنّه غير موجود. يُعتبَر تحصيلاً حاصلاً، ولا يتلقّى اهتماماً أو رعاية خاصّة. بينما يُعامَل شخص آخر تعتبره مساوياً لك وكأنّه الابن المختار، الذي وُلد ليمنح أبوَيه والعالم بأسره البهجة. تراقب ذلك يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام، ولا يتوقّف أبداً، لا بل يتعاظم مع السنوات ليبلغ... ليبلغ حدّ العشق".

نظرت إلى إرليندور.

"لا يولّد ذلك سوى الغيرة، وأيّ شعور آخر سيكون غير بشري. وعوضاً عن كبته، تجد بأنّك تغذّيه، لأنّه يجعلك تشعر بحال أفضل، على الرغم من غرابة ذلك".

"أهذا تفسير شماتتك بأخيك؟".

أجابت ستيفانيا: "لا أعرف، لم أستطع السيطرة على ذلك الشعور. كان ينتابني بعنف فأرتجف ويقشعرّ بدني وأحاول التخلّص منه، ولكنّه لا يفارقني. لم أعتقد أنّ هذا الأمر يمكن أن يحدث".

غرقا في الصمت.

قال إرليندور: "كنت تحسدين أخاك".

"ربّما، لفترة من الزمن. في ما بعد، بدأت أشفق عليه".

"ومن ثمّ كرهتِه".

نظرت إلى إرليندور.

قالت: "ماذا تعرف عن الكره؟".

"ليس الكثير، ولكنّني أعرف أنّ من شأنه أن يكون خطيراً. لماذا كذبتِ علينا عندما قلت إنّك لم تكوني على اتّصال به منذ ثلاثة عقود تقريباً؟".

"لأنّ هذا صحيح".

"هذا غير صحيح، أنت تكذبين. لماذا؟".

"هل سترميني في السجن بسبب الكذب؟".

"إن اضطررت إلى ذلك فسأفعل. نحن نعرف أنّك أتيت إلى هذا الفندق قبل خمسة أيّام من مقتله. قلت لنا إنّك لم تتّصلي به منذ عقود، ثمّ تبيّن أنّك أتيت إلى الفندق قبل أيّام من مقتله. لماذا؟ ولماذا كذبت علينا؟".

"يمكنني المجيء إلى الفندق من دون لقائه، فهذا فندق كبير. هل خطر لك ذلك؟".

"أشكّ في ذلك. لا أظنّ أنّك أتيت إلى الفندق قبل موته بمحض الصدفة".

لاحظ أنّها تراوغ، وأنّها تفكّر مليًّا في خطوتها التالية. استعدّت بصبر لإعطاء معلومات أكثر تفصيلاً من تلك التي باحت بها في لقائهما الأوّل. والآن، حان الوقت لتقرّر ما إذا كانت ستفعل أم لا.

قالت بصوت منخفض بالكاد سمعه إرليندور: "كان لديه مفتاح، ذاك الذي أريتنا إيّاه أنا وأبي".

تذكّر إرليندور حلقة المفاتيح التي وجدها في غرفة غودلاوغور والمطواة الصغيرة الورديّة التي تحمل صورة قرصان. كان في الحلقة مفتاحان، أحدهما مفتاح باب كما بدا، والآخر يناسب خزنة أو خزانة أو صندوقاً.

سألها إرليندور: "وماذا عن ذلك المفتاح؟ هل عرفتِه؟ هل تعرفين ماذا

يفتح؟".

ابتسمت ستيفانيا، وقالت له: "لديّ مفتاح مشابه".

"مفتاح ماذا؟".

"إنّه مفتاح منزلنا في هافنارفيوردور".

"أتعنين أنّه مفتاح باب بيتكم؟".

أجابت ستيفانيا: "أجل، المكان الذي أعيش فيه أنا وأبي. والمفتاح لباب القبو الواقع في الجزء الخلفي من المنزل. فثمّة عدد من الدرجات الضيّقة التي تقود من القبو إلى الردهة، ومنها يمكنك الدخول إلى غرفة المعيشة والمطبخ".

حاول إرليندور فهم مضامين كلامها: "هل تعنين...؟ هل تعنين أنّه كان يذهب إلى المنزل".

"أجل".

"ولكن ظننت أنّكما لم تكونا على اتّصال. قلتِ إنّه لم يعد هناك ما يجمعكما به منذ عقود من الزمن، وإنّكما لم ترغبا برؤيته. لماذا كذبتِ؟".

"لأنّ أبي لم يكن يعلم".

"ما الذي لم يكن يعلمه؟".

"أنّه كان يأتي إلى البيت. فلا بدّ من أنّ غودلاوغور قد اشتاق إلينا. لم أسأله، ولكن لا شكّ في أنّه اشتاق إلينا لكي يأتي إلى البيت".

"ما الذي لم يكن أبوك يعرفه بالضبط؟".

"أنّ غودلاوغور كان يأتي أحياناً إلى بيتنا ليلاً من دون أن نعرف، ويجلس في غرفة المعيشة من دون أن يصدر صوتاً، ثمّ يغادر قبل أن نستيقظ. فعل ذلك لسنوات من دون أن نعرف أبداً".

نظرت إلى بقع الدماء على السرير.

"إلى أن استيقظتُ في منتصف الليل مرّة ورأيته".

24

راقب إرليندور ستيفانيا، وراحت كلماتها تتسارع في ذهنه. لم تكن متغطرسة كما حصل في لقائهما الأوّل عندما ثار إرليندور على عدم محبّتها لأخيها. وشعر الآن أنّه تسرّع في الحكم عليها.

لم يكن يعرفها أو يعرف قصّتها لكي يفهم الأمور من وجهة نظرها، فندم فجأة على ما قاله عن غياب ضميرها. لا يحقّ له الحكم على الآخرين، مع أنّه يقع دائماً في هذا الفخّ. لم يكن يعرف شيئاً عن هذه المرأة التي أصبحت فجأة مثيرة للشفقة ووحيدة بشكل رهيب أمامه. أدرك أنّ طريق حياتها لم تكن مفروشة بالورود، أوّلاً كطفلة تعيش في ظلّ أخيها، ومن ثمّ كمراهقة يتيمة، وأخيراً كامرأة بقيَت بجوار أبيها، وضحّت بحياتها على الأرجح من أجله.

مرّ بعض الوقت على هذا النحو، وكلّ منهما غارق في أفكاره. كان باب الغرفة الصغيرة مفتوحاً، فخرج إرليندور إلى الممرّ. أراد فجأة أن يتأكّد من عدم وجود أحد في الخارج، من عدم وجود من يسترق السمع. نظر إلى الممرّ خافت الإضاءة ولكنّه لم يرَ أحداً. التفت، ونظر إلى آخر الرواق، ولكنّ الظلام كان دامساً. فكّر في أنّه كان سيلاحظ لو أنّ أحدهم مرّ بهذا الاتّجاه من أمام الغرفة، ولكنّ الرواق كان خالياً. مع ذلك، أحسّ بشعور قويّ بأنّهما لم يكونا بمفردهما في القبو عندما عاد إلى الغرفة. كانت رائحة الممرّ على حالها: وكأنّ شيئاً يحترق؛ شيئاً لا يستطيع تحديده. لم يشعر بالارتياح. فصورة الجثّة كما رآها للمرّة الأولى مطبوعة في ذهنه، وكلّما عرف المزيد عن صاحب زيّ سانتا، كلّما أصبحت الصورة الذهنيّة أكثر بؤساً، وأدرك أنّه لن يتمكّن من نسيانها.

سألته ستيفانيا، الجالسة على مقعدها: "هل كلّ شيء على ما يرام؟".

أجاب: "أجل. ولكن خطرَت لي فكرة سخيفة، شعرتُ أنّ أحدهم كان في الرواق. أليس من الأفضل لنا الذهاب إلى مكان آخر؟ لتناول فنجان من القهوة ربّما؟".

نظرت إلى الغرفة، ثمّ هزّت رأسها موافقة ونهضت. مشيا في الممرّ بصمت، ثمّ صعدا السلّم وعبرا البهو باتّجاه قاعة الطعام، وهناك طلب إرليندور فنجانَين من القهوة. جلسا في إحدى الزوايا وحاولا تجنّب ضجيج السيّاح.

قالت ستيفانيا: "لن يكون أبي راضياً عنّي الآن، لطالما منعني من

التحدّث عن العائلة، فهو لا يحبّ كشف خصوصيّاته".

"أهو بصحّة جيّدة؟".

"صحّته جيّدة بالنسبة إلى سنّه. ولكنّني لا أعرف...". وبقيَت كلماتها معلّقة.

"عندما تدخل الشرطة على الخطّ، توضَع الخصوصيّة جانباً، لا سيّما في حال وجود جريمة".

"بدأتُ أدرك ذلك. كنّا سننسى هذه الحادثة وكأنّها ليست من شأننا. ولكن، لا يبدو هذا الأمر ممكناً في ظلّ هذه الظروف الفظيعة. لا أظنّ ذلك".

قال إرليندور: "كما فهمتُ، قطعت أنت ووالدك كلّ اتّصال بغودلاوغور، ولكنّه كان يتسلّل إلى البيت ليلاً من دون علمكما. ما كان دافعه إلى ذلك؟ ماذا كان يفعل؟ ولماذا فعل ذلك؟".

"لم أحصل منه قطّ على جواب مقنع. كان يكتفي بالجلوس ساكناً في غرفة المعيشة لساعة أو ساعتَين. لولا ذلك، لعرفتُ بوجوده من قبل، ولكنّه فعل هذا عدّة مرّات في العام، ولأعوام متتالية. وفي إحدى الليالي، منذ عامَين تقريباً، أصبت بالأرق وبقيتُ ممدّدة في السرير حتّى الرابعة صباحاً. ثمّ سمعتُ صريراً في غرفة الجلوس في الأسفل، فأجفلتُ بالطبع. كانت غرفة والدي في الطابق السفلي، ويبقى بابه مفتوحاً دائماً في الليل، فاعتقدت أنّه يحاول لفت انتباهي. سمعتُ الصرير مرّة أخرى، وتساءلت ما إذا كان لصّ قد دخل المنزل، فتسلّلت إلى الأسفل. كان باب غرفة أبي كما تركته. ولكن، عندما دخلتُ إلى الردهة رأيت شخصاً يصعد السلّم، فصحتُ به. أحسست بالخوف عندما توقّف، ثمّ استدار وتابع صعوده".

صمتت ستيفانيا وشردَت وكأنّها انتقلت في الزمان والمكان.

تابعت: "ظننت أنّه سيهاجمني، فوقفت عند باب المطبخ وأضأت المصباح، ثمّ رأيته أمامي. لم أكن قد رأيته وجهاً لوجه لسنوات، منذ أن كان شابًّا، واستغرقت وقتاً حتّى أدركت أنّه شقيقي".

سألها إرليندور: "كيف شعرت؟".

"صُعقتُ تماماً. وخفت أيضاً، لأنّه لو كان لصًّا، لكان عليّ الاتّصال بالشرطة عوضاً عن إحداث كلّ تلك الجلبة. كنت أرتجف خوفاً، وصرخت عندما أضأت المصباح ورأيت وجهه. ولا بدّ من أنّ شكلي كان مضحكاً وأنا أشعر بالخوف والتوتّر، لأنّه انفجر ضاحكاً".

قال وهو يضع إصبعه على شفتيه لإسكاتها: "لا توقظي أبي".

لم تصدّق عينَيها.

شهقت قائلة: "أهذا أنت؟".

لم يكن يشبه الصورة التي احتفظت بها من أيّام شبابه، ولاحظت كم تقدّم في السنّ. كانت هناك هالتان تحيطان بعينَيه، وشفتاه الرقيقتان شاحبتَين. بدا شعره مشعّثاً، ونظر إليها بعينَين بالغتَي الحزن. بدأت تحسب عمره تلقائيًّا، ولكنّه بدا أكبر سناً. همست: "ماذا تفعل هنا؟".

أجاب: "لا شيء. لا أفعل شيئاً. ولكنّني أرغب أحياناً في العودة إلى البيت".

"كان ذلك هو التفسير الوحيد الذي أعطاه لتسلّله أحياناً إلى غرفة المعيشة ليلاً من دون علم أحد. رغب أحياناً في العودة إلى البيت. لا أعرف ما الذي عناه بذلك، وما إذا كان للأمر علاقة بطفولته، عندما كانت أمّنا على قيد الحياة، أو إن كان يعني السنوات التي سبقَت ذلك اليوم الذي دفع فيه أبانا من أعلى السلّم، لا أعرف. ربّما كان المنزل بحدّ ذاته يحمل معنىً بالنسبة إليه، لأنّه لم يملك قطّ منزلاً آخر، بل مجرّد غرفة صغيرة قذرة في قبو هذا الفندق".

قالت: "يجب عليك الذهاب، قد يستيقظ".

أجابها: "أجل، أعرف. كيف حاله؟ أهو بخير؟".

"إنّه بخير، ولكنّه يحتاج إلى عناية دائمة. يحتاج إلى من يطعمه ويغسله ويُلبسه ويُنزّهه ويُجلسه أمام التلفاز. يحبّ مشاهدة الأفلام".

قال: "لا تعرفين كم تعذّبتُ بسبب ذلك، خلال كلّ تلك السنوات. لم أشأ حدوث ذلك، كانت غلطة كبيرة".

قالت: "أجل، صحيح".

"لم أرغب قطّ في أن أكون مشهوراً، كان ذلك حلمه، وكان دوري هو تحقيق ذلك الحلم".

خيّم عليهما الصمت.

"هل يسأل عنّي؟".

أجابت: "كلاّ، إطلاقاً. حاولتُ دفعه إلى التحدّث عنك، ولكنّه لم يرغب حتّى في سماع اسمك".

"ما زال يكرهني".

"لا أظنّ أنّه سيتمكّن من نسيان ذلك".

"بسبب ما أنا عليه. لا يستطيع احتمالي لأنّني...".

"هذا الأمر يخصّكما...".

"كنتُ لأفعل أيّ شيء من أجله أنت تعرفين ذلك".

"أجل".

"دوماً".

"أجل".

"كلّ تلك الضغوط التي مارسها عليّ، والتمارين المتواصلة، والحفلات الغنائيّة، والتسجيلات كلّها كانت أحلامه هو لا أحلامي. كان سعيداً، وكان كلّ شيء على ما يرام".

"أعرف".

"لماذا لا يسامحني إذاً؟ لماذا يستمرّ بمقاطعتي؟ أنا أفتقد إليه، هلاّ أخبرتِه بذلك؟ أفتقد إلى الأيّام التي عشناها معاً، عندما كنتُ أغنّي له. فأنتما أسرتي".

"سأحاول التحدّث معه".

"هل ستفعلين؟ هل ستخبرينه أنّني مشتاق إليه؟".

"سأفعل".

"لا يحتملني بسبب ما أنا عليه".

لم تقل ستيفانيا شيئاً.

"ربّما كانت ثورة ضدّه، لا أدري. حاولتُ إخفاء ذلك ولكنّني لم أستطع تغيير نفسي".

قالت: "عليك أن تذهب الآن".

"حسناً".

تردّد قليلاً.

"وماذا عنك؟".

"ماذا عنّي؟".

"هل تكرهينني أنت أيضاً؟".

"يجب عليك الرحيل، قد يستيقظ".

"لأنّها غلطتي. هذا الوضع الذي أنت فيه، واضطرارك إلى العناية به طيلة الوقت، لا بدّ من أنّك...".

قالت: "ارحل".

"أنا آسف".

سألها إرليندور: "بعدما غادر المنزل، بعد الحادثة، ما الذي حدث حينذاك؟ هل محوتماه من حياتكما وكأنّه لم يعد موجوداً؟".

"إلى حدّ ما. أعرف أنّ أبي يستمع إلى غنائه من وقت إلى آخر. لم يشأ أن أعرف، ولكنّني كنتُ أكتشف ذلك عندما أعود من عملي أحياناً. إذ كان ينسى إعادة الأسطوانة إلى مكانها أو ينساها في الجهاز. وكنّا نسمع عنه أحياناً، فمنذ سنوات قرأنا مقابلة معه في إحدى المجلاّت. كان المقال عن النجوم الصغار السابقين، وكان بعنوان أين هم الآن؟ أو شيء من هذا القبيل. كتبَت المجلّة عنه، وبدا راغباً في التحدّث عن شهرته القديمة. لا أعرف لماذا فعل ذلك، ولكنّه لم يقل شيئاً باستثناء أنّه كان من الممتع كونه محطّ الاهتمام".

"إذاً ثمّة من تذكّره، لم يكن منسيًّا تماماً".

"يوجد دائماً من يتذكّر".

"لم يذكر في المجلّة المضايقات التي تعرّض لها في المدرسة، أو ضغوط أبيك عليه، أو خسارته أمّه أو تبدّد أحلامه، التي بناها أبوك على ما أظنّ، ولا كيف أُجبر على مغادرة البيت؟".

"ماذا تعرف عن المضايقات في المدرسة؟".

"نعرف أنّه تعرّض للمضايقات لكونه مختلفاً. أليس هذا صحيحاً؟".

"لا أظنّ أنّ أبي بنى أيّ أحلام، فهو رجل واقعيّ جداً. لا أعرف لماذا تتكلّم هكذا، فقد بدا لنا لمدّة من الوقت أنّ نجم أخي سيلمع كمغنٍّ، وسيغنّي في الخارج ويجذب إليه انتباهاً عظيماً في مجتمعنا الصغير. شرح له أبي ذلك، ولكنّه قال له أيضاً على ما أظنّ إنّه حتّى لو تطلّب ذلك الكثير من العمل والإخلاص والموهبة، فلا يجب أن يبني آمالاً عريضة. أبي ليس غبيًّا، لا تعتقد ذلك".

"أنا لا أعتقد ذلك".

"هذا جيّد".

"ألم يحاول غودلاوغور الاتّصال بكما قطّ؟ وأنتما، ألم تحاولا مطلقاً؟".

"كلاّ، أظنّ أنّني أجبتُ سابقاً عن هذا السؤال، باستثناء أنّه كان يتسلّل إلى المنزل أحياناً من دون علمنا. قال إنّه فعل ذلك لسنوات".

"ألم تحاولا البحث عنه؟".

"كلاّ".

"هل كان مقرّباً من أمّه؟".

أجابت ستيفانيا: "كانت تعني بالنسبة إليه العالم بأسره".
"إذاً، كان موتها مأساة بالنسبة إليه".
"كان موتها مأساة بالنسبة إلينا جميعاً".
أطلقت ستيفانيا تنهيدة عميقة.
"أظنّ أنّ شيئاً ما مات في داخلنا عندما فارقَت الحياة، شيئاً كان يجعلنا عائلة. لا أظنّ أنّني أدركتُ أنّها هي من كانت تربط بيننا وتؤمّن التوازن إلاّ بعد وقت طويل. فهي لم تتّفق مع أبي قطّ بخصوص غودلاوغور، ولطالما تشاجرا حول تربيته، إن كان بالإمكان تسمية ذلك شجاراً. أرادَت تركه ليكون كما يشاء. فحتى إن كان غناؤه جميلاً فلا داعي برأيها للتركيز على ذلك".
نظرت إلى إرليندور.
"لا أظنّ أنّ أبانا كان يراه طفلاً، بل مهمّة، شيئاً عليه هو وحده صنعه وتنشئته".
"وأنت؟ ما كان موقفك من ذلك؟".
"أنا؟ لم أُسأل قطّ".
توقّفا عن الكلام قليلاً، وأصغيا إلى الهمهمات الآتية من غرفة الطعام، وراقبا السيّاح وهم يثرثرون ويضحكون. نظر إرليندور إلى ستيفانيا، التي بدت أنّها انسحبت إلى داخل قوقعتها وذكريات عائلتها الهشّة.
سألها بحذر: "هل لك أيّ صلة بمقتل أخيك؟".
شعر أنّها لم تسمع سؤاله، فكرّره. نظرت إليه.
أجابت: "إطلاقاً، بل أتمنّى لو أنّه ما زال حيًّا لكي أتمكّن...".
لم تنهِ ستيفانيا جملتها.
سألها: "لكي تتمكّني من ماذا؟".
"لا أعرف، ربّما من التعويض عمّا...".
توقّفت مجدّداً.
"كان كلّ ذلك فظيعاً، كلّه. بدأ بخلافات سخيفة ثمّ تفاقم الأمر حتّى فقدنا السيطرة عليه. أنا لا أستخفّ بإقدامه على دفع أبينا عن السلّم. ولكنّ المرء يتّخذ مواقف في حياته ولا يبذل جهداً لتغييرها، لأنّه غير راغب في ذلك على ما أظنّ. ثمّ يمرّ الزمن، وتتوالى السنوات، وينسى الإحساس، والسبب الذي حرّك كلّ شيء، كما ينسى- إمّا عمداً أو عن غير قصد- الفرص التي تتاح له لإصلاح الخطإ. ثمّ يفوت الأوان على إعادة الأمور إلى نصابها. مرّت كلّ تلك السنوات و...". تأوّهت بألم.

"ماذا فعلتِ عندما رأيتِه في المطبخ؟".

"تكلّمتُ مع أبي. ولكنّه لم يشأ سماع شيء عن غولي، وهكذا انتهى الموضوع. لم أُخبره عن زياراته الليليّة. حاولت بضع مرّات أن أقنعه بمصالحته، قلتُ إنّني صادفتُ غولي في الشارع وإنّه أراد رؤية أبيه، ولكنّ أبي لم يتأثّر إطلاقاً".

"ألم يعد أخوك إلى المنزل بعد ذلك؟".

"ليس على حدّ علمي".

نظرت إلى إرليندور.

"حدث ذلك قبل عامَين، وتلك كانت آخر مرّة رأيته فيها".

25

وقفت ستيفانيا متأهّبة للرحيل. بدا وكأنّها قالت كلّ ما يلزم. لكنّ إرليندور ظلّ يعتقد أنّها كانت انتقائيّة بخصوص الأمور التي باحت بها، وأنّها احتفظت ببعض التفاصيل لنفسها. وقف هو أيضاً، وتساءل ما إذا كان يجدر به الاكتفاء بما قيل في الوقت الحاضر أو الضغط عليها أكثر. قرّر أن يترك لها الخيار، فقد كانت أكثر تعاوناً هذه المرّة، وقد ناسبه ذلك. ولكنّه لم يستطع منع نفسه من سؤالها عن لغز لم تشرحه.

قال: "بإمكاني أن أفهم غضب أبيك عليه طيلة حياته بسبب الحادثة التي تركَته مقعداً في كرسيّ مدولب. ولكن ما لا أفهمه هو موقفك أنت، لماذا اتّخذتِ الموقف نفسه، لماذا وقفت إلى جانب أبيك، وأدرت ظهرك إلى أخيك ولم تتّصلي به خلال كلّ تلك السنوات؟".

قالت ستيفانيا: "أظنّ أنّني ساعدتك بما فيه الكفاية. لا علاقة لي أنا وأبي بموته. مقتله مرتبط بحياة أخرى عاشها ولا نعرف عنها أنا وأبي شيئاً. أتمنّى أن تقدّر محاولتي في أن أكون صادقة ومتعاونة، وألاّ تزعجنا بعد الآن. أتمنّى ألاّ تقدم مجدّداً على تكبيلي في منزلي".

مدّت يدها لمصافحته وكأنّها ترغب بختم اتّفاق على عدم إزعاجها هي وأبيها في المستقبل. صافحها إرليندور وحاول الابتسام. فهو يعرف أنّ الاتّفاق سيُخرَق عاجلاً أم آجلاً. فالتساؤلات كثيرة، والإجابات الحقيقيّة قليلة. لم يكن جاهزاً لتركها تُفلت من الصنّارة بعد، وشعر أنّها ما زالت تكذب عليه، أو على الأقلّ تراوغ في قول الحقيقة.

سألها: "ألم تأتِ إلى الفندق لرؤية أخيك قبل أيّام من وفاته؟".

"كلاّ، أتيت لرؤية صديقة في قاعة الطعام هنا. شربنا القهوة معاً، ويمكنك سؤالها عن ذلك إن كنتَ لا تصدّق. نسيتُ أنّه يعمل هنا، ولم أرَه عندما أتيت".

قال إرليندور، وهو يدوّن اسم المرأة: "قد أتحقّق من الأمر. ثمّة شيء آخر، هل تعرفين شخصاً يدعى هنري وابشوت؟ إنّه بريطاني وكان على اتّصال بأخيك".

"وابشوت؟".

"إنّه جامع أسطوانات، ومهتمّ بتسجيلات أخيك. صدف أنّه يجمع أسطوانات لموسيقى الجوقات وهو متخصّص في غلمان الجوقات".

قالت ستيفانيا: "لم أسمع به قطّ. هو متخصّص في غلمان الجوقات؟".

"في الواقع، ثمّة جامعون أكثر غرابة منه". ولكنّه لم يغامر بإخبارها عن جامعي أكياس الغثيان من خطوط الطيران. "يقول إنّ أسطوانات أخيك قيّمة جداً اليوم، هل تعرفين شيئاً عن ذلك؟".

أجابت: "إطلاقاً، ماذا يعني؟".

"لستُ واثقاً، ولكنّها قيّمة بما يكفي لكي يأتي وابشوت إلى أيسلندا لرؤيته. هل كان لدى غودلاوغور نسخ عن أسطوانتيه؟".

"ليس على حدّ علمي".

"هل تعرفين ماذا حدث للنسخ التي أُصدرت؟".

قالت: "أظنّ أنّها بيعَت. هل كانت ستساوي شيئاً لو أنّها ما زالت موجودة؟".

شعر إرليندور بلهفة في صوتها، وتساءل ما إذا كانت تتهرّب، وما إذا كانت تعرف عن هذا الموضوع أكثر منه وتحاول استكشاف ما يعرفه.

قال: "هذا ممكن".

"أما زال هذا البريطاني موجوداً في البلاد؟".

"إنّه في عهدة الشرطة. ربّما يعرف عن أخيك وعن مقتله أكثر ممّا يقول".

"هل تظنّ أنّه القاتل؟".

"ألم تسمعي الأخبار؟".

"كلاّ".

"إنّه مرشّح، لا أكثر".

"من هو هذا الرجل؟".

كان إرليندور على وشك إخبارها بالمعلومات التي وردته من شرطة لندن، وعن الأفلام التي وجدوها في غرفة وابشوت. ولكنّه كرّر لها أنّ وابشوت جامع أسطوانات يهتمّ بغلمان الجوقات، وأنّه أقام في الفندق وكان على اتّصال بغودلاوغور، وقد وجدوه مثيراً للشبهة بما يكفي لاعتقاله.

تبادلا التحيّة وراقبها إرليندور وهي تغادر القاعة متّجهة نحو البهو. رنّ هاتفه في جيبه، فأخرجه وأجاب. فوجئ بصوت فالغردور وهي تسأله بلا مقدّمات: "هل يمكنني رؤيتك الليلة؟ هل ستكون في الفندق؟".

أجابها، من دون أن يحاول إخفاء دهشته: "يمكنني رؤيتك. ظننتُ...".

"أتناسبك الساعة الثامنة؟ في المقهى؟".

أجاب: "حسناً، يناسبني ذلك. ما -؟".

كان سيسأل فالغردور عن سبب رغبتها في رؤيته عندما أقفلَت الخطّ.

أعاد هاتفه إلى جيبه وهو يتساءل عمّا تريده. كان قد أضاع فرص التعرّف عليها، واستنتج أنّه على الأرجح خاسر كبير عندما يتعلّق الأمر بالنساء. ثمّ أتى هذا الاتّصال المفاجئ ولم يعرف ما الذي سيؤدّي إليه.

كان الوقت قد تجاوز الظهيرة وشعر إرليندور بالجوع. ولكن عوضاً عن تناول الطعام في القاعة، صعد إلى غرفته وطلب من خدمة الغرف إرسال غدائه إليه. ما زال عليه مشاهدة عدد من الأشرطة، فوضع أحدها في جهاز الفيديو وراح يشاهده بانتظار وصول الطعام.

سرعان ما فقد التركيز، وعادت أفكاره إلى كلمات ستيفانيا. لماذا تسلّل غودلاوغور إلى البيت ليلاً؟ قال لشقيقته إنّه أراد العودة إلى البيت. أرغب أحياناً في العودة إلى البيت . ماذا تعني تلك الكلمات؟ هل كانت أخته تعرف؟ ما هو البيت بالنسبة إلى غودلاوغور؟ ما الذي افتقد إليه؟ فهو لم يعد جزءاً من العائلة، وأقرب أفراد أسرته إليه، أمّه، ماتت منذ وقت طويل. لم يُزعج والده أو أخته في زياراته، ولم يذهب في النهار كما يفعل الأشخاص الطبيعيّون- هذا إن كان ثمّة أشخاص طبيعيّون- لتسوية الخلافات ووضع حدّ للغضب وحتّى الكره الذي نشأ بينه وبين أسرته. بل عوضاً عن ذلك، ذهب ليلاً، وحرص على عدم إزعاج أحد، ثمّ تسلّل عائداً في الخفاء. وعوضاً عن المصالحة أو الحصول على السماح، بدا أنّه يبحث عن شيء أهمّ، شيء لا يفهمه غيره ويتجاوز كلّ تفسير، ينحصر في تلك الكلمة الواحدة.

البيت.

ما كان ذلك؟

ربّما كان حنينه إلى الطفولة التي أمضاها في منزل أبوَيه قبل أن تُباغته تعقيدات الحياة والأقدار غير المفهومة. عندما كان يعيش في ذلك المنزل وهو يعرف أنّ أباه وأمّه وأخته هم أصدقاؤه وأحبّاؤه. لا بدّ من أنّه كان يذهب إلى المنزل لاسترجاع ذكريات لم يشأ نسيانها، وليستمدّ منه القوّة عندما تُثقل هموم الحياة كاهله.

ربّما ذهب إلى المنزل ليتصالح مع ما خبّأه له القدر: ضغوط أبيه المتواصلة، المضايقات التي تعرّض لها بسبب اختلافه، عاطفة الأمومة التي كانت أغلى عنده من أيّ شيء آخر، والأخت الكبرى التي حمَته هي أيضاً، والصدمة التي أصابته بعد عودته إلى البيت من الحفلة التي أُقيمت في مسرح هافنارفيوردور، والعالم الذي انهار من حوله، وآمال أبيه التي تحطّمت. فلا شيء أسوأ بالنسبة إلى صبيّ مثله من أن يخيّب آمال أبيه.

بعد كلّ الجهد الذي بذله، كلّ الجهد الذي بذله أبوه، كلّ الجهد الذي بذلته أسرته. لقد ضحّى بطفولته من أجل شيء كبير جداً بالنسبة إليه لكي يتمكّن من فهمه أو التحكّم به، ثمّ فشل في تحقيقه. لقد خاطر أبوه بطفولته، وحرمه منها.

تنهّد إرليندور.

من منّا لا يرغب في العودة إلى البيت أحياناً؟

كان ممدّداً على سريره عندما سمع صوتاً في الغرفة. لم يعرف في البداية مصدر الصوت، فاعتقد أنّ الأسطوانة بدأت تدور، وأنّ الإبرة فوّتتها.

جلس، ونظر إلى جهاز التشغيل، ورأى أنّه مطفأ. سمع الصوت مجدّداً فنظر حوله. كانت الغرفة مظلمة ولم يستطع الرؤية بوضوح. كان ثمّة ضوء خافت ينير الغرفة من عمود النور في الجهة المقابلة من الطريق. لم يجرؤ على الحراك، ثمّ تذكّر أين سمع ذلك الصوت من قبل.

جلس على سريره ونظر إلى الباب. رأى في الضوء الخافت وجهاً صغيراً، أزرق اللون من شدّة البرد، رابضاً قرب الباب، وهو يحدّق إليه، ويرتعش بقوّة بحيث يهتزّ رأسه ويشهق بصعوبة.

كان الشهيق هو الصوت الذي عرفه إرليندور.

حدّق إلى الوجه الذي حدّق إليه هو أيضاً، وحاول الابتسام ولكنّه لم يستطع، من شدّة البرد.

شهق إرليندور: "أهذا أنت؟".

في تلك اللحظة، اختفى الوجه واستفاق إرليندور من نومه، ثمّ جلس وحدّق إلى الباب.

تأوّه قائلاً: "كنتَ أنت؟". وهو ما زال يرى نتفاً من الحلم؛ زوجاً من القفّازات، القبّعة، المعطف والوشاح. الملابس التي كانا يرتديانها عندما غادرا المنزل.

ملابس أخيه الذي جلس مرتعشاً في الغرفة الباردة.

26

وقف لوقت طويل أمام النافذة صامتاً، يراقب تساقط الثلج.

جلس أخيراً ليتابع مشاهدة الأشرطة. لم تظهر شقيقة غودلاوغور مجدّداً، ولا أيّ شخص يعرفه باستثناء بعض موظّفي الفندق، الذين يدخلون أو يخرجون على عجلة.

رنّ هاتف الفندق فأجاب عليه.

قالت إلينبورغ: "أظنّ أنّ وابشوت يقول الحقيقة. فهم يعرفونه جيّداً في محالّ هواة الجمع وفي سوق السلع المستعملة".

"هل كان هناك وقت ارتكاب الجريمة، كما ادّعى؟".

"أريتهم صوراً له وسألتهم عن الأوقات التي أتى فيها، وكانت متقاربة جداً. أجدها متقاربة بما يكفي لنعتبر أنّه كان غائباً عن الفندق في ساعة ارتكاب الجريمة".

"كما أنّه لا يعطي انطباعاً بأنّه مجرم".

"إنّه يستغلّ الأطفال، ولكنّه قد لا يكون مجرماً. ماذا ستفعل به؟".

"أظنّ أنّنا سنرسله إلى بريطانيا".

انتهى الحديث، وجلس إرليندور وهو يفكّر بمقتل غودلاوغور، من دون أن يتوصّل إلى أيّ نتيجة. فكّر بإلينبورغ، وسرعان ما اتّجهت أفكاره إلى قضيّة الصبيّ الذي أساء أبوه معاملته وكرهته إلينبورغ بسبب ذلك.

"أنت لستَ الوحيد الذي يعامل ابنه هكذا". قالت إلينبورغ ذلك للأب، ولكن ليس في محاولة لمواساته. كانت نبرتها اتّهامية وكأنّها أرادته أن يعرف أنّه واحد من ساديّين كثر يسيئون معاملة أطفالهم. أرادته أن يعرف إلى أيّ فئة من الناس ينتمي، وما الإحصاءات التي تنطبق عليه.

كانت قد اطّلعت على الإحصاءات. فقد تمّ إدخال أكثر من ثلاثمئة طفل إلى مستشفى الأطفال لأسباب مرتبطة بسوء معاملة محتملة خلال الفترة المتراوحة بين 1980 و1999. ومن بينها، 232 حالة اشتملت على شبهة اعتداء، و34 حالة اشتملت على شبهة سوء معاملة جسدية أو عنف، بما في ذلك التسمّم. وكرّرت إلينبورغ كلماتها للتأكيد. بما في ذلك التسمّم والإهمال المتعمّد. ثمّ قرأت ورقة بهدوء وتماسك: إصابات في الرأس، كسور في العظام، حروق، شقوق، عضّات. ثمّ أعادت قراءة اللائحة وحدّقت إلى عينَي الأب.

قالت: "يُشتبه أنّ طفلين قد توفّيا بسبب تعرّضهما للعنف الجسدي

خلال الأعوام العشرين الماضية. ولكنّ أيًّا من الحالتَين لم تُعرض أمام المحكمة".

وقالت له إنّ الخبراء أرجعوا السبب إلى مشكلة كامنة، ما يعني وجود حالات كثيرة أخرى على الأرجح.

قالت: "في بريطانيا، يموت كلّ أسبوع أربعة أطفال بسبب سوء المعاملة. أربعة أطفال، كلّ أسبوع".

تابعت: "هل تعرف ما هي الأسباب التي تُعطى لتبرير ذلك؟". جلس إرليندور في غرفة الاستجواب، ولكنّه بقيَ بعيداً. أتى لمساعدة إلينبورغ عند الحاجة وحسب. ولكن، لم تبدُ أنها بحاجة إلى أيّ مساعدة.

خفض الأب رأسه، ونظر إلى آلة التسجيل، ولكنّها كانت مطفأة. لم يكن استجواباً رسميًّا، ولم يتمّ إبلاغ محاميه، ولكنّ الأب لم يعترض بعد.

قالت إلينبورغ: "سأذكر لك بعضها". وبدأت تُعدّد أسباب لجوء الأهل إلى العنف مع أولادهم: "الإجهاد، المشاكل المالية، المرض، البطالة، العزلة، عدم تقديم الشريك المساعدة، وحالات الجنون العابرة".

نظرت إلينبورغ إلى الأب.

"هل تظنّ أنّ أيًّا من هذه الأسباب ينطبق عليك؟ حالات الجنون العابرة مثلاً؟".

لم يجبها.

"يفقد بعض الأشخاص السيطرة على أنفسهم. وثمّة حالات موثّقة عن آباء يتآكلهم الشعور بالذنب إلى حدّ أنّهم يرغبون بالوقوع بين يدي العدالة. هل يبدو لك ذلك مألوفاً؟".

لم يقل شيئاً.

"فيأخذون الطفل إلى الطبيب، ربّما طبيب أطفال، لأنّه يعاني من الزكام مثلاً، ولكنّ الزكام ليس هو ما يدفعهم إلى ذلك، بل يريدون أن يلاحظ الطبيب الجروح والكدمات، يريدون أن يُكتشف أمرهم. هل تعرف لماذا؟".

ظلّ جالساً بصمت.

"لأنّهم يريدون وضع حدّ لما يجري، يريدون من أحدٍ ما التدخّل، التدخّل في أمر لا يُسيطرون عليه. فهم يعجزون عن القيام بذلك بأنفسهم، ويأملون أن يدرك الطبيب وجود خطب ما".

نظرت إلى الأب، وراقب إرليندور ما يجري بصمت. شعر أنّ إلينبورغ تضغط عليه كثيراً، وتستهلك كلّ قوّتها لتتصرّف على نحو احترافي، وتُظهر

أنها غير متأثّرة بالقضيّة. ولكنّ الصراع بدا بلا جدوى، وأحسّ أنّها أدركت ذلك. كانت منفعلة جداً.

قالت إلينبورغ: "تكلّمتُ مع طبيب الأطفال، وقال إنّه أبلغ وكالة رعالة الأطفال مرّتين عن إصابات الطفل. حقّقت الوكالة في الأمر في كلتا المرّتين ولكنّها لم تجد أدلّة حاسمة، لا سيما وأنّ الطفل لم يقل شيئاً، وأنت لم تعترف بشيء. فالرغبة بانفضاح أمرك شيء والاعتراف شيء آخر. قرأتُ التقريرَين. سُئل الطفل في التقرير الثاني عن علاقته بك، ولكنه لم يفهم السؤال على ما يبدو. كرّروا السؤال: من هو أكثر من تثق به؟ فأجاب: أبي. أكثر من أثق به هو أبي".

توقّفت إلينبورغ.

ثمّ أضافت: "ألا تجد ذلك مروّعاً؟".

نظرت إلى إرليندور ومن ثمّ إلى الأب.

"ألا تجد ذلك مروّعاً؟".

فكّر إرليندور أنّه كان سيعطي الجواب نفسه في وقت من الأوقات، ولكان سمّى والده.

عندما أتى الربيع وذاب الثلج، ذهب أبوه إلى الجبال للبحث عن ابنه الضائع، محاولاً تقدير المسافة التي قطعها في العاصفة من المكان الذي عُثر فيه على إرليندور. بدا أنّه شُفيَ إلى حدّ ما، ولكنّ الشعور بالذنب ما زال يعذّبه.

جاب المستنقعات والجبال، وبحث حتّى في أماكن لن يصل إليها ابنه، ولكنّه لم يجد شيئاً. مكث في خيمة هناك، ورافقه إرليندور، كما شاركت أمّه في البحث. وفي بعض الأحيان أتى بعض الجيران لمساعدتهم، ولكن لم يُعثر على الصبيّ قطّ. كان من الأهميّة بمكان إيجاد الجثّة، وإلاّ لن يُعتبر ميتاً بكلّ معنى الكلمة، بل سيُعتبر مفقوداً. هكذا ظلّ الجرح مفتوحاً، ينزف حزناً مستمرًّا.

قاوم إرليندور ذلك الحزن بمفرده. شعر بالسوء، ولكن ليس بسبب خسارته أخاه وحسب. أرجع نجاته إلى الحظّ. ولكن، تملّكه إحساس غريب بالذنب لأنّه هو من أُنقذ عوضاً عن أخيه الأصغر. فهو لم يخسر أخاه في العاصفة فحسب، بل لاحقه هاجس أنّه هو من كان ينبغي له أن يموت. فقد كان الأكبر، والمسؤول عن أخيه. لطالما كان كذلك. اعتنى به عندما كانا يلعبان، وعندما مكثا بمفردهما في البيت، أو حين كانا يذهبان لشراء الحاجيات. تحمّل تلك المسؤوليّة على أكمل وجه، ولكنّه فشل في تلك المرّة،

وربّما لم يكن يستحقّ العيش بعد موت أخيه. لا يعرف لماذا بقيَ على قيد الحياة، ولكنّه تمنّى أحياناً لو كان هو من ضاع في الجبال.

لم يذكر تلك الأفكار لأبوَيه مطلقاً. لا، بل فكّر في لحظات وحدته أنّهما يعتقدان الشيء نفسه. غرق أبوه في الشعور بالذنب وأراد البقاء وحيداً، فيما سيطر الحزن على أمّه. كلاهما لاما نفسَيهما على ما حدث. ساد بينهما صمت غريب ابتلع أعلى الصرخات، بينما خاض إرليندور معركته وحده، وهو يفكّر بالمسؤوليّة واللوم والحظّ.

لو أنّهم لم يجدوه، هل كانوا سيجدون أخاه عوضاً عنه؟

وقف أمام النافذة في الفندق، وتساءل عن الأثر الذي تركه موت أخيه في حياته، وما إذا كان أكبر ممّا اعتقد. فكّر بتلك الأحداث عندما بدأت إيفا ليند تطرح عليه الأسئلة. ومع أنّه لم يملك إجابات بسيطة، إلاّ أنّه أدرك في أعماقه أين يجدها. لطالما طرح على نفسه الأسئلة نفسها التي طرحَتها عليه إيفا ليند وهي تستكشف ماضيه.

سمع إرليندور طرقة على بابه، فالتفت نحو الباب.

"ادخل! الباب ليس مقفلاً".

فتح سيغوردور أولي الباب ودخل.

كان قد أمضى اليوم بطوله في هافنارفيوردور وهو يتكلّم مع أشخاص من معارف غودلاوغور.

سأله إرليندور: "هل من جديد؟".

"عرفتُ الاسم الذي لُقّب به؛ ذاك الذي أطلق عليه بعدما انهار كلّ ما حوله".

"حسناً، من أخبرك به؟".

تنهّد سيغوردور أولي وجلس على السرير. كانت زوجته بيرغثورا تتذمّر من غيابه عن المنزل مؤخّراً بالرّغم من اقتراب الميلاد، واضطرارها إلى تولّي جميع الاستعدادات بنفسها. كان ينوي الذهاب إلى البيت واصطحابها لشراء الشجرة، ولكن عليه التحدّث أوّلاً مع إرليندور. شرح لها ذلك عبر الهاتف في طريقه إلى الفندق، وقال إنّه سيُسرع، ولكنّها سمعت تلك القصّة مراراً ولم تصدّقها، وثار غضبها عندما انتهيا من الكلام.

سأله سيغوردور أولي: "هل ستُمضي الميلاد بأكمله في هذه الغرفة؟".

أجاب إرليندور: "كلاّ، ماذا وجدتَ في هافنارفيوردور؟".

"لمَ الجوّ بارد جداً هنا؟".

"جهاز التدفئة معطّل، ألن تدخل في صلب الموضوع؟".

ابتسم سيغوردور أولي.

"هل تشتري شجرة عادة؟".

"لو أنّني أشتري شجرة، لفعلتُ ذلك في الميلاد".

"وجدتُ رجلاً قال لي بعد شيء من الإصرار إنّه كان يعرف غودلاوغور في الماضي". عرف سيغوردور أولي أنّ لديه معلومات من شأنها أن تغيّر مجرى التحقيق، وأنّه يستمتع بتشويق إرليندور.

كان سيغوردور أولي وإلينبورغ قد اتّفقا على التكلّم مع كلّ من كان في المدرسة مع غودلاوغور، أو كلّ من عرفه في طفولته. معظمهم يذكرونه، ويذكرون قليلاً نجاحه في الغناء والمضايقات التي رافقت شهرته. ولكنّ قلّة منهم يذكرونه جيّداً ويعرفون ما حدث عندما تسبّب بشلل أبيه. شخص واحد كان على علاقة وثيقة به، أكثر ممّا تخيّل سيغوردور أولي.

دلّته عليه زميلة قديمة لغودلاوغور، كانت تعيش في منزل كبير في أحدث أحياء هافنارفيوردور. اتّصل بها في ذلك الصباح، فوجدها بانتظاره عندما وصل. تصافحا ودَعته إلى الدخول. كانت زوجة طيّار، وعملَت بدوام جزئي في مكتبة. أمّا أولادها، فقد تركوا المنزل بعدما كبروا.

روت له جميع تفاصيل معرفتها بغودلاوغور، وإن كانت سطحيّة، كما تذكّرت قليلاً شقيقته التي تكبره. ما زالت تذكر حسب ظنّها أنّه فقد صوته، ولكنّها لم تعرف ما حلّ به بعدما تركوا المدرسة، وصُدمت عندما عرفت أنّه الرجل الذي وُجد مقتولاً في غرفة القبو الصغيرة في الفندق.

أصغى سيغوردور أولي إلى حديثها بشرود، فقد سمع معظم تلك التفاصيل من زملاء آخرين لغودلاوغور. وعندما انتهت، سألها إن كانت تعرف الاسم الذي لُقّب به غودلاوغور في طفولته بقصد مضايقته. لم تكن تذكر شيئاً عن ذلك، ولكنّها قالت عندما رأت سيغوردور أولي على وشك الرحيل، إنّها سمعت عنه شيئاً منذ زمن طويل قد يهمّ الشرطة، هذا ما لم تكن قد عرفَته أساساً.

سألها سيغوردور أولي، وهو يقف: "وما هو؟".

أخبرته به وسُرّت عندما لاحظت أنّها أثارت اهتمام التحرّي.

سألها: "أما زال هذا الرجل حيًّا؟". فأجابت أنّه ما زال حيًّا على حدّ علمها، وأعطَته اسمه. ذهبت لتحضر دليل الهاتف، وعثر سيغوردور أولي على اسم الرجل وعنوانه. كان يعيش في ريكيافيك، واسمه بالدور.

سألها سيغوردور أولي: "هل أنت واثقة من أنّه الرجل نفسه؟".

أجابت مبتسمة، على أمل أن تكون قد قدّمت بعض المساعدة: "أجل، على حدّ علمي. فقد كان محور حديث البلدة".

قرّر سيغوردور أولي الذهاب إلى هناك مباشرة، وهو يأمل أن يجد الرجل في منزله. كان الوقت متأخراً، والطريق إلى ريكيافيك مزدحمة، فاتّصل ببيرغثورا التي -

قاطعه إرليندور بنفاد صبر: "أرجوك، توقّف عن اللف والدوران".

قال مبتسماً: "كلاّ، هذا الجزء يتعلّق بك. فقد أرادت بيرغثورا أن تعرف ما إذا كنتُ قد دعوتك لتمضية ليلة الميلاد معنا. قلتُ لها إنّني فعلت، ولكنّك لم تجبني بعد".

قال إرليندور: "سأمضي ليلة الميلاد مع إيفا ليند، هذا هو الجواب. هلاّ دخلتَ في صُلب الموضوع من فضلك؟".

"حاضر".

"توقّف عن قول حاضر".

"حاضر".

كان بالدور يقطن في منزل خشبي جميل في حيّ ثينغولت قرب وسط المدينة، وكان قد وصل إلى منزله للتوّ، فهو مهندس معماري. رنّ سيغوردور أولي الجرس وعرّفه بنفسه قائلاً إنّه تحريّ يحقّق في مقتل غودلاوغور إجيلسون. لم يتفاجأ الرجل، بل نظر إلى سيغوردور أولي من رأسه حتّى قدمَيه ودعاه إلى الدخول.

قال: "في الحقيقة، توقّعتُ مجيئك، أو مجيء أحدكم. تساءلتُ ما إذا كان يجدر بي الاتّصال، ولكنّني كنتُ أؤجّل ذلك. فالحديث مع الشرطة ليس ممتعاً أبداً". ابتسم مجدّداً، وتناول معطف سيغوردور أولي ليعلّقه.

كان كلّ ما في المنزل أنيقاً ومرتّباً. رأى شموعاً مضاءة في غرفة الجلوس والشجرة المزيّنة. قدّم لسيغوردور أولي كأساً من الشراب، ولكنّه رفض. كان متوسّط الطول، نحيلاً، وبشوشاً. رأسه أصلع بمعظمه، ولكنّه صبغ ما بقيَ من شعره ليزيد من لونه الأشقر. ظنّ سيغوردور أولي أنّ الغناء المنبعث من مكبّرات الصوت هو لفرانك سيناترا.

سأله سيغوردور أولي وهو يجلس على أريكة حمراء كبيرة: "لماذا كنتَ تتوقّع مجيئي، أو مجيئنا؟".

أجاب الرجل وهو يجلس أمامه: "بسبب غولي، عرفتُ أنّكم ستنبشون هذه القصّة".

سأله: "أيّ قصّة؟".

"أنّني كنتُ مع غولي في الأيّام الخوالي".

سأله إرليندور: "ماذا تعني أنّه كان مع غودلاوغور في الأيّام الخوالي؟ ماذا يعني بذلك؟".

أجاب سيغوردور أولي: "هكذا قالها".

"قال إنّه كان مع غودلاوغور؟".

"أجل".

"ماذا يعني بذلك؟".

"أنّهما كانا معاً".

"تعني أنّ غودلاوغور...؟".

تسارعت الأفكار في ذهن إرليندور، وتوقّفت فجأة عند تعبير التجهّم على وجهَي شقيقة غودلاوغور وأبيه الجالس على كرسيّه المدولب.

قال سيغوردور أولي: "هذا ما قاله بالدور، ولكنّ غودلاوغور لم يشأ أن يعرف أحد".

"لم يشأ أن يعرف أحد بعلاقتهما؟".

27

قال ذاك الرجل القاطن في ثينغولت لسيغوردور أولي إنّهما تعرفا على بعضهما عندما كان غودلاوغور في الخامسة والعشرين من عمره تقريباً. حصل ذلك عندما استأجر بالدور شقّة في حيّ فوغار. لم يجرؤ أيّ منهما على إفشاء سره للعلن. قال مبتسماً: "كان موقف الناس من هذه الحالة مختلفاً في تلك الأيّام، ولكنّه كان قد بدأ يتغيّر".

أضاف بالدور: "كما أنّنا لم نعش معاً بالفعل. إذ لم يكن الرجال يعيشون معاً حينذاك من دون أيّ تردّد. ناهيك عن أنّ حياتهم في أيسلندا كانت صعبة، وكان معظمهم يفكّرون بالعيش في الخارج، كما تعلم. عوضاً عن ذلك، لنقل إنّه كان يزورني غالباً، ويُمضي الليل عندي. كانت لديه غرفة في الجزء الغربي من البلدة، وقد زرته فيها مرّتَين، ولكنّها لم تكن تلائم ذوقي، فتوقّفتُ عن الذهاب إلى هناك. كنّا نلتقي في منزلي عموماً".

سأله سيغوردور أولي: "كيف تعرّفت إليه؟".

"ثمّة أماكن كنا نلتقي فيها. كان أحدها قريباً من وسط المدينة، ليس بعيداً عن ثينغولت في الواقع. لم يكن نادياً، بل كان مكاناً للّقاء في منزل أحدهم. فالمرء لا يعرف ما الذي قد يحدث في النوادي، وقد يُطرد لأنّه لا يراقص الشريك الصحيح. هكذا، كان ذاك المنزل مزيجاً من كلّ شيء. فهو مقهى، ومضافة، ونادٍ، ومركز استشارة، وملجأ. أتى إليه في إحدى الأمسيات مع بعض الأصدقاء، وتلك كانت المرّة الأولى التي رأيته فيها. آسف، كم أنا سخيف، هل لي أن أقدّم لك فنجاناً من القهوة؟".

نظر سيغوردور أولي إلى ساعته.

قال الرجل، وهو يملّس شعره الرقيق المصبوغ بعناية: "ربّما أنت في عجلة من أمرك".

قال سيغوردور أولي، وهو يفكّر ببيرغثورا: "كلاّ، ليس كثيراً. بإمكاني أن أحتسي فنجاناً من الشاي إن شئت". كانت تغضب أحياناً عندما يتخلّف عن موعد، فهي تحبّ الدقّة وتتذمّر لاحقاً إن وصل متأخّراً.

دخل الرجل إلى المطبخ لتحضير الشاي.

قال من المطبخ، ورفع صوته ليسمعه سيغوردور أولي بشكل أفضل: "كان مقموعاً على نحو رهيب، وكنتُ أشعر أحياناً أنّه يكره وضعه، وكأنّه لم يتقبّله تماماً بعد. أظنّ أنّه كان يستخدم علاقتنا إلى حدّ ما لكي يجد طريقه. كان ما زال يبحث حتّى في تلك السنّ. ولكن بالطبع ليس هذا

جديداً. فبعض الناس يكتشفون ذلك في سنّ الأربعين، وربّما بعد الزواج وإنجاب الأطفال".

قال سيغوردور أولي، الذي لم يكن يملك فكرة عن الموضوع: "أجل، كلّ شيء ممكن".

"هذا صحيح، يا عزيزي. هل تحبّه متخمّراً؟".

"هل دامت علاقتكما طويلاً؟". وأضاف أنّه يحبّ الشاي متخمّراً.

"ثلاث سنوات تقريباً، ولكنّها كانت متقطّعة جداً في شهورها الأخيرة".

"ولم تعد على اتّصال به منذ ذلك الحين؟".

"كلاّ. كنتُ أسمع عنه أحياناً". وتابع وهو يرجع إلى غرفة الجلوس: "فمجتمعنا ليس كبيراً".

سأله سيغوردور أولي: "ما كان نوع القمع الذي عاشه؟". وضع الرجل فنجانَين على الطاولة، كما أحضر طبقاً من الكعك، كذاك الذي تحضّره بيرغثورا في الميلاد. حاول عبثاً أن يتذكّر اسمه.

"كان غامضاً جداً، ونادراً ما يفتح قلبه، ما لم يكن قد أكثر من الشراب. ولكن، أظنّ أنّ للأمر علاقة بأبيه، فهو لم يكن على اتّصال به أو بأخته الكبرى التي انقلبت ضدّه، غير أنّه افتقد إليهما كثيراً. كانت قد مضت عدّة سنوات على وفاة أمّه عندما التقيته، ولكنّه كان يتكلّم عنها أكثر ممّا يتكلم عن أخته وأبيه. لم يسأم من الحديث عنها، وكان ذلك متعباً في الحقيقة".

"كيف انقلبت أخته ضدّه؟".

"حدث ذلك منذ وقت طويل. ولم يروِ ما حدث بالتفصيل قطّ. كلّ ما أعرفه هو أنّه ناضل وكأنه كان يريد أن يكون على غير ما هو عليه".

هزّ سيغوردور أولي رأسه نافياً.

"ظنّ أنّه غير طبيعي".

"وناضل من أجل ذلك؟".

"إلى حدّ ما، وتردّد حياله. لا أظنّ أنّه كان يعرف على أيّ قدم يقف، ذلك المسكين. لم يكن يتمتّع بثقة بالنفس، وأظنّ أنّه كره نفسه أحياناً".

"هل تعرف شيئاً عن ماضيه؟ كنجم صغير؟".

قال الرجل: "أجل". ثمّ قام وذهب إلى المطبخ ليرجع بإبريق من الشاي الساخن الذي صبّه في الفنجانَين. أعاد الإبريق إلى المطبخ وجلسا يرتشفان الشاي.

قال إرليندور: "هلاّ أسرعتَ قليلاً؟". ولم يُخفِ قلّة صبره وهو جالس في تلك الغرفة أمام مكتبه يصغي إلى القصّة.

قال سيغوردور أولي وهو ينظر إلى ساعته: "أحاول ذكر ما أمكنني من التفاصيل". كان قد تأخّر على بيرغثورا ثلاثة أرباع الساعة.

"أجل، أجل، تابع".

سأله سيغوردور أولي، وهو يضع من يده فنجان الشاي ويتناول كعكة: "هل تكلّم عن ذلك يوماً؟ أعني عمّا عاناه في طفولته من جرّاء الشهرة؟".

أجاب بالدور: "قال إنّه خسر صوته".

"وهل كان يشعر بالمرارة بسبب ذلك؟".

"كثيراً. فقد كان التوقيت مريعاً بالنسبة إليه، ولكنّه لم يخبرني عن ذلك على الإطلاق. قال إنّه كان يتعرّض للمضايقة في المدرسة بسبب شهرته، وإنّ ذلك الأمر سبّب له الإحباط. ولكنّه لم يسمّها شهرة، فهو لم يكن يعتقد أنّه اشتُهر يوماً. أبوه هو من أراد ذلك، ويبدو أنّه أوشك على تحقيق ذلك الهدف. ولكنّه لم يشعر بالسعادة، وما زاد الأمر سوءاً هو أحاسيسه غير السويّة التي بدأت تظهر. امتنع عن التحدّث عنها، وفضّل عدم البوح بالكثير عن أسرته. تناولْ كعكة أخرى".

"كلاّ، شكراً. هل تعرف شخصاً قد يرغب بقتله؟ شخصاً يرغب بإيذائه؟".

"ربّاه، كلاّ! كان بالغ الرقّة، وما كان ليؤذي ذبابة. لا أعرف من الذي فعل ذلك، وكيف انتهى الأمر بذلك المسكين على هذا النحو. هل توصّلتم إلى شيء في التحقيقات؟".

"كلاّ. هل استمعتَ يوماً إلى أسطوانتَيه، هل تملكهما؟".

"بالتأكيد. فقد كان لامعاً جداً. غناؤه رائع، ولا أظنّ أنّني سمعت طفلاً يغنّي بهذا الشكل".

"هل كان فخوراً بغنائه عندما كبر؟ في الفترة التي عرفتَه فيها؟".

"لم يكن يُصغي إلى غنائه مطلقاً، ولم يرغب بسماع أسطوانتيه قطّ، مهما حاولت معه".

"لماذا؟".

"كان من المستحيل إقناعه بذلك. لم يعطني أيّ تفسير، ولكنّه لم يكن يستمع إلى أغانيه".

نهض بالدور، ثمّ توجّه إلى خزانة في غرفة الجلوس، وأحضر أسطوانتَي غودلاوغور ووضعهما على الطاولة أمام سيغوردور أولي.

"أعطاني إياهما بعد أن ساعدته على الانتقال".

"الانتقال؟".

"خسر الغرفة التي كان يعيش فيها في الجزء الغربي من البلدة، وطلب منّي مساعدته على الانتقال منها. وجد غرفة أخرى ووضع كلّ أغراضه فيها. لم يكن يملك في الواقع أيّ شيء باستثناء الأسطوانات".

"هل كان يملك الكثير منها؟".

"كان لديه أطنان".

"هل كان يستمع إلى شيء معيّن؟".

أجاب بالدور: "كلاّ، كانت كلّها متشابهة، إنها نسخ عن هاتَين الأسطوانتَين". وأشار إلى أسطوانتَي غودلاوغور. "لديه الكثير منها، فقد قال إنّه حصل على جميع النسخ".

قال له سيغوردور أولي، وهو غير قادر على إخفاء لهفته: "إذاً، لديه صناديق ممتلئة بنسخ عن هاتَين الأسطوانتَين؟".

"أجل، صندوقان على الأقلّ".

"وهل تعرف أين يمكن أن يكونا؟".

"أنا؟ كلاّ، لا فكرة لديّ إطلاقاً. أهي رائجة هذه الأيّام؟".

"أعرف شخصاً مستعدًّا لارتكاب جريمة من أجلها".

تحوّل وجه بالدور إلى علامة استفهام كبيرة.

"ماذا تعني؟".

أجاب سيغوردور أولي وهو ينظر إلى ساعته: "لا شيء، عليّ الذهاب. قد أحتاج إلى الاتّصال بك مجدّداً للسؤال عن بعض التفاصيل. وسيكون من المفيد أيضاً أن تتّصل في حال تذكرتَ شيئاً، مهما بدا لك تافهاً".

قال الرجل: "في الحقيقة لم تكن الخيارات واسعة في تلك الأيّام، ليس مثل اليوم، حيث تجد نصف الناس غير أسوياء والنصف الآخر يدّعي أنّه كذلك".

وابتسم لسيغوردور أولي الذي غصّ بالشاي.

قال سيغوردور أولي: "المعذرة".

"إنّه قويّ بعض الشيء".

وقف سيغوردور أولي وكذلك بالدور، الذي تبعه إلى الباب.

قال سيغوردور أولي وهو على وشك المغادرة: "تعرف أنّ غودلاوغور

كان يتعرّض إلى المضايقة في المدرسة، وأنّ زملاءه كانوا ينعتونه بألقاب. هل ذكر لك شيئاً عن ذلك؟".

"كان واضحاً أنّه تعرّض إلى المضايقة بسبب انتمائه إلى الجوقة، وامتلاكه صوتاً جميلاً، وعدم مشاركته في ألعاب كرة القدم، ولأنّ رجولته لم تكن ظاهرة للعيان كما يجب. كان يعطي انطباعاً عن قلّة ثقته بنفسه مع الآخرين. حدّثني وكأنّه يفهم لماذا كانوا يضايقونه، ولكنّه لم يذكر لي أيّ ألقاب...".

تردّد بالدور.

قال سيغوردور أولي: "نعم؟".

"عندما كنا معاً، أنت تعرف...".

هزّ سيغوردور أولي رأسه.

قال بالدور، وهو يبتسم: "كان يطلب منّي أحياناً مناداته أميرتي الصغيرة".

حدّق إرليندور إلى سيغوردور أولي.

"أميرتي الصغيرة؟".

"هذا ما قاله". نهض سيغوردور أولي عن سرير إرليندور. "والآن عليّ الذهاب حقاً، فلا بدّ من أنّ بيرغثورا تستشيط غضباً. إذاً، ستُمضي الميلاد في المنزل؟".

فسأله إرليندور بدوره: "وماذا عن صندوقَي الأسطوانات؟ أين هما يا ترى؟".

"لا يملك الشابّ أدنى فكرة".

"الأميرة الصغيرة؟ كما في فيلم شيرلي تمبل؟ ما معنى كلّ ذلك؟ هل شرح لك الرجل؟".

"كلاّ، لا يعرف السبب".

قال إرليندور، وكأنّه يفكّر بصوت عال: "ليس من الضروري أن يعني ذلك شيئاً خاصًّا، قد تكون لغة خاصّة بهم لا يفهمها غيرهم. قد لا تكون أكثر غرابة من أشياء كثيرة أخرى. إذاً، هل كان يكره نفسه حينذاك؟".

"قال صديقه إنّه لم يكن يثق بنفسه كثيراً، وكان متردّداً".

"بخصوص أحاسيسه أم بخصوص شيء آخر؟".

"لا أعرف".

"ألم تسأله؟".

"يمكننا التحدّث معه في أيّ وقت. ولكن، لم يبدُ لي أنّه يعرف الكثير عن غودلاوغور".

قال إرليندور بتكاسل: "ولا نحن، إن أراد إخفاء حقيقة وضعه قبل عشرين أو ثلاثين عاماً، فهل يمكننا افتراض أنّه استمرّ بذلك؟".

"هذا هو السؤال".

"لم يذكر شخص آخر أمامي أنّه غير سويّ".

قال سيغوردور أولي، متّجهاً إلى الباب: "أجل، حسناً، انتهى عملي اليوم. هل تريد شيئاً آخر؟".

"كلاّ، شكراً على الدعوة. أبلِغ بيرغثورا تحيّاتي، وحاول أن تكون لائقاً معها".

قال سيغوردور أولي: "أنا دائماً كذلك". وأسرع مغادراً. نظر إرليندور إلى ساعته ورأى أنّ موعد لقائه بفالغردور قد حان. أخرج آخر شريط من أشرطة المصرف من جهاز الفيديو ووضعه على سطح الجهاز. رنّ هاتفه في تلك اللحظة.

كانت إلينبورغ. قالت إنّها تكلّمت مع مكتب المدّعي العام بخصوص الأب الذي اعتدى على ابنه بالضرب.

سألها إرليندور: "ماذا سيحلّ به برأيهم؟".

"يظنّون أنّه قد ينجو بفعلته. لن تتمّ إدانته إن ظلّ على موقفه. إن واصل الإنكار، لن يُسجن إطلاقاً".

"وماذا عن الأدلّة؟ آثار الأقدام على السلّم؟ زجاجة الشراب؟ كلّ شيء يوحي أنّه -".

"لا أدري لماذا نُزعج أنفسنا. صدر حكم البارحة في قضيّة اعتداء. فقد تعرّض رجل للطعن تكراراً. حُكِم على المجرم بالسجن لثمانية أشهر، وتمّ تعليق أربعة منها، أي أنّه سيُسجن لشهرين فقط. أين العدالة في ذلك؟".

"هل سيستعيد الصبيّ؟".

"هو مصمّم على ذلك. الشيء الإيجابي الوحيد، هذا إن كان بالإمكان اعتباره إيجابيًّا، هو أنّ الولد يفتقد فعلاً إلى أبيه، وهذا ما لا أفهمه. كيف يمكن أن يتعلّق بوالده بهذا الشكل إن كان يضربه بعنف؟ أنا حقاً لا أفهم هذه القضيّة، لا بدّ من وجود حلقة مفقودة، لا بدّ من وجود أمر ما أغفلناه".

"سأكلّمك لاحقاً". نظر إلى ساعته، ولاحظ أنّه تأخّر على موعده. "هل يمكنك فعل شيء من أجلي؟ قالت ستيفانيا إجيلسدوتير إنّها كانت مع

صديقة لها في الفندق في ذلك اليوم. هلاّ تكلّمتِ مع المرأة وتأكدتِ من ذلك؟". وأعطاها إرليندور اسم المرأة.

سألته: "ألن تترك ذلك الفندق وتذهب إلى منزلك؟".

"كُفّي عن الحديث في هذا الموضوع". وأقفل الخطّ.

28

عندما نزل إرليندور إلى البهو رأى روزانت، رئيس النُّدل. تردّد وهو غير واثق ممّا يفعله، فلا بدّ من أنّ فالغردور بانتظاره. نظر إلى ساعته، ثمّ توجّه نحو رئيس النُّدل. لن يستغرق ذلك طويلاً.

قال بلا مقدّمات: "أخبرني عن أعمال المومسات". كان روزانت يتكلّم بكياسة مع اثنين من نزلاء الفندق. ومن الواضح أنّهما أيسلنديان، لأنّهما نظرا إليه بذهول.

ابتسم روزانت، وارتفع شاربه الصغير. اعتذر بتهذيب من الضيفَين، ثمّ انحنى، وأخذ إرليندور جانباً.

قال إرليندور: "الفندق مجرّد أشخاص، وعملنا يوجب علينا تأمين الراحة لهم. ألم تقل هراء من هذا القبيل؟".

"هذا ليس هراءً، بل تعلّمناه في المدرسة الفندقيّة".

"هل علّموكم أيضاً كيف يكون رؤساء النُّدل قوّادين؟".

"لا أعرف عمّا تتكلّم".

"إذاً سأُخبرك. أنت تدير أعمالاً مشينة في هذا الفندق".

ابتسم روزانت.

"أعمالاً مشينة؟".

"هل للأمر علاقة بغودلاوغور؟". هزّ روزانت رأسه نافياً.

"من كان مع غودلاوغور عندما قُتل؟".

حدّقا إلى بعضهما إلى أن تراجع روزانت ونظر إلى الأرض.

قال أخيراً: "لا أعرف أحداً كان معه".

"ألم تكن أنت؟".

"قام أحد رجالك بأخذ إفادتي، وأخبرتُه أين كنت".

"هل كان غودلاوغور متورّطاً مع المومسات؟".

"كلاّ. وأنا لا أدير أيّ عمل له علاقة بالمومسات. لا أعرف من أين أتيتَ بتلك القصص عن السرقة في المطبخ وعن الأعمال المشينة. هذا هراء، أنا لستُ قوّاداً".

"ولكن -".

"لدينا بعض المعلومات من أجل الناس، من أجل الزّوار الأجانب الذين يُدعون إلى المؤتمرات، والأيسلنديين أيضاً. يسألون عن شريكة ونحن نحاول المساعدة. إن التقَوا نساء جميلات هنا في المقاهي وأعجبهم الأمر -".

"سيكون الجميع سعداء. ألا يُظهر أولئك الزبائن امتنانهم؟".

"بلى بالطبع".

قال إرليندور: "إذاً، أنت تؤمّن لهم مرافقة".

"أنا...".

"كم تحاول أن تجعل ذلك يبدو رومانسيًّا. ومدير الفندق مشترك معك في ذلك. ماذا عن مدير الاستقبال؟".

تردّد روزانت.

كرّر إرليندور سؤاله: "ماذا عن مدير الاستقبال؟".

"لا يشاركنا رغبتنا بإرضاء رغبات الزبائن المختلفة".

قلّده إرليندور قائلاً: "رغبات الزبائن المختلفة. أين تعلّمتَ هذا الكلام؟".

"في المدرسة الفندقيّة".

"وكيف يتمّ التوفيق بين رأي مدير الاستقبال ورأيكما؟".

"تقع خلافات من وقت إلى آخر".

تذكّر إرليندور كيف أنكر مدير الاستقبال وجود مومسات في الفندق، وفكّر أنّه الشخص الوحيد في الإدارة الذي يحاول الحفاظ على سمعة الفندق.

"ولكنّك تحاول إزالة تلك الخلافات، أليس كذلك؟".

"لا أعرف عمّا تتكلّم".

"هل يعترض طريقك؟".

لم يُجب روزانت.

"أنت من أرسل إليه تلك المرأة، أليس كذلك؟ كتحذير صغير في حال كان ينوي قول شيء. كنتَ في المدينة، ورأيتَه وسلّطتَ عليه إحدى المومسات".

جمد روزانت في مكانه.

كرّر قائلاً: "لا أعرف عمّا تتكلّم".

"كلاّ، أنا واثق من أنّك لا تعرف".

قال روزانت، وتحرّك شاربه بتوجّس: "إنّه صادق إلى حدّ مفرط. يرفض أن يفهم أنّه من الأفضل لنا أن ندير هذا الأمر بأنفسنا".

كانت فالغردور بانتظاره في المقهى. كما في لقائهما السابق، زيّنت وجهها بقليل من مساحيق التجميل التي أبرزت قسماتها، وارتدت قميصاً

حريريًّا أبيض تحت معطف جلدي. تصافحا وابتسمت له مربكة. تساءل ما إذا كان هذا اللقاء بداية جديدة لمعرفتهما. لم يعرف ما الذي أرادته، بعدما قالت الكلمة الأخيرة بخصوص صداقتهما عندما التقيا في البهو. سألته مبتسمة ما إذا كانت تستطيع أن تقدّم له شراباً، أو إن كان ذلك ممنوعاً لأنّه في دوام العمل؟

قالت: "في الأفلام، لا يشرب رجال الشرطة في أثناء العمل".

قال إرليندور مبتسماً: "أنا لا أشاهد الأفلام".

"كلاّ، بل تقرأ كتباً عن العذاب والموت".

جلسا في إحدى زوايا المقهى، يراقبان الناس وهم يمرّون حولهما. مع اقتراب الميلاد، شعر إرليندور أنّ ضيوف الفندق يزدادون صخباً، بينما كانت أغاني الميلاد تذاع بلا انقطاع، والسيّاح يُحضرون علباً مبهرجة ويتناولون الشراب وكأنّهم لا يدركون أنّه الأغلى في أوروبا، هذا إن لم يكن في العالم.

قال: "تمكّنتِ من الحصول على عيّنة من لعاب وابشوت".

"أيّ نوع من الرجال هو على أيّ حال؟ لقد اضطُرّوا إلى تمديده على الأرض وإجباره على فتح فمه. كانت ردّة فعله مريعة، وقاومهم وهو داخل زنزانته".

قال إرليندور: "لا أفهمه حقاً. لا أعرف ماذا يفعل هنا بالضبط، ولا أعرف تماماً ماذا يُخفي".

لم يشأ الخوض في التفاصيل حول وابشوت، أو التكلّم عن الأفلام التي يشاهدها، والأحكام التي صدرت بحقّه في بريطانيا بسبب جرائمه. لم يشعر أنّه موضوع لائق للتحدّث فيه مع فالغردور، كما أنّ لوابشوت الحقّ- رغم كلّ شيء- بعدم التكلّم عن حياته الخاصّة أمام أيّ كان.

قالت فالغردور: "أظنّ أنّك أكثر اعتياداً على ذلك منّي".

"لم يسبق لي أن أخذتُ عيّنة لعاب من رجل أُلقيَ على الأرض وهو يصيح ويتخبّط مرعوباً".

ضحكت فالغردور.

قالت: "ليس هذا ما عنيته. في الواقع، أنا لم أجلس بمفردي مع رجل غير زوجي لمدّة ثلاثين عاماً على ما أظنّ. لذا، اعذرني إن تصرّفتُ بشيء من... الجبن".

"وأنا أشعر بالإرباك أيضاً، فأنا لا أملك خبرة واسعة. انفصلتُ عن زوجتي منذ ربع قرن تقريباً، ويمكنكِ عدّ النساء اللواتي عرفتهنّ في حياتي على ثلاث أصابع".

قالت فالغردور بكآبة: "أظنّ أنّني سأنفصل عنه".

"ماذا تعنين؟ ستُطلّقين زوجك؟".

"أظنّ أنّ علاقتنا انتهت، وأودّ الاعتذار منك".

"منّي؟".

"أجل، منك، فقد تصرّفتُ بحماقة. كنتُ سأستخدمك للانتقام".

قال إرليندور: "لا أفهم".

"ولا أنا. أُصبتُ بصدمة منذ أن اكتشفتُ ما يجري".

"ماذا؟".

"إنّه يخونني".

قالت ذلك وكأنّه واقعٌ لا بدّ لها من التعايش معه، ولم يستطع إرليندور أن يعرف ما تشعر به، ولكنّه أحسّ بفراغ خلف كلماتها.

تابعت: "لا أعرف متى بدأ ذلك أو لماذا".

ثمّ توقّفت عن الكلام وظلّ إرليندور صامتاً هو أيضاً، لأنّه لم يجد ما يقوله.

سألته فجأة: "هل خنتَ زوجتك؟".

"كلاّ، لم يكن ذلك هو السبب. كنّا شابَّين ولم ننسجم معاً".

كرّرت فالغردور: "تنسجمان، ما معنى ذلك؟".

"وهل ستنفصلين عنه؟".

"أحاول التفكير بالوضع. قد يعتمد ذلك على ما سيفعله".

"ما هو نوع تلك العلاقة؟".

"نوعها؟ وهل ثمّة فرق؟".

"هل هي علاقة مستمرّة منذ سنوات أم بدأت للتوّ؟ هل أقام علاقات غيرها؟".

"يقول إنّه يعاشر المرأة نفسها منذ عامين. لم أجرؤ على سؤاله عن الماضي، وما إذا كان قد عرف غيرها، أو إن كانت هناك علاقات لم أعرف بها. فالمرء لا يمكنه أن يتوقّع شيئاً. تثق بالناس، وبالزوج، وفجأة يبدأ بالحديث عن الزواج، ثمّ يتعرّف على هذه المرأة، ويُقيم علاقة معها لسنتَين، وأنا غافلة تماماً. لا أفهم ما الذي يتحدّث عنه. ثمّ أكتشف أنّه يلتقيها في الفنادق؛ في مثل هذا الفندق...".

صمتت فالغردور.

"أهي متزوجة، تلك المرأة؟".

"إنّها مطّلقة، تصغره بخمس سنوات".

"هل أعطى سبباً لتلك العلاقة، لماذا -؟".

"هل تعني ما إذا كانت غلطتي؟".

"كلاّ، لم أعنِ...".

"ربّما كانت غلطتي، لا أعرف. فهو لم يعطِ تفسيرات، لم أرَ سوى الغضب والإبهام".

"وماذا عن ولدَيك؟".

"لم نخبرهما، فكلاهما تركا المنزل. لم نكن نملك وقتاً كافياً لنا عندما كانا معنا، ثمّ توفّر لنا الكثير من الوقت بعد رحيلهما. ربّما لم نعد نعرف بعضنا، وأصبحنا غريبَين بعد كلّ تلك السنوات".

خيّم عليهما الصمت.

قال إرليندور أخيراً، وهو ينظر إليها: "ليس عليك الاعتذار عن شيء، بل على العكس، أنا من يجب عليه أن يعتذر منك لأنّني لم أكن صريحاً معك، بل كذبتُ عليك".

"كذبتَ عليّ؟".

"سألتني لماذا أهتمّ بقصص الموت في الجبال وفي العواصف، ولم أخبرك بالحقيقة. هذا لأنّني لم أبح بها لأحد، ولأنّني أجد الأمر صعباً على ما أظنّ. فأنا أعتبره شأني وحدي، ولم أُطلع عليه أحداً؛ حتّى ولدَيّ. أوشكَت ابنتي على الموت، وعندها فقط شعرتُ بالحاجة إلى التكلّم معها عنه، وإخبارها به".

سألته: "التكلّم عن ماذا؟ هل حدث شيء معك؟".

قال: "تجمّد أخي حتّى الموت، عندما كان في الثامنة من عمره. لم نعثر عليه قطّ، وما زال مفقوداً".

ها قد أخبر امرأة غريبة عنه تماماً، في مقهى فندق، بهمّ كان يجثم على صدره منذ زمن طويل. ربّما لم يعد راغباً بخوض تلك الحرب بعد اليوم.

قال: "ثمّة رواية عنّا في أحد تلك الكتب التراجيديّة التي أقرأها دائماً. تروي قصّة ما حدث عندما مات أخي، وتتحدّث عن أعمال البحث، والكآبة والحزن اللذين لفّا منزلنا. إنّها رواية دقيقة جداً في الواقع، رواها أحد قادة فريق الإنقاذ، وكتبها صديق لوالدي. ترِد فيها أسماؤنا جميعاً، وتصف منزلنا، وردّة فعل أبي التي اعتُبرت غريبة، لأنّه غرق في اليأس التامّ وعذاب الضمير، وجلس ساكناً في غرفته شارداً في الفراغ، بينما بذل الجميع كلّ ما في وسعهم للبحث عن أخي الضائع. لم يُطلب منّا الإذن لنشر تلك الرواية،

وقد انزعج منها والداي كثيراً. يمكنني أن أريك إيّاها يوماً ما إن أردتِ".

هزّت فالغردور رأسها موافقة.

بدأ إرليندور بإخبارها ما حدث، فجلست مصغية. وعندما انتهى، استندت إلى كرسيّها وتنهّدت.

سألته: "إذاً، لم تعثروا عليه مطلقاً؟".

هزّ إرليندور رأسه نافياً.

"بعد مرور زمن طويل على ذلك، وحتّى اليوم أحياناً، أتخيّل أنّه لم يمت. أفكّر في أنّه خرج من الجبل، وهو يعاني من حروق الثلج وقد فقد ذاكرته، وأنّني سألتقيه يوماً ما. أبحث عنه بين جموع الناس، وأحاول أن أتخيّل شكله. يبدو أنّ ردّة الفعل هذه ليست غريبة عندما لا يتمّ العثور على جثّة الشخص المفقود. أعرف ذلك من خلال عملي في الشرطة. عندما لا يتبقّى أيّ شيء آخر، يبقى الأمل".

قالت فالغردور: "لا بدّ من أنّكما كنتما مقرّبَين".

"كنّا صديقَين مقرّبين".

جلسا بصمت، يراقبان الهرج والمرج في الفندق، كلٌّ من عالمه. فرغت كأساهما ولم يفكّرا بطلب المزيد. مرّ بعض الوقت قبل أن ينحني إرليندور نحوها ويطرح عليها بصوت متردّد سؤالاً يدور في ذهنه منذ أن بدأت تتكلّم عن خيانات زوجها.

"أما زلتِ راغبة بالانتقام منه؟".

نظرت إليه فالغردور، وهزّت رأسها بالإيجاب.

قالت: "ولكن، ليس الآن، لا أستطيع...".

قال: "كلاّ، أنت محقّة، بالطبع".

"فلتخبرني عن أحد أولئك المفقودين الذين تقرأ عنهم دائماً".

ابتسم إرليندور، ثمّ فكّر لبعض الوقت وبدأ يروي لها قصّة رجل اختفى أمام أعين الجميع: جون بيرغثورسن، لصّ من سكاغافيوردور.

ذهب إلى جليد ساحل سكاغي لإحضار سمكة قرش علقَت في فجوة في الجليد في اليوم السابق. فجأة، هبّت رياح جنوبية، وبدأ المطر ينهمر، فانفصل جبل الجليد وانجرف إلى البحر وجون على سطحه. كان إنقاذه بالزورق مستحيلاً بسبب العاصفة، فانجرف الجليد شمالاً خارج الفيورد، بفعل الرياح الجنوبية.

كانت آخر مرّة شوهد فيها جون هي من خلال منظار، وهو يروح ويجيء على سطح الجبل الجليدي في الأفق الشمالي النائي.

29

كان تأثير الموسيقى الهادئة منوّماً، فخيّم عليهما الصمت إلى أن مدّت فالغردور يدَها وأمسكت بيده.

قالت: "يجدر بي الذهاب الآن".

هزّ إرليندور رأسه، ثمّ وقفا. طبعت قبلة على خدّه وعانقَته للحظة.

لم يلاحظ أيّ منهما إيفا ليند وهي تدخل إلى المقهى وتراهما من بعيد. رأتهما يقفان، ورأتها تقبّله وتعانقه. ارتعشت إيفا وتوجّهت نحوهما.

سألته وهي تحدّق إليهما: "من هي هذه العجوز؟".

وبّخها إرليندور قائلاً: "إيفا، كوني مهذّبة". فوجئ لدى ظهور ابنته فجأة في المقهى.

مدّت فالغردور يدها فنظرت إليها إيفا ليند، ثمّ نظرت إلى وجه فالغردور ومن ثمّ إلى اليد الممدودة مجدّداً. راقبهما إرليندور، ثمّ حدّق إلى إيفا بغضب.

قال: "اسمها فالغردور وهي صديقة عزيزة".

نظرت إيفا إلى أبيها ومن ثمّ إلى فالغردور مجدّداً، ولكنّها لم تصافحها. استدارت فالغردور بابتسامة مربكة، فتبعها إرليندور إلى الخارج، وراقبها وهي تعبر البهو. لحقت به إيفا ليند.

سألته: "من هذه؟ هل بدأتَ تشتري مومسات هنا في المقهى؟".

"كيف تتكلّمين بهذه الفظاظة؟ كيف تتصرّفين على هذا النحو؟ هذا ليس من شأنك. دعيني بسلام!".

"صحيح! تحشر أنفك بشؤوني لمدة أربع وعشرين ساعة في اليوم، ولكن لا يُسمح لي بمعرفة من تصاحب في هذا الفندق!".

"توقّفي عن الكلام بهذه الطريقة! كيف تسمحين لنفسك بالتكلّم معي هكذا؟".

سكتت إيفا ليند، وحدّقت بغضب إلى أبيها الذي بادلها النظرات الحانقة.

صاح في وجهها: "ماذا تريدين منّي أيّتها الفتاة؟". ثمّ لحق بفالغردور. كانت قد غادرت الفندق ورآها عبر الباب الدوّار وهي تستقلّ سيّارة أجرة. عندما وصل إلى الرصيف، رأى الأضواء الحمراء الخلفيّة للسيّارة تبتعد وتختفي عند المنعطف.

راح إرليندور يشتم وهو يرى السيّارة تبتعد عن الأنظار. لم يكن في

مزاج مناسب للعودة إلى المقهى ليجد إيفا ليند بانتظاره. فدخل الفندق بشرود، ونزل إلى القبو، ليجد نفسه في الممرّ المؤدّي إلى غرفة غودلاوغور قبل أن يدرك ذلك. وجد زرّ نور فضغط عليه، ليُضيء ظلام الممرّ بضوء خافت انبعث من المصابيح القليلة المتبقّية. تلمّس طريقه إلى أن وصل إلى الغرفة الصغيرة، ثمّ فتح الباب وأضاء المصباح. وقعت عيناه على الفور على ملصق شيرلي تمبل.

الأميرة الصغيرة.

سمع خطًى خفيفة في الممرّ، وظهرت إيفا ليند عند الباب.

قالت إيفا وهي تنظر إلى الغرفة: "قالت الفتاة في الأعلى إنّها رأتك تنزل إلى القبو". وقع نظرها على بقع الدماء على السرير. "هل وقعت الجريمة هنا؟".

"أجل".

"ما هذا الملصق؟".

"لا أعرف. لا أفهم كيف تتصرّفين أحياناً. لا ينبغي عليك إهانتها ورفض مصافحتها، فهي لم تسبّب لك أيّ أذى".

لم تقل إيفا ليند شيئاً.

"عليك أن تخجلي من نفسك".

"أنا آسفة".

لم يجبها إرليندور، بل وقف وهو يحدّق إلى الملصق الذي ظهرت فيه شيرلي تمبل مبتسمة، ومرتدية ثوباً صيفيًّا جميلاً، وقد رُبط شعرها بشريط. الأميرة الصغيرة . أُنتج الفيلم عام 1939، ويستند إلى قصّة فرانسيس هودغسون بيرنت. أدّت فيه تمبل دور فتاة مفعمة بالحياة، أُرسلت إلى مدرسة داخليّة في لندن عندما سافر والدها إلى الخارج، وتركها برعاية مديرة قاسية.

وجد سيغوردور أولي نبذة عن الفيلم على شبكة الإنترنت، ولكنّ ذلك لم يساعدهما على فهم سبب وجود هذا الملصق في غرفة غودلاوغور.

فكّر إرليندور، الأميرة الصغيرة.

قالت إيفا ليند من خلفه: "لم أستطع الامتناع عن التفكير بأمّي عندما رأيتها معك في المقهى، وبي وبسيندري؛ ولدَيك اللذين لم تُبدِ أيّ اهتمام بهما. فكّرتُ بنا جميعاً كأسرة، لأنّه مهما يكن رأيك ما زلنا أسرة، في ذهني على الأقلّ".

صمتت.

استدار إرليندور لينظر إليها.

تابعت قائلة: "لا أفهم سبب ذلك الإهمال، لا سيّما نحوي ونحو سيندري. لا أفهمه. كما أنّك لا تساعد على ذلك، فأنت لا تتكلّم أبداً عن شؤونك، لا تتكلّم عن أيّ شيء، وكأنّك جدار أخرس".

"لماذا تريدين شرحاً لكلّ شيء؟ بعض الأمور لا يمكن شرحها، وبعضها لا يحتاج إلى الشرح".

"هذا ما يقوله الشرطي!".

قال إرليندور: "يتكلّم الناس كثيراً. ولكن، عليهم أن يصمتوا أكثر، وهكذا لا يفضحون أنفسهم".

"أنت تتكلّم عن المجرمين، ولا تفكّر سوى بالمجرمين. نحن أسرتك!".

خيّم عليهما الصمت.

قال إرليندور أخيراً: "ربّما ارتكبت أخطاء، ليس مع أمّك على ما أظنّ. ربّما فعلت، لا أعرف. الطلاق يقع دائماً، وشعرت أنّ العيش معها لا يُحتمل. أنا أخطأت بالتأكيد في حقّكما أنت وسيندري، وربّما لم أقدّر حجم الخطإ حتّى عثرتِ عليّ وبدأتِ بزيارتي، وأحضرتِ أخاك معك أحياناً. لم أُدرك أنّني أملك ولدَين، وأنّني لم أكن على اتّصال بهما خلال طفولتهما، ولدَين ضلاّ طريقهما في بداية حياتهما. أخذتُ أتساءل ما إذا كان لغيابي دور في ذلك. فكّرت كثيراً بأسباب ما حدث، مثلك تماماً. لماذا لم أذهب إلى المحكمة وأحصل على حقوقي الأبويّة، وأحارب بكلّ قوّتي للحصول عليكما؟ لماذا لم أبذل جهداً أكبر لإقناع أمّكما والتوصّل إلى اتّفاق، أو أعمد حتّى إلى خطفكما من أمام المدرسة؟".

"لم تكن تكترث بنا، أليس كذلك؟".

لم يقل إرليندور شيئاً.

كرّرت إيفا: "أليس هذا هو السبب؟".

هزّ إرليندور رأسه نافياً.

قال: "كلاّ، أتمنّى لو أنّ الأمور كانت بتلك البساطة".

"بتلك البساطة؟ ماذا تعني؟".

"أظنّ...".

"ماذا؟".

"لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك. أظنّ...".

"نعم".

"أظنّ أنّني خسرتُ حياتي في الجبال أنا أيضاً".

"عندما مات أخوك؟".

"يصعب عليّ شرح ذلك، وربّما لن أستطيع. ربّما لا يمكن شرح كلّ شيء، ومن الأفضل ترك بعض الأشياء على غموضها".

"ماذا تعني بقولك خسرتَ حياتك؟".

"أنا لا... جزء منّي هو الذي مات".

"أرجوك...".

"لقد تمّ العثور عليّ وإنقاذي، ولكنّني متُّ أنا أيضاً. مات شيء في داخلي كنتُ أملكه من قبل. لا أعرف ما هو بالضبط. مات أخي وأظنّ أنّ شيئاً في داخلي مات معه. لطالما شعرت أنّه مسؤول منّي، وأنّني خذلته. هكذا فكّرتُ منذ تلك الحادثة. أحسست بالذنب لأنّني أنا من ظلّ على قيد الحياة، لا هو. تجنّبتُ مواجهة الأمور منذ ذلك الوقت. وحتّى إن لم يتمّ إهمالي بشكل مباشر، كما أهملتكما أنت وسيندري، غير أنّني شعرت أنّني لم أعد مهمًّا. لا أعرف إن كنت على حقّ، ولن أعرف أبداً. ولكن، هذا ما أحسست به عندما أتيت من الجبل، ورافقني هذا الإحساس منذ ذلك الحين".

"كلّ تلك السنوات؟".

"لا يمكن قياس الزمن بالمشاعر".

"لأنّك أنت من بقيَ على قيد الحياة، لا هو".

"عوضاً عن محاولة بناء شيء من الأنقاض، وهذا ما حاولت فعله على ما أظنّ عندما التقيتُ أمّك، غصتُ فيها أكثر لأنّها مريحة وبدت مثل الملجأ. تماماً كما حدث معك وأنت تتعاطين المخدّرات، فهي مريحة أكثر، جعلت منها ملجأك. وكما تعرفين، حتّى لو أدركتِ أنّك تسبّبين الأذى لمن حولك، إلاّ أنّ ذاتك تصبح أكثر أهميّة. لهذا السبب تستمرّين بتعاطي المخدّرات، ولهذا السبب كنتُ أغرق أكثر في الثلوج".

حدّقت إيفا ليند إلى أبيها، ومع أنّها لم تفهمه تماماً، إلاّ أنّها أدركت محاولاته الصادقة لتفسير ما حيّرها كلّ ذلك الوقت ودفعها إلى البحث عنه. فهمت أنّها دخلت مكاناً لم يسمح لأحد غيرها بدخوله، ولا حتّى لنفسه، إلاّ للتأكّد من أن كلّ شيء ما زال على حاله.

"وماذا عن تلك المرأة؟ أين مكانها في الصورة؟".

هزّ إرليندور كتفَيه، وبدأ يغلق الباب الذي انفتح قليلاً.

قال: "لا أدري".

جلسا بصمت لبعض الوقت إلى أن اعتذرت إيفا، ورغبت في الرحيل. حدّقت إلى الظلام في آخر الممرّ، غير واثقة من الاتّجاه الذي يجب أن تسلكه، ولاحظ إرليندور فجأة أنّها تشمّ رائحة ما في الهواء.

سألته: "هل تشمّ هذه الرائحة؟".

"أيّ رائحة؟ عمّ تتحدّثين؟".

"إنها رائحة، مخدّرات. هل تعني أنّك لم تشمّ قطّ رائحة الحشيش؟".

"حشيش؟".

"ألم تلاحظ ذلك؟".

خرج إرليندور إلى الممرّ وبدأ يشمّ الهواء هو أيضاً.

سألها: "هل تلك هي رائحته؟".

"أنت تسأل خبيرة".

كانت لا تزال تشمّ الهواء.

قالت: "ثمّة من كان يدخّن الحشيش هنا، وليس منذ وقت طويل".

كان إرليندور يعرف أنّ فريق الطبّ الشرعي أضاء آخر الممرّ عندما نُقلت الجثّة، ولكنّه لم يكن واثقاً ممّا إذا كانوا قد أجرَوا عليه مسحاً دقيقاً.

نظر إلى إيفا ليند.

"الحشيش؟".

أجابت: "تلك رائحته".

عاد إلى الغرفة، ثمّ حمل كرسيًّا ووضعه في الممرّ تحت أحد أزرار النور السليمة، ثمّ فكّه. كان الزرّ حامياً واضطرّ إلى استعمال كمّ سترته لإمساكه. وجد زرًّا محترقاً في آخر الممرّ، فقام بتبديله. فجأة أُضيء ذلك الجزء، وقفز إرليندور عن الكرسي إلى الأرض.

لم يريا في البداية شيئاً مهمًّا، إلى أن أشارت إيفا ليند إلى مدى نظافة الكوّة في آخر الرواق مقارنة ببقيّة أجزائه. هزّ إرليندور رأسه موافقاً. فقد بدا وكأنّه تمّ تنظيف كلّ بقعة من الأرض ومسح الجدران.

انحنى إرليندور وجثا على ركبتَيه لتفحّص الأرض عن كثب. كان ثمّة أنابيب تدفئة ممتدّة على الجدران عند مستوى الأرض، فنظر تحتها وهو يزحف قربها.

رأته إيفا ليند يتوقّف ويُخرج من تحت الأنبوب شيئاً ما لفت انتباهه. وقف، وأتى إليها ليُريها ما عثر عليه.

قال وهو يمسك بكتلة بنيّة صغيرة بين أصابعه: "ظننته في البداية

روث فئران".

سألته إيفا ليند: "ما هذا؟".

"شاش".

"شاش؟".

"أجل، يحتوي على مضغة تبغ توضَع تحت الشفاه. ألقاها أحدهم أو بصقها هنا في هذا الممرّ".

"ولكن من؟ من الذي يُمكن أن يكون في هذا الممرّ؟".

نظر إرليندور إلى إيفا، وقال: "شخص أكثر سوءًا منّي".

ليلة الميلاد

وجد أوسب تنظّف الأرض في غرفة فوق غرفته، فصعد السلّم نحوها بعدما تناول القهوة والخبز المحمّص من "بوفيه" الفطور.

اتّصل بسيغوردور أولي بخصوص بعض المعلومات التي يريد منه جمعها، كما اتّصل بإلينبورغ ليعرف ما إذا كانت قد استجوبت المرأة التي ادّعت ستيفانيا أنّها التقتها في الفندق. ولكنّ إلينبورغ لم تكن في المركز ولم تُجب على هاتفها الخلوي.

تمدّد إرليندور على سريره صاحياً حتّى الصباح، في الظلام الدامس. وعندما نهض أخيراً، نظر من نافذة الفندق. سيكون الميلاد أبيض هذا العام. فقد تساقط الثلج بكثافة، كما بدا من مصابيح الشارع، وشكّل خلفيّة رائعة لليلة الميلاد.

كانت إيفا ليند قد ودّعته في ممرّ القبو، واتّفقا على اللقاء في منزله في تلك الليلة. كانا سيعدّان اللحم المدخّن، وعندما نهض بدأ يفكّر بالهدية التي سيقدّمها إليها. سبق أن قدّم لها هدايا صغيرة عندما بدأت تمضي الميلاد معه، بينما أهدته جوارب اعترفت أنّها سرقتها، وقفّازات، قالت إنّها اشترتها وسرعان ما أضاعها. لم تسأله عنها قطّ. وربّما كان الجانب الذي يحبّه في ابنته هو أنّها لا تطرح أسئلة إلاّ بخصوص المسائل الهامّة.

أعطاه سيغوردور أولي المعلومات. لم تكن مهمّة، ولكنّها كافية للاستمرار. لم يعرف إرليندور ما الذي يبحث عنه بالضبط، ولكنّه فكّر في أنّ فرضيّته تستحقّ البحث.

راقبها وهي تعمل، إلى أن لاحظت وجوده. لم يبدُ عليها أيّ الاستغراب لدى رؤيتها إيّاه.

سألته، وكأنّه أكثر نزلاء الفندق خمولاً: "هل استيقظت؟".

أجابها: "لم أتمكّن من النوم بسهولة. في الواقع، كنتُ أفكّر بك طيلة الليل".

سألته وهي تضع كومة من المناشف في سلّة الغسيل: "بي أنا؟ أتمنّى ألاّ تكون أفكارك قذرة، فقد اكتفيتُ من العجائز القذرين في هذا الفندق".

"كلاّ، ليست أفكاراً قذرة".

"سألني فاتسو ما إذا كنتُ قد ملأتُ رأسك بالأكاذيب، كما وبّخني الطاهي وكأنّني كنتُ أسرق من مائدته. عرفوا أنّنا تكلّمنا".

قال إرليندور: "الكلّ يعرف تقريباً كلّ شيء عن كلّ من في هذا

الفندق، ولكنّهم نادراً ما يقولون شيئاً عن أحد. وهؤلاء الناس يصعب التعامل معهم، مثلك أنت مثلاً".

"أنا؟". دخلت أوسب إلى الغرفة التي كانت تنظّفها وتبعها إرليندور كما فعل من قبل.

"أنت تقولين كلّ شيء، وأنا أصدّق كلامك لأنّك تعطين الانطباع بأنّك صادقة. ولكنّك لا تقولين سوى جزء ممّا تعرفينه، وهو أيضاً كذب. وهذا خطير بالنسبة إلينا نحن رجال الشرطة، أعني هذا النوع من الكذب. هل تعرفين ما أتكلّم عنه؟".

لم تجبه أوسب، فقد كانت مشغولة بتبديل الملاءات. راقبها إرليندور، ولكنّه لم يستطع تبيّن أفكارها. تصرّفت وكأنّه غير موجود في الغرفة، وكأنّها تستطيع إبعاده إن ادّعَت أنّه غير موجود.

قال: "على سبيل المثال، لم تخبريني أنّ لديك أخاً".

"ولماذا أخبرك بذلك؟".

"لأنّه واقع في متاعب".

"هذا غير صحيح".

"لم يقع في المتاعب بسببي، ولكنّه يُواجه مشاكل. وفي بعض الأحيان يلجأ إلى أخته طلباً للمساعدة عند الحاجة".

قالت أوسب: "لا أفهمك".

"سأُخبرك. لقد سُجن مرّتَين، ليس لفترات طويلة، بتهمة السطو والسرقة. كان يُكتشف أمره في بعض الأحيان، بينما يُفلت بفعلته في أحيان أخرى بلا شكّ. فهذه الجرائم الصغيرة نموذجيّة بالنسبة إلى مجرم مثله واقع تحت الدَين. فهو يتعاطى الآن أغلى الأنواع ولا يملك أبداً ما يكفي من المال. ولكنّ التجّار لا يقبلون بأنصاف الحلول. فقد أمسكوا به أكثر من مرّة وضربوه. كما هدّدوا مرّة بخطفه. لهذا السبب، كان مضطرًّا للقيام بأعمال مريبة إلى جانب السرقة لشراء مخدّراته، وتسديد ديونه".

وضعت أوسب الملاءات من يدها.

تابع إرليندور: "يلجأ إلى حلول عدّة لتمويل عادته- ربّما تعرفين ذلك- كما يفعل جميع أولئك الأولاد الذين يعانون من الإدمان".

ظلّت أوسب صامتة.

"هل تفهمين ما أعنيه؟".

"هل ستينا هي من أخبرك بذلك؟ رأيتُها هنا البارحة. غالباً ما أراها هنا، وما من أحد مثلها يستحقّ لقب مومس".

قال محاولاً عدم السماح لأوسب بتغيير الموضوع: "لم تخبرني بأيّ من ذلك. منذ وقت غير طويل كان أخوك في الممرّ الذي تقع فيه غرفة غودلاوغور. وربّما كان هناك عند وقوع الجريمة. وكان هناك مؤخّراً، فرائحته ما زالت عابقة، بالنسبة إلى من يعرفونها، بالنسبة إلى من يدخّنون الحشيش ويطبخون الهيروين".

حدّقت إليه أوسب. لم يكن إرليندور يملك الكثير من الأدلّة عندما أتى لرؤيتها. كلّ ما يعرفه هو أنّ الكوّة كانت في غاية النظافة، ولكنّ ردّة فعلها أثبتت أنّه غير بعيد جداً عن الحقيقة. تساءل ما إذا كان يجدر به المخاطرة أكثر. بعد شيء من التفكير، قرّر المحاولة.

قال: "وجدنا أيضاً التبغ الذي يمضغه. هل يستخدمه منذ وقت طويل؟".

ظلّت أوسب تحدّق إليه من دون أن تقول شيئاً. أخيراً نظرت إلى السرير، وشردت طويلاً، إلى أن بدا أنّها تستسلم.

قالت بصوت شبه مسموع: "منذ أن كان في الخامسة عشرة من عمره".

انتظرها لكي تتابع ولكنّها لم تضف شيئاً، بل وقفا أمام بعضهما في غرفة الفندق، وترك إرليندور الصمت يخيّم عليهما لبعض الوقت. في النهاية، تنهّدت أوسب وجلست على السرير.

قالت بصوت منخفض: "إنّه مفلس دائماً، يدين بالمال للجميع، ثمّ يهدّدونه ويضربونه، ولكنّه لا يرتدع وتتراكم عليه الديون. في بعض الأحيان، يحصل على المال ويتمكّن من دفع جزء منها. فقد أبواي الأمل في إصلاحه منذ زمن طويل، وطرداه منذ أن كان في السابعة عشرة. أرسلاه إلى مؤسّسة لإعادة التأهيل، ولكنّه هرب. غاب عن المنزل لأسبوع أو أكثر، فنشرا إعلاناً في الصحف عن فقدانه. ولكنّه لم يأبه، وهو يتنقّل من مكان إلى آخر منذ ذلك الحين. أنا الفرد الوحيد في العائلة الذي بقيَ على اتّصال به. في بعض الأحيان، أُدخله إلى القبو في الشتاء. ينام قرب الكوّة عندما يحتاج إلى الاختباء. كنتُ قد منَعته من تعاطي المخدّرات هناك، ولكنّني لا أستطيع السيطرة عليه. لا أحد يقدر على ذلك".

"هل تعطينه المال لتسديد ديونه؟".

"في بعض الأحيان. ولكنّه لم يكن كافياً قطّ. قاموا بتهديد أمّي وأبي، وحطّموا سيّارة أبي، وهما الآن يدفعان لهم اتّقاءً لشرّهم، ولكنّ ذلك ليس كافياً، فهُم يطلبون فوائد سخيفة على تلك الديون. وعندما يتكلّم والداي

مع الشرطة، يقول لهم رجال مثلك إنّهم لا يستطيعون فعل شيء لأنّها مجرّد تهديدات، ويبدو أنّ تهديد الناس ليس مخالفاً للقانون".

نظرت إلى إرليندور.

"ربّما تنظرون في المسألة إن قتلوا أبي".

"هل كان أخوك يعرف غودلاوغور؟ لا بدّ من أنّهما تعرّفا على بعضهما في القبو".

قالت أوسب بكآبة: "كانا يعرفان بعضهما".

"كيف؟".

"كان غولي يدفع له من أجل..." صمتت أوسب.

"من أجل ماذا؟".

"من أجل خدمات يؤدّيها له".

"كيف عرفتِ ذلك؟".

"شقيقي أخبرني".

"هل كان مع غودلاوغور في عصر ذلك اليوم؟".

"لا أعرف. فأنا لم أره منذ أيّام، منذ..." صمتت. "لم أره منذ اليوم الذي قُتل فيه غودلاوغور. لم نكن على اتّصال".

"أظنّ أنّه كان في الممرّ منذ وقت غير طويل، بعد مقتل غودلاوغور".

"لم أره".

"هل تظنّين أنّه اعتدى على غودلاوغور".

"لا أعرف. كلّ ما أعرفه هو أنّه لم يعتدِ يوماً على أحد. كما أنّه هارب دوماً، وعليه أن يهرب الآن بسبب هذه الجريمة، حتّى وإن لم يفعل شيئاً. فهو لم يؤذِ أحداً يوماً".

"وأنت لا تعرفين مكانه الآن؟".

"كلاّ، لم أسمع منه شيئاً".

"هل تعرفين ما إذا كان يعرف ذلك البريطاني الذي ذكرتُه لك، هنري وابشوت؟ المتّهم بحيازة أفلام أطفال مشينة".

"كلاّ، لا يعرفه، لا أظنّ ذلك. لماذا تسأل؟".

"هل هو غير سويّ؟ أعني أخاك؟".

نظرت إليه أوسب.

قالت: "أعرف أنّه يفعل أيّ شيء من أجل المال. ولكن، أعتقد أنّه غير سويّ".

"هلاّ أخبرتِه أنّني أريد التكلّم معه؟ إن لاحظ أيّ شيء في القبو أريد

التكلّم معه بخصوصه، كما أودّ أن أسأله عن علاقته بغودلاوغور. أريد أن أعرف ما إذا كان قد رآه يوم مقتله. هلاّ فعلتِ ذلك، وأخبرتِه أنّني أرغب في التكلّم معه؟".

"هل تظنّ أنّه هو الفاعل؟ أنّه هو من قتل غودلاوغور؟".

"لا أعرف. إن لم يأتِ لمقابلتي قريباً، فسأعلن أنّه مطلوب للاستجواب".

لم تبدِ أوسب أيّ ردة فعل.

سألها: "هل كنتِ تعرفين أنّ غودلاوغور غير سويّ؟".

نظرت إليه.

"نظراً لما قاله أخي، يبدو أنّه كان كذلك. ونظراً للمبلغ الذي كان يدفعه لأخي لقاء خدماته...".

صمتت أوسب.

سألها إرليندور: "هل كنتِ تعرفين أنّ غودلاوغور كان ميتاً عندما ذهبتِ لإحضاره؟".

نظرت إليه.

"كلاّ، لم أكن أعرف. لا تحاول زجّي في هذه المسألة. أهذا ما تحاول فعله؟ هل تظنّ أنّني قتلته؟".

"أنت لم تخبريني عن أخيك الذي كان يتردّد إلى القبو".

"إنّه يقع دائماً في المتاعب ولكنّني أعرف أنّه لم يرتكب هذه الجريمة. أعرف أنّه لا يستطيع فعل شيء كهذا، إطلاقاً".

"لا بدّ من أنّكما مقرّبان، نظراً إلى اهتمامك به".

قالت وهي تقف: "كنّا دائماً صديقَين. سأخبره بما تريده إن اتّصل بي. سأخبره أنّك تريد سؤاله عمّا يعرفه عن الجريمة".

هزّ إرليندور رأسه وأخبرها أنّه سيكون في الفندق معظم الوقت خلال هذا اليوم. ويمكنها إيجاده هناك.

قال: "يجب أن يتمّ ذلك حالاً، أوسب".

عندما عاد إرليندور إلى البهو، رأى إلينبورغ عند مكتب الاستقبال. كان مدير الاستقبال يشير نحوه فالتفتت إليه. كانت تبحث عنه واتّجهت نحوه مسرعة وعلى وجهها تعبير قلق نادراً ما رآه إرليندور.

سألها وهي تقترب: "هل ثمّة خطب ما؟".

"هل يمكننا الجلوس في مكان ما؟ هل المقهى مفتوح؟ ربّاه، يا له من عمل مرهق! لا أعرف لماذا أستمرّ به".

سألها إرليندور: "ما الأمر؟". وقادها من ذراعها نحو المقهى. كان الباب مغلقاً ولكنّه غير مقفل، فجلسا في الداخل. ومع أنّ الغرفة مفتوحة، إلاّ أنّ المقهى نفسه بدا مغلقاً. رأى إرليندور لافتة تفيد أنّه لن يفتح قبل ساعة. فجلسا إلى إحدى الطاولات.

قالت إلينبورغ: "كما أنّ سهرة الميلاد ضاعت. لم أحضّر يوماً مثل هذه الكميّة القليلة من الكعك، وجميع أسرة زوجي آتية الليلة و -".

"أخبريني بما حدث".

"يا له من جبان، لا أفهمه. لا أفهمه بكلّ بساطة".

"من؟".

أجابت: "الصبيّ! لا أفهم ماذا يعني".

أخبرت إرليندور أنّها عوضاً عن الذهاب إلى المنزل لتحضير الكعك مساء يوم أمس، مرّت بمستشفى كليبور للأمراض العقلية. لا تعرف لماذا فعلت ذلك، ولكنّها لم تستطع التوقّف عن التفكير بتلك القضيّة. وعندما قال إرليندور إنّه كان يجدر بها إنهاء تحضيرات سهرة الميلاد لأسرة زوجها، لم تبتسم حتّى.

سبق أن ذهبت إلى مستشفى الأمراض العقلية في محاولة للتكلّم مع أمّ الصبيّ، ولكنّ المرأة كانت مريضة جداً حينذاك، وبالكاد تفوّهت بكلمة ذات معنى. حدث الأمر نفسه مجدّداً في الزيارة الثانية. إذ جلست الأمّ متأرجحة إلى الأمام والخلف، شاردة في عالمها الخاصّ. لم تكن إلينبورغ واثقة ممّا تريد سماعه منها، ولكنّها فكّرت في أنّها قد تعرف شيئاً لم يُكشف بعد عن العلاقة بين الأب وابنه.

كانت تعرف أنّ الأم دخلت المستشفى مؤقّتاً، وأنّها أُدخلت على فترات متقطّعة عندما كانت ترمي دواءها في الحمّام. ولكن عندما تتناول

الحبوب بانتظام، تعود تدريجيًّا إلى وعيها. كانت تهتمّ بالمنزل، وعندما ذكرت إلينبورغ أمّ الصبيّ أمام أساتذته، قالوا لها هم أيضاً إنّها تحسن العناية به.

جلست إلينبورغ في غرفة الاستقبال في المستشفى، وأحضرت الممرّضة أمّ الولد التي كانت تلفّ شعرها حول سبّابتها، وتُتمتم بكلام غير مفهوم. حاولت التكلّم معها، ولكنّها بدت على بعد أميال. لم تُجِب عن أيّ من أسئلتها، وبدت وكأنّها تسير وهي نائمة. بعد أن جلست معها إلينبورغ لبعض الوقت، بدأت تفكّر بجميع أنواع الكعك التي ستعدّها. نهضت لإحضار شخص ليعيد المرأة إلى غرفتها ووجدت ممرّضاً في الرواق. كان في الثلاثين من عمره تقريباً، وبدا أشبه برافعي الأثقال. كان يرتدي سروالاً وقميصاً أبيضَين، وكانت عضلاته القويّة تتراقص مع كلّ حركة يقوم بها. كان شعره قصيراً ويملك وجهاً ممتلئاً مع عينَين صغيرتين غارقتين في رأسه. لم تسأله إلينبورغ عن اسمه.

تبعها إلى غرفة الجلوس.

قال وهو يقترب ويمسك المرأة من ذراعها: "آه، إنّها دورا. أنت هادئة جداً الليلة".

وقفت المرأة، من دون أن تفارقها حالة التشوّش.

أضاف الممرّض بنبرة لم تُعجب إلينبورغ: "سقطتِ عن شجرتك مجدّداً، أيّتها الفتاة؟". كان كمن يتحدّث مع ابنة خمس سنوات. وماذا عنى بقوله إنّها كانت هادئة جداً الليلة؟ لم تستطع إلينبورغ تمالك نفسها.

قالت بنبرة أكثر حدّة ممّا أرادت: "هلاّ توقّفت عن التكلّم معها وكأنّها طفلة؟".

نظر إليها الممرّض.

سألها: "وهل هذا من شأنك؟".

"يحقّ لها أن تعامَل باحترام مثل أيّ شخص آخر". ولكنّها لم تخبره أنّها من الشرطة.

"ربّما، ولا أظنّ أنّني أعاملها بقلّة احترام. تعالي دورا". وقادها عبر الرواق.

تبعته إلينبورغ.

"ماذا تعني بقولك إنّها هادئة جداً الليلة؟".

"هادئة الليلة؟". كرّر السؤال وهو يلتفت نحو إلينبورغ.

"قلتَ إنّها هادئة جداً الليلة، ألا يفترض بها أن تكون كذلك؟".

أجاب: "أسمّيها أحياناً الهاربة، فهي تركض دائماً".

لم تفهم إلينبورغ.

"ماذا تعني؟".

سألها: "ألم تشاهدي الفيلم؟".

"وهل تهرب؟ من هذا المستشفى؟".

أجاب: "أو عندما نأخذهم في نزهات إلى البلدة. فقد هربَت في آخر نزهة لها. كنّا في غاية القلق عندما عثرتم عليها في محطّة الباص وأعدتموها إلى هنا. لم تعاملوها بكثير من الاحترام آنذاك".

"نحن وجدناها؟".

"أعرف أنّك من الشرطة. يومها رماها رجال الشرطة لنا".

"في أيّ يوم كان ذلك؟".

فكّر قليلاً. كان برفقتها هي ومريضَين آخرَين عندما أفلتت منه. كانوا يومها في ساحة ليكيارتورغ. يذكر ذلك اليوم جيّداً.

كان اليوم نفسه الذي حدث فيه الاعتداء على الصبيّ.

سألته إلينبورغ: "ألم يتمّ إبلاغ زوجها عندما هربَت منك؟".

"كنّا على وشك الاتّصال به عندما عثرتم عليها. فنحن نعطيهم دائماً بضع ساعات للعودة، وإلاّ فنحن نمضي كلّ وقتنا على الهاتف".

"وهل يعرف زوجها الاسم الذي تطلقونه عليها؟".

"نحن لا نطلق عليها ذلك الاسم، بل أنا فقط. هو لا يعرف".

"هل يعرف أنّها تهرب؟".

"لم أخبره بذلك، فهي ترجع دائماً".

"لا أصدّق ذلك".

قال الممرّض: "عندما ترجع إلى هنا نعطيها الدواء على الفور لكي تتوقّف عن الجري".

"هذا يغيّر كلّ شيء!".

قال الممرّض: "هيّا، أيّتها الفتاة". وأغلق باب الجناح خلفه.

حدّقت إلينبورغ إلى إرليندور.

"كنتُ متأكّدة من أنّه الأب. ولكن الآن، من الممكن أنّها هربت، وذهبت إلى المنزل، ثمّ ضربت الصبيّ وعادت. فقط لو أنّ الصبيّ يفتح فمه!".

"ولماذا تعتدي على ابنها؟".

أجابت إلينبورغ: "لا فكرة لديّ، ربّما كانت تسمع أصواتاً".

"والأصابع المكسورة والكدمات؟ كلّ تلك الحوادث التي كانت تقع على مرّ السنوات، هل كانت هي دائماً؟".

"لا أعرف".

"هل تحدّثتِ مع الأب؟".

"كنتُ معه للتوّ".

"وماذا حدث؟".

"كما تعرف، نحن لسنا على علاقة جيّدة. فهو ممنوع من رؤية الصبيّ منذ أن دخلنا منزله وقلَبنا كلّ شيء رأساً على عقب. أمطرني بعبارات اللوم والاتّهام بإساءة استعمال السلطة -".

سألها بنفاد صبر: "هل قال شيئاً عن زوجته، عن أم الصبيّ؟ لا بدّ من أنّه يشتبه بها".

تابعت إلينبورغ: "كما أنّ الصبيّ لم يقل شيئاً".

"باستثناء أنّه يفتقد إلى أبيه".

"أجل، باستثناء ذلك. إذاً، وجده الأب في غرفته وظنّ أنّه زحف إلى المنزل من المدرسة وهو بتلك الحالة".

"ولكنّك قمتِ بزيارة الولد في المستشفى وسألتِه ما إذا كان والده هو من اعتدى عليه بالضرب، وقام بردة فعل أقنعتك بأنّه الفاعل".

أحنَت إلينبورغ رأسها قائلة: "لا بدّ من أنّني أسأت فهمه، فقد قرأتُ شيئاً في الطريقة التي...".

"ولكنّنا لا نملك دليلاً ضدّ الأم، ولا ضدّ الأب".

"قلتُ له، أقصد الوالد، إنّني قصدتُ المستشفى للتكلّم مع زوجته، وإنّنا لا نعرف شيئاً عن مكانها يوم تعرّض الصبيّ للاعتداء. فوجئ وكأنّ احتمال هربها من المستشفى لم يخطر على باله. ما زال مقتنعاً أنّ صبية ضربوا ابنه في ملعب المدرسة. قال إنّ ابنه كان سيخبرنا أنّ والدته هي التي ضربته، بدا مقتنعاً بذلك".

"لماذا يمتنع الولد عن ذكر اسمها؟".

"إنّه في حالة صدمة، المسكين. لا أعرف".

سألها: "بسبب الحبّ؟ رغم كلّ ما فعلته به".

"أو الخوف، ربّما يخاف من أن تضربه مجدّداً. وفي الحالتَين، ربّما يفضّل الصمت لحماية أمّه، هذا ممكن".

"ماذا تريدين أن نفعل؟ هل نُسقط التهم الموجّهة إلى الأب؟".

"سأتكلّم مع مكتب المدّعي العام لأعرف رأيه".

"باشري بذلك. بالمناسبة، هل اتّصلت بالمرأة التي كانت مع ستيفانيا إجيلسدوتير في هذا الفندق قبل أيّام من مقتل غودلاوغور ؟".

أجابت بشرود: "أجل، طلبَت من صديقتها التغطية عليها. ولكن، عندما ضغطتُ عليها لم تتمكّن من الاستمرار في الكذب".

"تعنين الكذب من أجل ستيفانيا".

"بدأت بالقول إنّهما كانتا جالستَين هنا، وبدت متردّدة جداً. ولكنّها كاذبة فاشلة، لأنّني عندما أخبرتها أنّه عليها الحضور إلى مركز الشرطة لتقديم إفادتها، بدأت تبكي على الهاتف.

روَت لي كيف اتّصلت بها ستيفانيا، وهي صديقة قديمة لها من أيّام الجمعيّة الموسيقيّة، وطلبت منها القول إنّهما كانتا معاً في هذا الفندق إن سُئلت عن ذلك. قالت إنّها رفضت، ولكن يبدو أنّ لدى ستيفانيا ما تستطيع الضغط به عليها ولكنّها لم تخبرني به".

قال إرليندور: "كانت كذبة فاشلة منذ البداية. لا أعرف لماذا تؤخّر التحقيق هكذا ما لم تكن لها يد في ذلك".

"هل تعني أنّها قتلت أخاها؟".

"أو أنها تعرف من الذي فعل ذلك".

جلسا لبعض الوقت وتكلّما عن الصبيّ، وأمّه وأبيه، وظروف العائلة الصعبة ما دفع إلينبورغ إلى سؤال إرليندور مجدّداً عمّا سيفعله في الميلاد. فقال إنّه سيمضيه مع إيفا ليند.

أخبر إلينبورغ عمّا اكتشفه في رواق القبو وعن شكوكه بتورّط شقيق أوسب، وهو منحرف يواجه مشاكل ماليّة مستمرّة. شكر إلينبورغ على دعوتها له وأعطاها عطلة من العمل حتّى حلول الميلاد.

ابتسمت إلينبورغ قائلة: "لم يعد ثمّة وقت قبل الميلاد". ثمّ هزّت كتفَيها وكأنّ الميلاد لم يعد هامًّا بتحضيراته وضيوفه.

سألته: "هل ستشتري هدايا؟".

"ربّما بعض الجوارب، آمل ذلك".

تردّد قبل أن يقول: "لا تشغلي بالك بوالد الصبيّ. هذه الأمور تحدث دائماً. نشعر أنّنا متأكّدون، لا وبل مقتنعون، ثمّ يحدث شيء ما يغيّر مجرى القضيّة".

هزّت إلينبورغ رأسها موافقة.

تبعها إرليندور عبر البهو وتبادلا تحيّة الوداع. قرّر الذهاب إلى غرفته لحزم أمتعته، فقد اكتفى من الإقامة في هذا الفندق. وبدأ يشتاق بالفعل إلى جحره الخالي ، وكتبه ومقعده، وحتّى إلى إيفا ليند الممدّدة على الأريكة.

وقف ينتظر المصعد عندما فاجأته أوسب.

قالت: "لقد وجدتُه".

سألها: "من؟ هل وجدت أخاكِ؟".

"تعال معي". وتوجّهت إلى السلّم المؤدّي إلى القبو. تردّد إرليندور. انفتح باب المصعد ونظر إلى داخله. كان يتعقّب القاتل. ربّما أتى شقيق أوسب بناءً على طلبها، الشابّ الذي يمضغ التبغ. لم يشعر إرليندور بالحماسة إزاء ذلك، ولا بالترقّب أو شعور بالانتصار الذي يرافق حلّ قضيّة. لم يشعر سوى بالتعب والحزن لأنّ القضيّة حرّكت فيه جميع ذكريات طفولته، وأدرك أنّه ما زال عليه أن يبذل جهداً كبيراً ليتصالح مع حياته ولا يعرف من أين يبدأ. والأهمّ، أراد أن ينسى كلّ شيء عن العمل ويعود إلى البيت، ليكون مع إيفا ليند. أراد أن يساعدها على تجاوز المتاعب التي تعاني منها. أراد أن يتوقّف عن التفكير بالآخرين، ويبدأ بالتفكير بنفسه وبأسرته.

سألته أوسب بصوت منخفض، وهي تنتظره عند السلّم: "هل ستأتي؟".

"أنا آتٍ".

تبعها إلى الأسفل ودخل مقهى الموظّفين الذي استجوبها فيه لأوّل مرّة. كان قذراً كالعادة. أقفلت الباب خلفهما. كان أخوها جالساً إلى إحدى الطاولات، ووقف على قدمَيه عند دخول إرليندور.

قال بصوت عال: "أنا لم أفعل شيئاً. تقول أوسب إنّك تعتقد أنّني الفاعل، ولكنّني لم أفعل شيئاً. أنا لم أفعل له شيئاً!".

كان يرتدي معطفاً أزرق متّسخاً، وممزّقاً عند إحدى الكتفَين في بقعة كشفت عن بطانته البيضاء. كان سرواله المتّسخ من الجينز الأسود، وكان ينتعل حذاءً أسود يمكن ربطه حتّى بطّة الساق، ولكنّ إرليندور لم يرَ فيه أشرطة. أمسك سيجارة بأصابعه الطويلة القذرة، تنشّق الدخان ثمّ نفثه. كان صوته مضطرباً وأخذ يروح ويجيء في إحدى زوايا المطبخ مثل حيوان سجين حاصره شرطيّ ينوي اعتقاله.

نظر إرليندور من خلف كتفه إلى أوسب، التي وقفت عند الباب، ومن ثمّ إلى أخيها.

"لا بدّ من أنّك تثق بأختك لتأتيَ إلى هنا هكذا".

قال: "أنا لم أفعل شيئاً. قالت لي إنّك لطيف وتريد بعض المعلومات وحسب".

قال إرليندور: "أحتاج إلى معرفة بعض الأمور عن علاقتك بغودلاوغور".

"لم أقم بطعنه".

أمسك به إرليندور. كان في منتصف الطريق بين المراهقة وسنّ الرشد. ما زال وجهه يشبه وجه طفل، ولكنّ تعابيره القاسية تنمّ عن الغضب والمرارة تجاه شيء لم يستطع إرليندور حتّى تخيّله.

قال إرليندور محاولاً تهدئته: "لا أحد يقول إنّك فعلت ذلك. كيف تعرّفت على غودلاوغور؟ ما نوع العلاقة التي تجمعكما؟".

نظر إلى أخته، ولكنّ أوسب اكتفت بالوقوف عند الباب صامتة.

قال: "كنتُ أقدّم له خدمات أحياناً ويدفع لي المال لقاء ذلك".

"وكيف تعرّفتما على بعضكما؟ هل تعرفه منذ وقت طويل؟".

"كان يعرف أنّني شقيق أوسب، ويظنّ أنّه من المضحك أن نكون أخاً وأختاً، شأنه شأن كلّ من يعرفنا".

"لماذا؟".

"اسمي رينير".

"إذاً، ما المضحك في ذلك؟".

مزحة تلك كانت .وأخت أخ . [7] والسمّن الحور ورينير، "أوسب
."الغابة في وكأنّهما ،الصغيرة والديّ

"وماذا عن غودلاوغور؟".

"رأيته هنا عندما أتيت لرؤية أوسب، قبل عام ونصف".

"وماذا حدث؟".

"عرف من أكون، كانت أوسب قد أخبرته بالقليل عنّي. كانت تدخلني أحياناً لأنام في الفندق، في رواق غرفته".

التفت إرليندور إلى أوسب وقال: "نظّفتِ تلك الكوّة بعناية".

رمقته أوسب من دون أن تجيب. التفت مجدّداً إلى رينير.

"عرف من تكون، ونمتَ في الرواق الممتدّ أمام غرفته. ماذا بعد؟".

"كان يدين لي بالمال، وقال إنّه سيدفع".

"لماذا كان يدين لك بالمال؟".

"لأنّني كنتُ أؤدّي له خدمات أحياناً و -".

"هل كنتَ تعرف أنّه غير سويّ؟".

"أليس هذا بديهيًّا؟".

"والواقي؟".

"كان يستعمل الواقيات دائماً، فقد كان شديد الحرص. قال إنّه لا يريد المخاطرة، فهو لا يعرف ما إذا كنتُ مصاباً بمرض ما. ولكنّني غير مصاب بأيّ مرض". قال ذلك مؤكّداً ونظر إلى أخته.

"هل تمضغ التبغ؟".

نظر إلى إرليندور متفاجئاً.

"وما علاقة ذلك بموضوعنا؟".

"هذا ليس صلب الموضوع. هل تمضغ التبغ؟".

"أجل".

"هل كنتَ معه يوم مقتله؟".

"أجل، طلب منّي المجيء لأنّه أراد أن يدفع لي".

"وكيف كان يتّصل بك؟".

أخرج رينير هاتفاً خلوياً من جيبه وأراه لإرليندور.

قال: "عندما وصلت كان يرتدي زيّ سانتا. قال إنّ عليه الإسراع للذهاب إلى حفلة الميلاد، دفع لي مالي، ثمّ نظر إلى ساعته ورأى أنّ لدينا بعض الوقت للبقاء معاً".

"هل كان يملك الكثير من المال في غرفته؟".

"لا أعرف. لم أرَ سوى ما دفعه لي، ولكنّه قال إنّه يتوقّع استلام مبلغ كبير من المال".

"من أين؟".

"لا أعرف، قال إنّه كان جالساً على منجم ذهب".

"ماذا كان يعني بذلك؟".

"كان يشير إلى شيء ينوي بيعه. لا أعرف ما هو، لم يخبرني به. قال إنّه يتوقّع استلام مبلغ كبير من المال وحسب، أو الكثير من المال، لم يقل إنّه مبلغ كبير. لم يسبق له أن تكلّم على هذا النحو، بل كان مهذباً دائماً ويستخدم عبارات راقية. كان دائماً شخصاً لائقاً، رجلاً طيّباً. لم يؤذني قطّ، بل كان يدفع على الدوام. أعرف الكثير من الناس أسوأ منه. في بعض الأحيان، كان يرغب فقط بالتكلّم معي، فهو يعاني من الوحدة، أو على الأقلّ هذا ما قاله. قال لي إنّني صديقه الوحيد".

"هل أخبرك بشيء عن ماضيه؟".

"كلاّ".

"لم يخبرك أنّه كان نجماً في طفولته؟".

"كلاّ. كان نجماً!؟ في ماذا؟".

"هل رأيتَ سكّيناً في غرفته يمكن أن تكون قد أتت من مطبخ الفندق؟".

"أجل، رأيت سكّيناً هناك. ولكنّني لا أدري من أين أتت. فعندما وصلتُ، كان يقطع خيطاً من زيّ سانتا. قال إنّ عليه شراء زيّ جديد في العام القادم".

"ولم يكن معه مال آخر باستثناء ما دفعه لك؟".

"كلاّ، لا أظنّ ذلك".

"هل سرقتَه".

"كلاّ".

"هل أخذتَ نصف المليون التي كانت في غرفته؟".

"نصف مليون؟ هل كان يملك نصف مليون؟!".

"قيل لي إنّك تحتاج دائماً إلى المال، وكيفيّة حصولك عليه بديهيّة. ثمّة أشخاص تدين لهم بالمال، يهدّدون أسرتك...".

حدّق رينير إلى أخته.

"لا تنظر إليها بل انظر إليّ، كان لدى غودلاوغور مال في غرفته، أكثر ممّا كان يدين لك به. ربّما باع جزءاً من منجمه. رأيتَ المال، وأردتَ المزيد. قمتَ له ببعض الخدمات وظننتَ أنّك تستحقّ المزيد من المال. وحين رفض تشاجرتما، عندها أمسكتَ بالسكّين وحاولت طعنه. لكنّه قاومك إلى أن تمكّنت من غرز السكّين في قلبه وقتلتَه، وأخذت المال...".

همس رينير غاضباً: "أيّها الوغد، ما هذا الهراء!".

"... ومنذ ذلك الحين وأنت تدخّن الحشيش وتعيش على هواك -".

صاح رينير: "أيّها الحقير!".

قالت أوسب: "تابع قصّتك. أخبره بما قلته لي، أخبره بكلّ شيء".

قال إرليندور: "كلّ شيء عن ماذا؟".

قال رينير: "طلب منّي البقاء معه قبل أن يذهب إلى الاحتفال. قال إنّه لا يملك الكثير من الوقت ولكنّه سيدفع لي مبلغاً جيّداً. ولكن ما إن بدأنا حتّى دخلت علينا تلك المرأة".

"المرأة؟".

"أجل".

"أيّ امرأة؟".

"تلك التي أمسكت بنا".

سمع إرليندور أوسب تقول من خلف ظهره: "أخبره، أخبره من كانت!".

"عن أيّ امرأة تتكلّم؟".

"نسينا إقفال الباب، وفجأة فُتح ودخلت علينا".

"من كانت؟".

"لا أعرف من كانت، امرأة".

"وماذا حدث؟".

"لا أعرف، فقد هربتُ. صاحت به، وارتبكتُ".

"لماذا لم تخبرنا بتلك المعلومات منذ البداية".

"أنا أتجنّب رجال الشرطة. فالكثير من الناس يجرون ورائي. وإن عرفوا أنّني تكلّمت مع الشرطة سيظنّون أنّني أشي بهم، وسيتعرّضون لي".

"من كانت تلك المرأة التي أمسكت بكما؟ كيف هو شكلها؟".

"لم ألاحظها جيّداً، فقد هربتُ على الفور. شعر بخجل شديد، فدفعني بعيداً، وصاح، وارتبك تماماً. بدا خائفاً منها، لا بل مرعوباً".

سأله إرليندور: "بماذا صاح؟".

"ستيفي".

"ماذا؟".

"ستيفي. هذا كلّ ما سمعتُه. ناداها ستيفي وكان مرعوباً منها".

وقفَت خارج الباب المؤدّي إلى غرفته وظهرها إليه. توقّف إرليندور وراقبها قليلاً، ورأى كم تغيّرت منذ أن رآها للمرّة الأولى، وهي تدخل إلى الفندق غاضبة مع أبيها. لم يرها الآن سوى امرأة متعبة ومرهقة ما زالت تعيش مع أبيها المُقعد في المنزل الذي نشأت فيه. ولأسباب لا يعرفها، أتت هذه المرأة إلى الفندق وقتلت أخاها.

وكأنّها شعرَت بوجوده في الممرّ، لأنّها التفتت فجأة ونظرت إليه. لم تكشف له تعابير وجهها عمّا يدور في خلدها. كلّ ما يعرفه هو أنّها الشخص الذي كان يبحث عنه منذ أن أتى إلى الفندق ورأى سانتا غارقاً في بركة من الدم.

وقفَت جامدة قرب الباب ولم تقل شيئاً إلى أن اقترب وأصبح إلى جانبها.

قالت: "ثمّة أمر أرغب بقوله لك، إن كان سيُغيّر شيئاً".

اعتقد إرليندور أنّها أتت لرؤيته بخصوص الكذبة التي ألّفتها عن صديقتها وشعرَت أنّ الوقت قد حان لقول الحقيقة. فتح الباب ودخلت أمامه، ثمّ توجّهت إلى النافذة وتأمّلت الثلوج.

قالت: "بحسب الأرصاد، لم يكن الثلج سيتساقط هذا الميلاد".

سألها: "هل ثمّة من يناديك ستيفي تصغيراً لاسمك؟".

قالت من دون أن تحوّل نظرها عن النافذة: "كانوا ينادونني كذلك في طفولتي".

"هل كان أخوك يناديك ستيفي؟".

أجابت: "أجل، كان يفعل دائماً، وكنتُ أناديه دائماً غولي. لماذا تسأل؟".

"هل كنتِ في هذا الفندق قبل خمسة أيّام من مقتل أخيك؟".

تنهّدت ستيفانيا.

"أعرف أنّه ما كان ينبغي لي أن أكذب عليك".

"لماذا أتيتِ؟".

"جئتُ لأمر يتعلّق بأسطواناته، فقد فكّرنا أنّه يحقّ لنا امتلاك بعضها. عرفنا أنّه يملك عدداً لا بأس به من النسخ، على الأرجح كلّ النسخ التي لم تُبَع، وأردنا الحصول على حصّة إن كان يخطّط لبيعها".

"كيف حصل على النسخ؟".

"كانت لدى أبي الذي احتفظ بها في المنزل في هافنارفيوردور، وعندما

انتقل غودلاوغور أخذ الصناديق معه. قال إنّها له وحده".

"وكيف عرفتِ أنّه يخطّط لبيعها؟".

تردّدت ستيفانيا في الإجابة.

"كذبتُ أيضاً بشأن هنري وابشوت، فأنا أعرفه. لا أعرفه جيّداً، ولكن كان عليّ إخبارك بذلك. هل أخبرك أنّه التقانا؟".

أجاب: "كلاّ، لديه عدّة مشاكل. هل ثمّة شيء من الحقيقة في ما قلتِه حتّى الآن؟".

لم تجبه.

"لماذا أصدّق ما تقولينه الآن؟".

تأمّلت ستيفانيا تساقط الثلوج على الأرض وبدت في مكان آخر، وكأنّها عادت إلى حياة كانت تعيشها منذ زمن طويل، لم تعرف فيها الكذب، بل كان كلّ شيء حقيقيًّا ونقيًّا.

"ستيفانيا؟".

قالت فجأة: "لم يتشاجرا بسبب الغناء. عندما سقط أبي عن الدرج، لم يكن بسبب الغناء. تلك آخر وأكبر كذبة".

"أتعنين عندما تشاجرا عند أعلى السلّم؟".

"هل تعرف ماذا كان الأولاد ينادونه في المدرسة؟".

"أظنّ أنّني أعرف".

"كانوا ينادونه الأميرة الصغيرة".

"لأنّه كان يغنّي في جوقة، ولأن رجولته كانت غير ظاهرة للعيان و -".

قاطعته ستيفانيا: "لأنّهم فاجأوه مرّة في أحد أثواب أمّي".

ابتعدَت عن النافذة.

"كان ذلك بعد موتها. فقد اشتاق إليها كثيراً، لا سيّما عندما لم يعد غلام جوقة بل صار ولداً عاديًّا ذا صوت عادي. لم يعرف أبي بذلك، ولكنّني عرفت. فعندما كان أبي يخرج من المنزل أحياناً، كان غولي يضع مجوهرات أمّي ويجرّب أحياناً أحد أثوابها، ثمّ يقف أمام المرآة ويضع مساحيق تجميل على وجهه. وفي إحدى المرّات، في فصل الصيف، مرّ بعض الأولاد من أمام المنزل ورأوه. وكان بعضهم من زملائه في الصفّ، فاختلسوا النظر من نافذة غرفة الجلوس. كانوا معتادين على فعل ذلك أحياناً لأنّنا كنّا نُعتبَر غريبي الأطوار، فبدأوا يضحكون ويسخرون، بلا رحمة. بعد تلك الحادثة، اعتُبر غريباً تماماً وبدأ الأولاد ينادونه الأميرة الصغيرة".

صمتت ستيفانيا.

تابعت: "ظننت حينها أنّه كان يفتقد إلى أمّنا وحسب، وكانت تلك طريقته بالتقرّب منها، بارتداء ملابسها ووضع حليّها. لم أعتقد أنّ لديه دوافع غير طبيعيّة، ولكن تبيّن العكس".

"دوافع غير طبيعيّة؟ أهذه نظرتك إلى الموضوع؟ كان أخوك غير سويّ. ألم تتمكّني من مسامحته على ذلك؟ ألهذا السبب قطعتِ علاقتك به كلّ تلك السنوات؟".

"كان شابًّا جداً عندما فاجأه أبي. عرفتُ أنّ صديقه كان في غرفته، وظننتُ أنّهما يدرسان معاً. ولكنّ أبي أتى بشكل غير متوقّع بحثاً عن شيء ما، وعندما دخل غرفة غودلاوغور، رآهما يفعلان أشياء شائنة. لم يخبرني بما رآه، وعندما خرجتُ، رأيت الصبيّ الآخر ينزل السلّم مسرعاً، بينما وقف أبي وغولي في الأعلى يصرخان في وجه بعضهما، ورأيتُ غولي يدفعه. ففقد توازنه وسقط على السلّم، ولم يتمكّن من الوقوف مجدّداً".

التفتت ستيفانيا مجدّداً إلى النافذة لتراقب ثلج الميلاد وهو يتراكم على الأرض. لم يقل إرليندور شيئاً، بل وقف وهو يتساءل: بماذا تفكّر عندما تختفي في داخلها كما تفعل الآن؟ ولكنّه لم يستطع أن يتخيّل. ثمّ شعر أنّه حصل على جواب عندما كسرت الصمت.

"لم أكن مهمّة قطّ. كلّ ما أفعله كان ثانويًّا. لا أقول ذلك من باب الشفقة على الذات، أظنّ أنّني توقّفتُ عن ذلك منذ زمن طويل، بل لأحاول أن أفهم وأشرح لماذا لم أسعَ إلى الاتّصال به بعد ذلك اليوم المشؤوم. أظنّ أنّني في بعض الأحيان فرحتُ بما آلَت إليه الأمور. هل يمكنك تخيّل ذلك؟".

هزّ إرليندور رأسه.

"عندما رحل، أصبحتُ أنا المُهمّة، وليس هو. ليس بعد ذلك اليوم. وقد سرّني ذلك بشكل غريب، سرّني أنّه لم يعد النجم الصغير العظيم الذي كان يُفترض به أن يكون. أظنّ أنّني كنتُ أحسده طيلة الوقت، أكثر بكثير ممّا توقّعت، على كلّ الاهتمام الذي ناله والصوت الذي تمتّع به. كان رائعاً. وكأنّه تمتّع بكلّ المواهب بينما لم أنل أنا شيئاً. كنتُ أضرب على البيانو بعنف مثل حصان. هكذا كان أبي يقول عندما كان يحاول تعليمي. كان يقول إنّني أفتقد إلى الموهبة تماماً. ومع ذلك أحببته كثيراً لأنّني اعتقدت دائماً أنّه على حقّ. كان عادة لطيفاً معي، وعندما أصبح عاجزاً عن العناية بنفسه، أصبحَت موهبتي العناية به. لم يعد قادراً على الاستغناء

عنّي، ومرّت السنوات من دون أن يتغيّر شيء. ترك غولي المنزل، وجلس أبي على الكرسيّ المدولب، وتولّيت العناية به. لم أفكّر بنفسي قطّ ولا بما أريده. هكذا تمرّ السنوات من دون أن تفعل شيئاً سوى العيش في الروتين الذي تضعه لنفسك، عاماً تلو الآخر".

صمتت تتأمّل الثلوج.

"عندما تبدأ بالإدراك أنّ هذا كلّ ما لديك، تكره ما أنت فيه وتحاول إيجاد المذنب، وأنا شعرت أنّ أخي هو المُلام على كلّ شيء. ومع مرور الوقت، بدأتُ أحقد عليه وعلى سلوكه غير السّويّ الذي دمّر حياتنا".

كان إرليندور على وشك إضافة شيء ما ولكنّها واصلَت الكلام.

"لا أعرف إن كنتُ قادرة على وصف ذلك بشكل أفضل، كيف تحبس نفسك في حياة روتينية خاصّة بك بسبب أمر تبيّن بعد عقود من الزمن أنّه غير مهمّ إطلاقاً؛ بل في الواقع تبيّن أنّه غير مهمّ وغير مؤذٍ".

قال إرليندور: "فهمنا أنّه شعر أنّ طفولته سُلبت منه، وأنّه لم يُسمح له أن يكون كما يريد، بل فُرض عليه أن يكون شخصاً مختلفاً تماماً؛ أي مغنّياً، نجماً صغيراً، ودفع الثمن بالمضايقات التي تعرّض لها في المدرسة. ثمّ ذهب كلّ ذلك هباءً. وتلك الدوافع غير الطبيعية ، كما تسمّينها، زادَت الوضع تعقيداً. لا أظنّ أنّه كان سعيداً جداً، وربّما لم يكن يرغب بالاهتمام الذي كنتِ تتوقين إليه".

قالت ستيفانيا: "سُلبت منه طفولته، ربّما".

سألها: "هل حاول أخوك يوماً مناقشة وضعه مع أبيك أو معك؟".

"كلاّ. ولكن، ربّما توقّعنا حدوث ذلك. لا أعرف إن كان قد أدرك ما يحدث معه، لا فكرة لديّ عن ذلك. لا أظنّ أنّه كان يعرف لماذا يرتدي أثواب أمّي. لا أدري كيف أو متى يكتشف هؤلاء الأشخاص أنّهم مختلفون".

قال إرليندور: "ولكنّه كان مولعاً باللقب بطريقة غريبة. فقد علّق ذاك الملصق في غرفته، ونعرف أنّه..." توقّف إرليندور في منتصف جملته. لم يعد يعرف ما إذا كان يجدر به إخبارها أن غودلاوغور كان يطلب مناداته بذلك.

قالت ستيفانيا: "لا أعرف شيئاً عن ذلك. ربّما كان يعذّب نفسه بذكرى ما حدث. ربّما لن نفهم أبداً ما كان يفكّر فيه".

"كيف تعرّفتِ على هنري وابشوت؟".

"قصد منزلنا في أحد الأيّام للتكلّم بخصوص أسطوانات غودلاوغور. أراد

أن يعرف ما إذا كنّا نملك نسخاً عنها. كان ذلك في الميلاد في العام الفائت. حصل على معلومات عن غودلاوغور وعنّا من أحد جامعي الأسطوانات، وأخبرني أنّ أسطواناته ذات قيمة عالية جداً في الخارج. كان قد تكلّم مع أخي الذي رفض بيع أيّ منها، ولكنّه بدّل رأيه لاحقاً وقبِل منح وابشوت ما يريده".

"وأردتِ مقاسمته الأرباح".

"لم نظنّ أنّ ذلك غير منطقي. فهي لم تكن تنتمي إليه أكثر أو أقلّ ممّا تنتمي إلى أبي. على الأقلّ، هذا كان رأيه. فقد دفع أبي تكاليف التسجيل من ماله الخاصّ".

"وهل كان المبلغ الذي عرضه وابشوت كبيراً؟".

هزّت ستيفانيا رأسها: "ملايين".

"هذا يتناسب مع ما عرفناه".

"يملك وابشوت ذاك الكثير من المال. أظنّ أنّه أراد أن يتجنّب وصول الأسطوانات إلى سوق الجامعين. حسبما فهمت، أراد الحصول على جميع النسخ الموجودة، ومنعها من إغراق السوق. كان واضحاً جداً بخصوص ذلك، ومستعدًّا لدفع مبلغ هائل. أظنّ أنّه تكلّم مع غودلاوغور واتّفقا أخيراً قبل هذا الميلاد. ولكن، ربّما تغيّر شيء ما لكي يهاجمه بهذا الشكل".

"يهاجمه بهذا الشكل، ماذا تعنين؟".

"حسناً، أليس قيد الاعتقال؟".

أجاب إرليندور: "بلى، ولكنّنا لا نملك دليلاً على أنّه اعتدى على أخيك. ماذا تعنين بقولك ربّما تغيّر شيء ؟".

"زارنا وابشوت في هافنارفيوردور وقال إنّه أقنع غودلاوغور ببيعه جميع النسخ، وأظنّ أنّه أراد التأكّد من عدم وجود نسخ أخرى. أخبرناه أنّنا لا نملك غيرها، وأنّ غودلاوغور أخذها كلّها عندما ترك البيت".

"لهذا السبب قصدتِ الفندق لرؤيته، لأخذ حصّتكما من الصفقة؟".

قالت ستيفانيا: "كان يرتدي بزّة الحارس، وكان في البهو يحمل الحقائب إلى سيّارة بعض السيّاح. وقفتُ أراقبه لبعض الوقت ثمّ رآني. قلت له إنّني أرغب بالتكلّم معه عن الأسطوانات، وسأل عن أبي...".

"هل كان والدك هو الذي أرسلك لرؤية غودلاوغور؟".

"كلاّ، ما كان ليفعل ذلك قطّ. فبعد الحادث، لم يشأ سماع اسمه مطلقاً".

"ولكنّه كان أوّل من سأل عنه غودلاوغور عندما رآك في الفندق".

"أجل. نزلنا إلى غرفته وسألته عن مكان الأسطوانات".

قال غودلاوغور وهو يبتسم لشقيقته: "إنّها في مكان آمن. أخبرني هنري أنّه تكلّم معكما".

"قال لنا إنّك تخطّط لبيعه الأسطوانات. قال أبي إنّ نصفها له ونريد نصف الأرباح".

قال غودلاوغور: "غيّرتُ رأيي، لن أبيعها".

"وماذا قال وابشوت؟".

"لم يسرّه النبأ".

"ولكنّه عرض ثمناً ممتازاً".

"يمكنني أن أحصل على ثمن أفضل إن بعتها بنفسي، واحدة تلو الأخرى. فجامعو الأسطوانات مهتمّون بها جداً. أظنّ أنّ وابشوت ينوي فعل الشيء نفسه، حتّى وإن أخبرني أنّه يرغب بشرائها لمنع انتشارها في الأسواق. أظنّ أنّه يكذب، وأنّه يخطّط لبيعها وكسب المال من ورائي. كان الجميع يسعَون إلى كسب المال من ورائي، لا سيّما أبي، وهذا لم يتغيّر على الإطلاق".

حدّقا إلى بعضهما.

قالت: "تعال إلى البيت وتكلّم مع أبي، لم يعد لديه الكثير من الوقت".

"هل تكلّم معه وابشوت؟".

"كلاّ، لم يكن هناك عندما أتى وابشوت. أنا أخبرته عنه".

"وماذا قال؟".

"لم يقل شيئاً، أراد حصّته وحسب".

"وماذا عنك؟".

"ماذا عنّي؟".

"لماذا لم تتركيه قطّ؟ لماذا لم تتزوجي وتكوّني أسرة خاصّة بك؟ أنت لا تعيشين حياتك، بل تعيشين حياته. أين حياتك؟".

أجابته ستيفانيا ساخرة: "أظنّ أنّها في الكرسيّ المدولب الذي وضعتَه عليه، لا تتجرّأ وتسأل عن حياتي".

"يمارس عليك السلطة نفسها التي مارسها عليّ في الماضي".

انفجرت ستيفانيا غاضبة.

"يجب على أحدهم الاعتناء به! فابنه المفضّل، نجمه، تحوّل إلى رجل غير سويّ بلا صوت، دفعه من أعلى السلّم ولم يجرؤ على التكلّم معه

منذ ذلك الحين. وهو يفضّل الجلوس في منزله ليلاً والتسلّل منه قبل أن يستيقظ. أيّ سلطة يملك عليك؟ هل تظنّ أنّك تخلّصت منه نهائيًّا؟ ولكن انظر إلى نفسك! انظر إلى نفسك! ماذا أصبحت؟ أخبرني! لا شيء. أنت حثالة".

صمتت.

قال: "آسف، لم يكن يجدر بي قول ذلك".

لم تجبه.

"هل يسأل عنّي؟".

"كلاّ".

"لا يتكلّم عنّي أبداً؟".

"كلاّ، أبداً".

"يكره حياتي، يكره ما أنا عليه. يكرهني، بعد كلّ هذه السنوات".

قال إرليندور: "لماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟ لماذا تلاعبتِ بي؟".

"تلاعبتُ بك؟ في الواقع، يمكنك أن تتخيّل. أنا لم أرغب ببحث مسائل عائليّة مع غرباء. ظننتُ أنّني أستطيع حماية خصوصيّاتنا".

"هل كانت تلك هي المرّة الأخيرة التي رأيتِ فيها أخاك؟".

"أجل".

"هل أنت واثقة؟".

نظرت إليه ستيفانيا: "أجل، إلامَ تشير؟".

"ألم تفاجئيه كما فعل والدك تماماً، وتتشاجري معه؟ وهذا ما فجّر كلّ مكامن الحزن والمرارة في حياتك فقرّرتِ وضع حدّ لذلك".

"كلاّ، ماذا...؟".

"لدينا شاهد".

"شاهد؟".

"مَن كان معه. شابّ كان يقدّم خدمات لأخيك مقابل المال. فاجأتهما في القبو، فهرب الشابّ وانقضضتِ على أخيك. رأيتِ سكّيناً على مكتبه فهاجمتِهِ بها".

قالت ستيفانيا، وقد شعرت أنّ إرليندور يعني ما يقوله، وأنّ حبل المشنقة يلتفّ حول رقبتها: "هذا غير صحيح". حدّقت إلى إرليندور، عاجزة عن تصديق أذنَيها.

"لدينا شاهد -" ولكنّه لم يتمكّن من إنهاء جملته.

"أيّ شاهد؟ عن أيّ شاهد تتكلّم؟".

"هل تنكرين أنّك أقدمتِ على قتل أخيك؟".

رنّ هاتف الفندق، وقبل أن يجيب عليه إرليندور رنّ هاتفه الخلوي أيضاً. ألقى نظرة اعتذار على ستيفانيا التي حدّقت إليه مستغربة.

قال إرليندور: "عليّ الإجابة على هذا الاتّصال".

تراجعت ستيفانيا ورأت إحدى أسطوانتي غودلاوغور موضوعة على المكتب خارج المغلّف. عندما أجاب إرليندور على هاتف الفندق، راحت تتفحّص الأسطوانة. كان المتّصل هو سيغوردور أولي. أجاب إرليندور على هاتفه الخلوي وطلب من المتّصل الانتظار.

قال سيغوردور أولي: "اتّصل بي الآن رجل بخصوص الجريمة التي وقعت في الفندق وأعطيته رقم هاتفك، هل اتّصل؟".

أجاب إرليندور: "ثمّة شخص على الخطّ الآخر الآن".

"يبدو أنّنا حللنا هذه القضيّة. تكلّم معه ثمّ اتّصل بي. أرسلتُ ثلاث سيّارات، وإلينبورغ معهم".

وضع إرليندور السمّاعة وتناول هاتفه مجدّداً. لم يتعرّف على الصوت، ولكنّ الرجل عرّفه بنفسه وبدأ يتكلّم. ما إن بدأ بالكلام حتّى تأكّدت شكوك إرليندور وفهِم كلّ شيء. تحدّثا مطوّلاً. وفي النهاية، طلب إرليندور من المتّصل الذهاب إلى مركز الشرطة وإعطاء إفادته إلى سيغوردور أولي. ثمّ اتّصل بإلينبورغ وأعطاها تعليماته. وضع هاتفه من يده والتفت إلى ستيفانيا، التي وضعت أسطوانة غودلاوغور في الجهاز وشغّلته.

قالت: "في بعض الأحيان، عندما كان يتمّ تسجيل أسطوانات كهذه في الماضي، كان الضجيج يظهر في التسجيل، ربّما لأنّ الناس لم يهتمّوا بهذا الأمر في السابق، فقد كانت التقنيّة بدائيّة، ووسائل التسجيل ضعيفة. يمكنك سماع أصوات السيّارات وهي تمرّ أحياناً، هل تعرف ذلك؟".

قال إرليندور من دون أن يفهم مغزى الحديث: "كلاّ".

"يمكنك مثلاً سماعه في هذه الأغنية، إن أصغيتَ جيّداً. لا أظنّ أنّ أحداً سيلاحظ ما لم يكن يعرف أنّها موجودة".

رفعَت الصوت فأصغى إرليندور جيّداً والتقطَت أذناه صوتاً في منتصف الأغنية.

سألها: "ما كان ذلك؟".

أجابت: "إنّه والدي".

أعادت الجزء مجدّداً وسمعه إرليندور بوضوح، مع أنّه لم يفهم ما

يُقال.

سألها: "هذا والدك؟".

قالت ستيفانيا بشرود: "كان يقول له إنّه رائع. كان يقف قرب مكبّر الصوت ولم يستطع تمالك نفسه".

نظرت إلى إرليندور.

قالت: "مات أبي البارحة. تمدّد على الأريكة بعد العشاء واستغرق في النوم كما يفعل أحياناً، ولكنّه لم يستيقظ مجدّداً. ما إن دخلتُ الغرفة، حتّى أدركتُ أنّه رحل. شعرتُ بذلك حتّى قبل أنّ ألمسه. قال الطبيب إنّه أصيب بذبحة قلبية. لهذا السبب أتيتُ لرؤيتك، لتوضيح الأمور، لأنّه لم يعد لأيّ شيء أهميّة، لا بالنسبة إليه ولا بالنسبة إليّ. لم يعد لهذه المسائل أيّ أهميّة بعد اليوم".

أعادت ذلك المقطع من الأغنية للمرّة الثالثة وشعر إرليندور أنّه استطاع فهم ما يُقال. كلمة واحدة ترافق الأغنية وكأنّها ملاحظة هامشيّة. رائع.

"ذهبتُ إلى غرفة غودلاوغور في اليوم الذي قُتل فيه لأخبره أنّ أبانا يريد مصالحته. كنت قد أخبرت أبي أنّ غودلاوغور احتفظ بمفتاح المنزل وأنّه يتسلّل إليه، ويجلس في غرفة المعيشة ثمّ يخرج من دون علمنا. لم أعرف ما سيكون وقع الخبر على غودلاوغور، وما إذا كان يريد رؤية أبي مجدّداً أو ما إذا كان ثمّة أمل في محاولة الإصلاح بينهما، ولكنّني أردت المحاولة. كان باب غرفته مفتوحاً...".

ارتجف صوتها.

"... وهناك وجدتُه، غارقاً بدمه..." صمتت.

"... في ذلك الزيّ... سرواله منخفض... مغطّى بالدماء...".

اقترب منها إرليندور.

تأوّهت: "ربّاه. لم يسبق لي في حياتي... كان مشهداً مروّعاً لا يمكن وصفه بالكلمات. لا أعرف بماذا فكّرتُ، كنتُ مرعوبة. أوّل ما خطر في ذهني هو الخروج ومحاولة نسيان ذلك، مثل كلّ شيء آخر. أقنعتُ نفسي أنّ ما حدث ليس من شأني، وأنّه لا أهميّة لوجودي هناك، فما حدث قد حدث وليس من شأني. طردتُ الفكرة من ذهني، وتصرّفتُ كالأطفال. لم أشأ أن أعرف شيئاً عن ذلك ولم أخبر أبي بما رأيته. لم أتفوّه بكلمة لأحد".

نظرَت إلى إرليندور.

"كان عليّ طلب المساعدة. بالطبع كان يجدر بي الاتّصال بالشرطة...

ولكن... كان... كان المشهد مثيراً للاشمئزاز، غير طبيعي... بحيث دفعني إلى الهرب. كان هذا كلّ ما فكّرت به، الابتعاد، الهرب من ذلك المكان الفظيع من دون أن يراني أحد".

صمتَت.

"أظنّ أنّني كنت أهرب منه دائماً. بشكل من الأشكال، هربتُ منه دائماً، طيلة الوقت. وهناك...".

راحت تنتحب.

"كان علينا تصحيح الأمور منذ زمن طويل. كان يجدر بي فعل ذلك قبل سنوات، تلك هي جريمتي. أبي أيضاً أراد ذلك في النهاية، قبل أن يموت".

خيّم عليهما الصمت ونظر إرليندور من النافذة، فلاحظ أنّ تساقط الثلج بدأ يخفّ.

"والأفظع...".

توقّفت، وكأنّ الفكرة لا تُحتمل.

"لم يكن ميتاً، أليس كذلك؟".

هزّت رأسها.

"قال كلمة واحدة، ثمّ فارق الحياة. رآني عند الباب، وتأوّه لافظاً اسمي. الاسم الذي كان معتاداً على مناداتي به في طفولتنا، كان يناديني دائماً ستيفي".

"وسمعاه وهو يصيح باسمك قبل أن يموت. ستيفي".

نظرت إليه متفاجئة.

"من هما؟".

فجأة ظهرت إيفا ليند عند الباب المفتوح.

حدّقت إلى ستيفانيا وإرليندور، ومن ثمّ إلى ستيفانيا مجدّداً قبل أن تهزّ رأسها.

قالت وهي تلقي نظرة اتّهامية على والدها: "كم امرأة عرفتَ في أثناء إقامتك هنا، على أيّ حال".

لم يتمكّن إرليندور من ملاحظة أيّ تغيير على أوسب. وقف يراقبها وهي تعمل، ويتساءل ما إذا كانت تشعر بالذنب بسبب فعلتها.

سألته عندما رأته في الممرّ: "هل وجدتم ستيفي تلك؟". رمت كومة من المناشف في سلّة غسيل، وتناولت مجموعة نظيفة وضعتها في الغرفة. اقترب إرليندور ووقف قرب الباب، ولكنّ أفكاره شردت بعيداً.

كان يفكّر بابنته. تمكّن من إقناعها بأن ستيفانيا هي أخت غودلاوغور. وعندما رحلَت هذه الأخيرة، طلب من إيفا ليند انتظاره. جلست إيفا على السرير ورأى بوضوح أنّها تغيّرت، ورجعت إلى عاداتها القديمة. ثارت عليه بسبب كلّ المشاكل في حياتها، بينما وقف يُصغي بصمت، من دون أن يعترض ويزيد من غضبها. عرف سبب الغضب الذي انتابها، فغضبها لم يكن منصباً عليه وحسب، بل على نفسها، لأنّها انهارت. فهي لم تعد قادرة على السيطرة على نفسها أكثر من ذلك.

لا يعرف نوع المخدّرات الذي تستخدمه. نظر إلى ساعته.

سألته: "هل أنتَ على عجلة من أمرك؟ هل عليك الإسراع لإنقاذ العالم؟".

سألها: "هل يمكنك انتظاري هنا؟".

قالت له بصوت خشن وقبيح: "ارحل".

"لماذا تفعلين هذا بنفسك؟".

"اصمت".

"هلاّ انتظرتني قليلاً؟ لن أتأخّر، سنرجع إلى البيت. هل يعجبك ذلك؟".

لم تجبه، بل جلست منحنية الرأس، وهي تنظر عبر النافذة إلى الفراغ.

قال: "أحتاج إلى دقيقة وحسب".

توسّلت إليه بصوت أقلّ خشونة: "لا تذهب، إلى أين أنت ذاهب؟".

"ما المشكلة؟".

صاحت قائلة: "ما المشكلة؟ المشكلة في كلّ شيء. كلّ شيء! هذه الحياة المزرية، تلك هي المشكلة، حياتي المزرية. كلّ ما فيها يسير بشكل خاطئ. لا أعرف لماذا. لا أعرف كيف سأستمرّ، كيف! كيف؟؟".

"إيفا، سأكون -".

تأوّهت قائلة: "ربّاه، كم أندم على عدم إنجابها".
أحاطها بذراعه.
"كلّ يوم، عندما أستيقظ في الصباح، وأنام في المساء، أفكّر بما فعلتُه بها".
"هذا جيّد، عليك أن تفكّري بها كلّ يوم".
"ولكنّ ذلك صعب جداً ولا يمكن الخروج منه أبداً. ماذا عليّ أن أفعل؟ ماذا يمكنني أن أفعل؟".
"لا تنسَيها، بل فكّري بها دائماً. ستساعدك".
"كم أتمنّى لو أنّني أنجبتها. أيّ نوع من الناس أنا؟ أيّ نوع من الناس أولئك الذين يفعلون شيئاً كهذا بأطفالهم؟!".
"إيفا". أحاطها بذراعه واتّكأت على صدره وظلاّ جالسَين كذلك على طرف السرير بينما تساقط الثلج بهدوء فوق المدينة.
بعدما جلسا كذلك لبعض الوقت، همس لها إرليندور طالباً منها انتظاره في الغرفة. كان ينوي أخذها إلى البيت والاحتفال بالميلاد معها. نظرا إلى بعضهما. كانت أكثر هدوءاً، فهزّت رأسها موافقة.

ولكنّه وقف الآن أمام باب غرفة في الطابق الأسفل وهو يشاهد أوسب وهي تعمل. لم يستطع التوقّف عن التفكير بإيفا. عرف أنّ عليه العودة إليها بسرعة، وأخذها إلى البيت، وتمضية الميلاد معها.
قال: "تكلّمنا مع ستيفي. اسمها الكامل ستيفانيا وهي شقيقة غودلاوغور".
خرجت أوسب من الحمّام.
"وماذا حدث، هل أنكرَت كلّ شيء، أم...؟".
قال: "كلاّ، لم تُنكر شيئاً. إنها تعرف أخطاءها وتتساءل عمّا استجدّ، ومتى وكيف. تشعر بالسوء حيال الأمر ولكنّها بدأت تتصالح معه. هذا قاسٍ عليها لأنّ الأوان قد فات على إصلاح الأمور".
"هل اعترفَت؟".
أجابها: "أجل، بمعظم الأشياء في الواقع. لم تعترف بكلمات كثيرة ولكنّها تعرف الدور الذي أدّته".
"معظم الأشياء؟ ما معنى ذلك؟".
مرّت أوسب عبر الباب من أمامه لإحضار سائل تنظيف وفوطة، ثمّ عادت إلى الحمّام. تبعها إرليندور وراح يراقبها وهي تنظّف كما فعل من

قبل في بداية القضيّة، وكانت يومها ودودة معه.

قال: "في الواقع، كلّ شيء باستثناء الجريمة. هذا هو الشيء الوحيد الذي لم تُقرّ به".

رشّت أوسب المنظّف على مرآة الحمّام، من دون أن تبدِ أيّ ردّة فعل.

قالت: "ولكنّ أخي رآها. رآها وهي تطعن شقيقها، لا يمكنها إنكار ذلك. لا يمكنها أن تنكر مجيئها إلى هناك".

"لا، كانت في القبو عندما فارق الحياة. ولكن ليست هي من طعنه".

قالت: "بلى، رينير رآها. لا يمكنها إنكار ذلك".

"بكَم تدينان لهم؟".

"ندين لهم؟".

"كم هو المبلغ؟".

"ندين لمن؟ عمّ تتحدّث؟".

راحت أوسب تمسح المرآة وكأنّ حياتها تعتمد على ذلك، وكأنّ كلّ شيء سينتهي إن توقّفَت، سيسقط القناع وستضطرّ إلى الاستسلام. واصلت رشّ المنظّف وتلميع الزجاج، وتجنّبت النظر إلى وجهها.

تأمّلها إرليندور وخطرت على باله جملة قرأها مرّة في أحد الكتب عن الفقراء قديماً: كانت ابنةَ العالم المنبوذة.

"إلينبورغ زميلة لي تحقّقَت للتوّ من سجّلك في مركز الأزمات. كان ذلك منذ ستة أشهر وكانوا ثلاثة. وقع الاعتداء في كوخ قرب بحيرة رودافاتن، هذا كلّ ما قلتِه. ادّعيتِ أنّك لا تعرفينهم. قاموا بخطفك يوم الجمعة ليلاً عندما كنتِ في البلدة، وأخذوك إلى ذلك الكوخ".

تابعت أوسب تلميع المرآة ولم يعرف إرليندور ما إذا كان لما قاله أيّ تأثير فيها.

"في النهاية، رفضتِ تحديد هويّتهم ورفع دعوى ضدّهم".

بقيَت أوسب صامتة.

"أنت تعملين في هذا الفندق، ولكنك لا تكسبين ما يكفي لتسديد ديونك والإنفاق على عادتك. تمكّنتِ من إبعادهم بدفعات صغيرة وأعطَوكِ المزيد، ولكنّهم واصلوا التهديد، وأنت تعرفين أنّهم ينفّذون تهديداتهم".

لم تنظر إليه أوسب.

تابع قائلاً: "لا توجد سرقات في هذا الفندق، أليس كذلك؟ قلتِ ذلك لتضليلنا".

سمع إرليندور صوتاً في الممرّ ورأى إلينبورغ وأربعة عناصر من الشرطة أمام الباب. أشار إليها لتنتظر.

"أخوك في الوضع نفسه. وربّما كنتما تملكان الحساب نفسه معهم، لا أدري. فقد تعرّض للضرب والتهديد، كما تمّ تهديد أبويكما، وأنتما لا تجرؤان على التبليغ عن أولئك الأشخاص. ولا يمكن للشرطة التحرّك لأنّها مجرّد تهديدات، وعندما ينفّذ أولئك الأشخاص تهديداتهم، ويخطفونك ويعتدون عليك في كوخ، لا تبوحين أنت أو أخوك بأسمائهم".

صمت إرليندور وراقبها.

"اتّصل بي شخص للتوّ، إنّه يعمل في الشرطة في قسم المخدّرات. يتلقّى اتّصالات أحياناً من مخبرين ينقلون له ما يسمعونه في الشوارع وفي عالم المخدّرات. وقد تلقّى اتّصالاً في الليلة الماضية، هذا الصباح في الواقع، من رجل قال إنّه سمع قصّة عن شابّة تعرّضَت للاغتصاب قبل ستة أشهر وكانت تواجه مشاكل في الدفع للتجّار الذين تتعامل معهم، ولكنّها سدّدت ديونها قبل يومَين، ديونها وديون أخيها. هل يبدو لك ذلك مألوفاً؟".

هزّت أوسب رأسها نافية.

سألها مجدّداً: "لا يبدو كذلك؟ يعرف المخبر اسم الفتاة وأنّها تعمل في الفندق الذي قُتل فيه سانتا".

واصلت أوسب هزّ رأسها.

قال إرليندور: "نحن نعرف أنّ غودلاوغور كان يملك نصف مليون في غرفته".

توقّفت عن مسح المرآة، ثمّ أسدلت يدَيها وحدّقت إلى نفسها.

"كنتُ أحاول التوقّف".

"مخدّرات؟".

"بلا جدوى. إنّهم بلا رحمة مع من يدين لهم".

"هلاّ أخبرتِني بهويّتهم؟".

"لم أكن أنوي قتله، كان دائماً لطيفاً معي. ثمّ...".

"رأيتِ المال؟".

"كنتُ بحاجة إلى المال".

"هل قتلته بسبب المال؟".

لم تجبه.

"هل كان المال هو السبب؟ أم بسبب أخيك؟".

أجابت بصوت منخفض: "للسببَين معاً".

"أردتِ المال".

"أجل".

"وكان يستغلّ أخاك".

"أجل".

رأت من طرف عينها أخاها جاثياً على ركبتَيه، وكومة من المال على السرير والسكّين. ومن دون أيّ تفكير، أمسكَت السكّين وحاولت طعن غودلاوغور. تصدّى لها بذراعَيه ولكنّها انقضّت عليه تكراراً حتّى توقّف عن المقاومة وتهاوى على الحائط. تدفّق الدم من جرح في صدره؛ من قلبه.

تلوّثت السكّين بالدماء، وكذلك تلوّثت يداها ومعطفها. كان شقيقها قد نهض وفرّ هارباً عبر الممرّ، متّجهاً نحو السلّم.

تأوّه غودلاوغور بصوت عميق.

خيّم صمت مريع على الغرفة الصغيرة. حدّقت إلى غودلاوغور ومن ثمّ إلى السكّين التي تحملها. فجأة ظهر رينير مجدّداً.

همس: "أحدهم ينزل السلّم".

أخذ المال، وأمسك بأخته التي تسمّرت في مكانها، ثمّ جرّها من الغرفة نحو الكوّة في آخر الممرّ. حبسا أنفاسهما مع اقتراب المرأة. حدّقت إلى الظلام، ولكنّها لم ترهما.

عندما وصلَت إلى باب غودلاوغور، أطلقت صرخة مكبوتة، وتمكنّا من سماع غودلاوغور.

تأوّه قائلاً: "ستيفي".

ولم يسمعا شيئاً بعد ذلك. دخلت المرأة إلى الغرفة ولكنّهما رأياها تخرج مباشرة. تراجعَت حتّى وصلت إلى جدار الممرّ، ثمّ استدارت فجأة ورحلت مسرعة من دون أن تنظر إلى الخلف.

"رميتُ المعطف ووجدتُ واحداً آخر. خرج رينير، وكان عليّ الاستمرار بالعمل. لولا ذلك، لعرفتم على الفور بما حدث، أو هكذا ظننتُ. ثمّ طُلب منّي الذهاب لإحضاره من أجل احتفال الميلاد. لم أستطع الرفض، فأنا لم أكن قادرة على فعل شيء يجذب إليّ الانتباه. نزلتُ وانتظرتُ في الممرّ. كان بابه ما زال مفتوحاً ولكنّني لم أدخل. رجعتُ إلى الأعلى وقلت إنّني وجدته في غرفته وأظنّ أنّه ميت".

نظرت أوسب إلى الأرض.

"أسوأ ما في الأمر أنّه كان دائماً بالغ اللطف معي. ربّما لهذا السبب

جُنّ جنوني، لأنّه واحد من عدد قليل من الناس الذين يعاملونني باحترام هنا، ثمّ رأيت أخي... فقدت صوابي. بعد كلّ ما...".

قال إرليندور: "بعد كلّ ما فعلوه بك؟".

"لا جدوى من رفع دعاوى ضدّ أولئك الأنذال. فهم لن يعاقَبوا على ما فعلوه بي لأكثر من عام أو عام ونصف من السجن، ثمّ سيخرجون مجدّداً. لا يمكنك فعل شيء، ولا طلب المساعدة من أحد، بل عليك أن تدفع، بأيّ طريقة. أخذتُ المال ودفعت. ربّما قتلته من أجل المال، وربّما من أجل رينير، لا أعرف، لا أعرف...".

صمتت.

"فقدتُ صوابي، لم يسبق أن انتابني شعور كهذا، لم يسبق أن استبدّ بي هذا الغضب. أخرجتُ كلّ ثانية مرّت عليّ في ذلك الكوخ. رأيتهم، ورأيت كلّ شيء يحدث من جديد. تناولت السكّين وحاولت طعنه أينما استطعت. هاجمته وحاول الدفاع عن نفسه، ولكنّني رحتُ أطعن وأطعن وأطعن إلى أن كفّ عن الحراك".

نظرت إلى إرليندور.

"لم أدرك أنّ الأمر بهذه الصعوبة، أنّ قتل شخص ما هو بهذه الصعوبة".

ظهرت إلينبورغ عند الباب وأشارت إلى إرليندور بأنّها لا تفهم لماذا لا يعتقلون الفتاة.

سألها إرليندور: "أين السكّين؟".

أجابت وهي تتقدّم نحوه: "السكّين؟".

"التي استعملتها".

صمتت قليلاً.

"أعدتها إلى مكانها. نظّفتها قدر الإمكان في مقهى الموظّفين، ثمّ تخلّصتُ منها قبل مجيئكم".

"وأين هي الآن؟".

"أعدتُها إلى مكانها".

"في المطبخ، مع أدوات الطعام؟".

"أجل".

قال إرليندور بنبرة يائسة: "لا بدّ من أنّ الفندق يملك خمسمئة سكّين مثلها، كيف لنا أن نجدها؟".

"يمكنكم البدء من "البوفيه"".

""البوفيه"؟".
"لا بدّ من أنّ أحدهم يستخدمها".

34

سلّم إرليندور أوسب إلى إلينبورغ وعناصر الشرطة وأسرع عائداً إلى غرفته حيث تنتظره إيفا ليند. أدخل البطاقة وفتح الباب ليجد أنّها فتحت النافذة الكبيرة بكاملها وكانت جالسة على عتبتها وهي تنظر إلى الثلج المتساقط على الأرض في الأسفل على بعد عدّة طوابق.

قال بهدوء: "إيفا".

قالت شيئاً لم يفهمه.

اقترب منها بحذر قائلاً: "تعالي، حبيبتي".

"يبدو ذلك سهلاً جداً".

قال لها بصوت منخفض: "إيفا، تعالي إلى البيت".

التفتت. نظرت إليه مطوّلاً، ثمّ هزّت رأسها موافقة.

قالت بهدوء: "فلنذهب". ثمّ نزلت إلى الأرض وأغلقت النافذة.

مشى نحوها وطبع قبلة على جبينها.

سألها بصوت منخفض: "إيفا، هل سلبتُك طفولتك؟".

"ماذا؟".

"لا شيء".

نظر إرليندور مطوّلاً إلى عينَيها. في بعض الأحيان كان يرى بجعاً أبيض فيهما.

أمّا الآن فكانتا سوداوَين.

رنّ هاتف إرليندور في المصعد وهو في طريقه إلى البهو. عرف الصوت على الفور.

قالت فالغردور: "أردتُ أن أتمنّى لك ميلاداً سعيداً". وبدا أنّها تهمس عبر الهاتف.

قال: "أتمنى ميلاداً سعيداً لك أيضاً".

في البهو، نظر إرليندور إلى قاعة الطعام، فرآها تعجّ بالسيّاح الذين يستمتعون "ببوفيه" الميلاد ويثرثرون بجميع اللغات، بينما انتشرت همهماتهم المرحة في أنحاء الطابق الأرضي. لم يستطع منع نفسه من التفكير في أنّ أحدهم يمسك بيده سلاح جريمة.

أخبر مدير الاستقبال أنّ روزانت قد يكون هو مَن أرسل المرأة التي نامت معه تلك الليلة وطلبَت منه المال لاحقاً. فأجابه الرجل أنّه بدأ

يشتبه بشيء من ذلك النوع. كان قد أخبر مُلاّك الفندق عن المدير ورئيس الندل ولكنّه لم يعرف بعد كيف سيعالجون المسألة.

رأى إرليندور مدير الفندق ينظر مدهوشاً إلى إيفا ليند. أراد الادّعاء بأنّه لم يره، ولكنّ المدير اعترض طريقه.

"أردتُ أن أشكرك، وبالطبع لستَ مضطرًّا إلى دفع شيء".

قال إرليندور: "سبق وسدّدتُ ما يتوجّب عليّ دفعه، إلى اللقاء".

سأله المدير: "وماذا عن هنري وابشوت، ماذا ستفعل به؟".

توقّف إرليندور. كان يمسك بيَد إيفا ليند التي نظرت إلى المدير بعينَين ناعستَين.

"سنُعيده إلى بلاده. هل من شيء آخر؟".

تردّد المدير.

"هل ستفعل شيئاً بخصوص أكاذيب الفتاة عن ضيوف المؤتمرات؟".

ابتسم إرليندور.

"هل أنت قلق بخصوص ذلك؟".

"كلّها مجرّد أكاذيب".

أحاط إرليندور إيفا ليند بذراعه واتّجها إلى الباب.

قال: "سنرى".

عندما عبرا البهو، لاحظ إرليندور الناس يتوقّفون وينظرون حولهم. صمتت أغاني الميلاد التي كانت تصدح في القاعة، وابتسم إرليندور عندما أدرك أنّ مدير الاستقبال وافق على طلبه وغيّر الأغاني. فكّر بالأسطوانات. كان قد سأل ستيفانيا أين يمكن أن تكون، ولكنّها لم تكن تعرف. فهي لا تملك فكرة عن المكان الذي احتفظ فيه شقيقها بأسطواناته، وليست واثقة ممّا إذا كان سيتمّ العثور عليها يوماً.

توقّفت الهمهمات في قاعة الطعام تدريجيًّا، وتبادل الضيوف نظرات الدهشة، وحدّقوا إلى السقف بحثاً عن مصدر الصوت الرائع الذي بلغ مسامعهم. توقّف الموظّفون عن الحركة للإصغاء. بدا وكأنّ الزمن قد توقّف.

غادرا الفندق، بينما راح إرليندور يردّد بينه وبين نفسه الترنيمة الجميلة مع غودلاوغور الصغير، وشعر مرّة أخرى بالحزن العميق الذي يملأ صوت الغلام.

[1] شاعر ألماني.

[2] شاطئ على الساحل الجنوبي لأيسلندا.

[3] منتجع للمياه الحارّة في أيسلندا.

[4] سيف ثقيل مقوَّس.

[5] فرانز شوبرت: موسيقار نمساوي.

[6] أكبر سوق مغلقة في أيسلندا.

[7] نوع من الشجر.